في جدلية البنية القصدية

دراسة في التركيب الدلالي لأسلوب القصر البلاغي

د. عمار جبار كاظم

اسم الكتاب : الرؤى في النظم السياقية في الصحيفة السجادية.
اعداد : د. عِمَاد جبَّار كَاظِم
طباعة : دار الوارث للطباعة والنشر
الطبعة : الاولى
سنة الطبع : ٢٠٢٢ م - ١٤٤٤ هـ
التصميم والاخراج الفني: محمد ستار مدلول

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢١٠٦ لسنة ٢٠٢٢م

## مقدمة مهرجان تراتيل سجادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وعلى آله المنتجبين الأخيار.إن من دواعي الفخر و الاعتزاز،أن نتشرف بخدمة الإمام الهمام السجاد البكّاء،ذي الثفنات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) جميعاً .

إن إقامة مهرجان تراتيل سجادية منذ ثماني سنوات بكل فقراته وتفاصيله تصبّ في هذه الخدمة العظيمة والتشجيع على كتابة المؤلفات وطباعتها ضمن هذه الفقرات، كذلك تشجيع الطلبة الذين يسعون الى نيل شهادة الماجستير و الدكتوراه في علوم شتى للكتابة عن سيرة و جهاد وعلوم الامام زين العابدين (عليه السلام) ، و تتكفّل ادارة المهرجان وبدعم لا محدود من قبل المتولّي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، بالطباعة و الترويج لهذه المؤلفات .

ندعو الجميع للإفادة من فضائل الامام (عليه السلام) للكتابة في حياته وريادته في أمور شتى نذكرمنها :

في الوقت الذي كانت قصور ملوك بني امية تعج بالعبيد والأرقّاء من النساء

والرجال،كان الإمام السجاد (عليه السلام) يحررهم في كل مناسبة كالأعياد و شهر رمضان و كان معروفًا عنه بأنه محرر العبيد ومواقفه الانسانية لا تعدّ ولا تحصى،منها موقفه مع هشام بن اسماعيل المخزومي وقضية مروان بن الحكم تدل على إنسانية لا مثيل لها .و من أولى من الامام بحقيقة الاسلام و نهجه وجوهره؟

كان يخرج ليلا يحمل أكياس الزاد ليوزعها على الفقراء سرّاً لا علانية .قال سعيد بن المسيّب ٩٤ هـ : « كان القراء لا يخرجون الى مكة إلا اذا خرج علي بن الحسين (عليه السلام) . فخرج و خرجنا معه ألف راكب ». والتعبير الحديث لكلمة القراء في هذا الزمان تعني المثقف .

و ما الصحيفة السجادية و رسالة الحقوق و المناجاة الخمس عشرة إلا كنوز أورثها الامام للأجيال لتصحيح مسارات الاسلام و تقويم الانحرافات التى سعي اليها ملوك بني أمية .

**و نضع بين أيديكم هذا المؤلف، من نتاج مهرجان تراتيل سجادية الثامن، ومن الله التوفيق .**

**جمال الدين الشهرستاني**

**رئيس اللجنة التحضيرية**

**لمهرجان تراتيل سجادية**

**محرم الحرام / ١٤٤٤هـ**

**آب / ٢٠٢٢م**

إهـداء .. الى سـيدي ومـولاي عـلي
بن الحسين بن علي السجاد (عليه السلام)
حـــين تحلـــقُ الـــروحُ ، حمامـــةً
بـــلا هـــدي تقلِّبُهـــا ريـــاحُ الفكـــرِ
والأســـئلةِ وعواصـــفِ الحيـــاةِ
العاتيـةِ .. لا تجـدُ في أقاصيهـا من
دانٍ سـوى واحـةِ علمِـكَ الوارفـةِ
تتفيّـأُ ظلالَهـا وتنعـم بالسـكينةِ
والرضـــا .. إلى أفيائـــك ســـيدي ،
جهـد خادمـك الفقـير .. طاعـة
ومحبة ..

# رؤى في النظم السِّياقيَّة في الصَّحيفة السَّجَّاديَّة
# في جدليَّة البنية القصريَّة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة
# دراسة فِي التّركيبِ الدّلاليّ لأسلوبِ القصرِ البلاغيّ

## المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد وآله الطَّاهرين.

وبعد،...

كنتُ قد أخذتُ على نفسي إنجاز بعض البحوث التي سجّلتها ذاكرتي حين دراستي للجملة في الصَّحيفة السَّجَّاديَّة في الماجستير، وأنجزت بتوفيق الله سبحانه وتعالى بعضها، فنُشِرَ، ولم يتيّسر نشر الآخر، لأمور... ولعلِّي أعمل، إن شاء الله تعالى، على إدراك ما فاتني من جمع لأوراقي القديمة المخصوصة بالتوصيف وقراءتها جدةً...

ولقد بدا لي أن أنظم الآن شتات ما سبق نشره من بحوث في رحاب واحد؛ تيسيراً للأخذ، معنوناً له بـ»رؤى في النّظم السِّياقيَّة في الصَّحيفة السجاديَّة». وأبدأ بموضوعات في جدليَّة البنية القصريَّة قراءة تحليليَّة للمكوِّنات والأساليب التَّركيبيَّة الدَّلاليَّة في الصَّحيفة السَّجاديَّة، ومنها: النفي والاستثناء، وفاعليَّة التكوين القصري بـ(إنَّما)، والمكون القصري الآخر «ضمير الفصل» ممهّداً لها بمحور نظري عن جهاز

مفاهيمي لأسـس التَّركيب القصريّ ومداياته البلاغيَّة والأسـلوبيَّة النَّظميَّة والسياقية الدَّلاليَّة....

وعلى أمل أن أنشر ما أنجزتُ، وأتمَّ ما تركتُ فكرةً من قراءةٍ للصحيفة السـجاديَّة لاحقاً،... راجياً منه تبارك وتعالى أن يوفقني لذلك؛ وهو حسبي ونعم الوكيل، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله الطّيبين الطَّاهرين.

عماد جبار كاظم

# في جدليَّة البنية القصريَّة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة
## دراسة فِي التّركيبِ الدّلاليِّ لأسلوبِ القصرِ البلاغيِّ[1]

## المقدّمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

عندما يتجرّد العبد (الإنسان) من واقعه، ويترشّح من ذنوبه وخطاياه، يعيش حالة من نشوة وجوده الإيجابي في وصف العبودية الإنسانية لبارئها ومربيها - تعالى، في زمان ليس الزّمان في آنه، ونَفَسٍ ليس النَفَسُ في مكانه، في جدلٍ، تبدل وتغيير مستمر، تفصح عنه كينونته الذّاتيّة، والشّعور بالنّقص والاحتياج الدّائمين لكمالهِ في الحركة والسّلوك العبادي بالطّلب والدّعاء لخالقه - جلّ شأنه؛ إنه مخّ العبادة وأصلها الاعتقادي.

والصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، ذلكم المعين الرّحمانيّ، تجسّد في أدعيتها تلكم الدَّلالات والمعاني في أساليب عديدة، منها أساليب القصر في علائقها الدَّلاليّة منطوقاً ومفهوماً في إطار قصديّ تناقضيّ عامّ هو النَّفي والإثبات، واعتمادهما في التَّعبير الفني، أو واحد منهما مع طرد ضده، في سياق يكتنف بنية تركيبيَّة في دلالة أسلوب دون سواه من الأنساق اللُّغويَّة الأُخر؛ لأغراض وأهداف بلاغيَّة.

---

١ - بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الإنسانية. سنة ٢٠٠٦م.

لقد جعلت موضوعي هذا كمدخل تمهيدي في فقرتين؛ الأولى: فـي مدلولات القصر ومفاهيمه الحدّيَّة، وعلاقة الفكر الجدليّ بالقصر البلاغيّ، والثّانية: في الجملة بوصفها أسّ طرائـق القـصر الأسـلوبيَّة؛ لمعرفـة أبعاد القصر، وقـراءة أساليبـه في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الّتي أفردتها فـي أبحاث خاصـة منفصلة كلّاً على حدة.

عماد جبّار كاظم

## توطئة :

ممّـا لا شـكّ فيه أنَّ كلّ جملـة في اللُّغة العربيّة تؤدي معنًى محـدداً، وحكماً معيناً سلباً أو إيجاباً[١]، بطرق نفيها، أو إثباتها، بمدارك نسبتها، بعلائقية وظائف كلماتها في التّركيب اللّغويّ، وقانونها المنطقيّ.

فهـي - الجملـة: (الصّورة اللفظيّـة الصّغرى للكلام المفيـد في أي لغة من اللغات، وهـي المركّـب الَّذي يبين المتكلم به أنّ صورة ذهنية كانت قد تآلفت أجزاؤها في ذهنه، ثم هي الوسـيلة الّتي نتقل ما جال في ذهن المتكلم إلى السّـامع)[٢].

بيـد أنَّ المنشـئ - في بعـض الأحايين - يحتـاج من التّركيب إلى مـا يؤدي أكثر مـن معنى للتّأثير فـي نفوس الآخرين، وتحريك مشاعرهم، وتأجيج عواطفـهم، وامتـلاك قلوبهـم، وعقولهـم، وجعـل أسـلوبه (أدخل في ميـدان الإجـادة البلاغية وأرفـع مرتبة في مجـال الأداء الفنيّ)[٣].

ومـن هنا يأتي أسـلوب القصر اسـتجابة لتلـك الدّواعي الدّلاليّة؛ إنّـه: (طريق من طـرق الإيجـاز في التّعبير)[٤]، فضلاً عـن تمكين معنى الكلام، وتقريـره في الذهن[٥].

ومن ثمَّة كان (كلّ أسلوب فيه هذا النَّوع مـن التَّخصيص ويفيد حكمين مختلفين

١ - ينظـر: المعانـي في ضـوء أسـاليب القـرآن؛ عبد الفتـاح لاشـين: ٢٤٢، وفي النّحـو العربي؛ عبد الرّحمن حميد السيد: ٤١٨/٣.
٢ - في النحو العربي نقد وتوجيه؛ مهدي المخزومي: ٣١.
٣ - نحو المعاني؛ عبد الستار الجواري: ٣٢.
٤ - المعاني في ضوء أساليب القرآن؛ عبد الفتاح لاشين: ٢٤٣.
٥ - ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي: ٥٤/٣، والمعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٤٣.

في الإيجاب والسّلب، يسمّيه علماء البلاغة بأسلوب القصر)[١] فهو: أسلوب من الأساليب اللُّغويَّة الإبلاغيَّة الّتي يتوخّى المنشئ من ورائها جلاء المعنى وإثراءه بصورة جدلٍ مشعّة في أبعاده الفكريّة المتنوعة باختزال لفظ، وتقييده، وتخصيص معنى مطلق وقصره في جانب من جوانبه المعنوية، دون ما سواه. وعائدية كثافة المعنى، ومرجع (ثراء أساليب القصر وكثرة فوائدها إلى تنوع طرقها وما بين تلك الطّرق من فروق دقيقة واعتبارات وملاحظات لطيفة)[٢].

والقصر في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة له مساحة واسعة - تمتد بين أفقية الخطاب الإبلاغي، وعمودية القصد في الأدب الدّعائيّ، فضلاً عن معانٍ رائعة، وطرائق متعددة، فائقة الأسلوب، جميلة المغزى، تكسي الكلام روعةً، وتمدّ الدّلالة كثافةً ورونقاً.

ولتوضيح ذلك لا بدّ لنا من معرفة مكوناته الأسلوبيّة، وحدوده التّركيبيّة للوصول إلى مفهومه التقريبي الكليّ عند علماء العربية: (لغويين، ونحويين، وبلاغيين)، ومِن ثمّ بعده الدّلاليّ ومغزاه الخطابي؛ لأنَّه (الهدف النّهائي من دراسة الأنساق اللُّغويَّة)[٣]، وإطاره الفكريّ الجدليّ في النَّصّ المزمع دراسته؛ (الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة).

ولكي نرسم الصّورة بألوانها المنهجيَّة، والدّخول في الحدود اللُّغويَّة، والعرفيَّة الاصطلاحيَّة، لابدّ لنا من إدراك ماهية الجدل، والعلاقة الّتي تربط بين العنوان الَّذي تصدر الموضوع، والمعنون الذي احتواه، في تصورية السّؤال: ما العلاقة بين الجدل الفكري، وبنية القصر البلاغيّ؟ في مدخل بسيط ابتغاءَ الوضوح، وبلاغة عقده.

١ -المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٤٣.
٢ - علم المعاني؛ بسيوني عبد الفتاح فيود: ٢٢٧.
٣ - أثر اللسانيات في النقد الأدبي؛ توفيق الزبيدي: ٨٠.

# الفقرة الأولى
# الجدل الفكريّ والقصر البلاغيّ

## الجدل في اللغة:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (الجدل: الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام وهو القياس...)[١].

وعلى هذه الدّلالة تطوف معاني المادة، (بسكون عينها، أو فتحها)، بمشتقاتها. جاء في لسان العرب: (الجَدَل: اللَّدَدُ في الخُصومة والقدرةُ عليها،... ويقال: جادَلْت الرجل فجَدَلته جَدْلاً أَي: غلبته.. وجادَله أَي خاصمه...، والاسم الجَدَل، وهو شدَّة الخصومة... الجَدَل: مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة،...)[٢]، قال الزبيدي (ت١٢٠٥هـ): (ومنه أُخِذ الجَدَلُ المَنْطِقيُّ: الذي هو القِياسُ المؤلَّفُ مِن المَشهُورات أو المُسلَّمات، والغَرَضُ منه إلزامُ الخَصْم وإفهامُ مَن هو قاصرٌ عن إدْراك مُقَدِّمات البُرهان...، وقال الرّاغِبُ: الجِدالُ: هو المُفاوَضَةُ على سَبيلِ المُنازَعة والمُغالَبة، وأصله: من جَدَلْتُ الحَبلَ: إذا أحكَمْتَ فَتْلَه، فكأنّ المُتجادِلَيْنِ يَفْتِلُ كل واحدٍ الآخَرَ عن رأيه. وقِيل: أَصْلُ الجِدالِ: الصِّراعُ وإسقاطُ الإنسان

---

١ - أ معجم مقاييس اللُّغة: (مادة: جدل): ٢٢٢/١. وينظر: كتاب العين؛ الفراهيدي: مادة (جدل): ٧٩/٦.

٢ - لسان العرب؛ ابن منظور: (مادة: جدل): ١١/ ١٠٤ ؛ وينظر: تهذيب اللُّغة؛ الأزهري: مادة: (جدل):٦٥٢/١٠.

صاحِبَه على الجَدالَة. وهي الأرض الصّلبة... قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١]....، و: ﴿وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[٢])[٣] .

## مفهوم الجدل في الاصطلاح:

يتبيّن من ذلك أنَّ الجدل هو نوع من الممارسة العمليّة استعملت في المعنى المادي، ثمّ انتقلت إلى الفكريّ، في مفهومي الصّراع والنقض، ومنها كانت دلالته الاصطلاحيَّة. إذ يصدع المعجم الفلسفيّ في الكشف عن دلالة الجدل العلميّ في أنّه: طريقة في الاستدلال، ومنهج في المناقشة، والحوار[٤]، بين طرفين متنازعين[٥]. وقد أخذ معاني متعدّدة في المدارس الفلسفيَّة، منها: القياس المؤلّف من المشهورات، والمسلمات لإلزام الخصم، ودفع قوله، أو إفساده بحجة أو شبهة[٦]. ومنها: كونه عمليَّة ذهنيَّة ينتقل الذّهن فيها من قضية، ونقيضها إلى قضيّة ناتجة عنهما، ثُمّ متابعة ذلك للوصول إلى المطلق[٧].

والمعنى الأخير - في بعض من جوانبه أيضاً - مبني على طريقة في التَّرتيب المنطقيّ، وصور القياس الجدلي الذي يمثّله الأوّل.

وبعبارة أخرى: أنَّ المعنى الجدليّ يقوم على هيكلية قوامها (الفكرة + نقيضها

---

١ - سورة النحل: ١٢٥.
٢ - سورة الكهف: ٥٤.
٣ - تاج العروس من جواهر القاموس: (مادة: جدل):٧/٢٥٤ ؛ وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الأصفهاني: مادة: (جدل): ١٨٩-١٩٠.
٤ - ينظر: المعجم الفلسفي:٦٠.
٥ - ينظر: المنطق؛ محمد رضا المظفر: ٣٨٥، وما بعدها.
٦ - ينظر: التعريفات؛ أبو إسحاق الجرجاني: ٤٧.
٧ - ينظر: المعجم الفلسفي:٦٠. وهو منهج اتخذه جورج فردريك هيجل، واعتمده في فكره الفلسفي، ينظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة؛ ترجمة؛ فؤاد كامل: ٥١٢.

= المركّب الجديد)[١]، أي: أنّ (الفكرة تتصارع مع نقيضها، لبناء فكرة جديدة)[٢]؛ لبلوغ هدف معيّن[٣].

## مدى العلاقة:

ومن الإدراك المتقدّم، في رؤية مقاربة، يمكن أن يكون هذا المفهوم في موضوعنا: (جدلية البنية القصريّة)؛ لأنّه بصفة سياق فكري، تكتنفه قضيتانِ لا تجتمعان في الواقع، هما: الإثبات منطوقاً، والنّفي مفهوماً، في تركيب تحدّده قرائن تركيبيَّة ـ أسلوبيَّة وظروف قوليَّة، جعلت البلاغيّين يصفونها بالكُلِّيَّة في الخطاب البلاغيّ.

إذ إنَّ القصر أسلوب جدليّ في إطارهِ العامّ، تكونه قضيتان إحداهما: نقض، والأخرى: ضدّها، وهي: الإثبات، ينتج عنهما اعتماد أحدهما في السياق المستعملة فيه؛ لأهداف فنيّة بلاغيّة وسَمَتْ التّركيب القصريّ بالمثاليّة غير الاعتيادية في التّعبير.

فالصّياغة الفنيّة وتركيب العبارة القصريّة يمثل الفكرة الأولى، أو المقدمة الأولى أمّا نقضها، فيمثل مستواها المفهومي، المخالف لها، وهذه الأخيرة قد تأخذ شكلاً ظاهرياً في بعض نوعيات القصر كالعطف، ومنها ما يأتي على إدراكية الفهم الذي يستوحى من التّركيب، ودلالة النّصّ، وهي الطّرق الأسلوبية الأخرى كالنّفي والاستثناء، واستعمال (إنما)، والتّقديم، وغيرها،...

وبالعمليّة الدّلاليّة في النّفي: (الفكرة الأولى)، والإثبات: (الفكرة الثانية)، أو العكس، يتولد لنا أسلوب القصر بدلالته الجديدة، وهي المرّكب المتوخى في التَّعبير.

وفكرة صراع المتناقضات فيه، يمثّل الحوار الجدليّ بين طرفي البنية القصريّة في

١ ـ فلسفة التاريخ والحضارة: حامد حمزة: ١٧٣. وينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية؛ يوسف كرم: ١٧.
٢ ـ المصدر نفسه: ١٨٧.
٣ ـ ينظر: المصدر نفسه: ١٧٤، وجدلية أبى تمام؛ عبد الكريم اليافي: ٥ ، وما بعدها.

مفهومهـا البلاغـي، وفي هيكلها العام أعني: الإثبات، والنّفـي، أو العكس، حضوراً وغيابـاً، ظاهـراً وباطنـاً، أخـذاً ورداً، في سـياقه الـذي لا يكـون من دونـه؛ إذ إنَّه مـن المحال أن تسـتقطع جملة ما منه؛ لأنّه أحـد (أسـس تحليل المعنى)[١]، فيها، والكشـف عن دلالتها.

فالجدل القصريّ، إذن، يمثِّل كلّ تعبير - بنواته الجملة - تضمّن فكرة منشئه التي يريد أن يرسلها إلى متلقٍ ما بجهات الخطاب الكُلِّيَّة، وهذه الفكرة، أعني: نسبة الحكم، الـذي فيها إنشـائي، أم إخبـاري - قد تتراوح بين ما هو مثبت، أو منفي، أو شـموليّة ذلك في التّعبير الـذي تتوزع المعية فيه - إنشاءً - بين النّصّ وتشكيله، أو المفهومية في دلالتـه، وإيحائـه، وآنيته (معاً في آن واحد)، أو بالتّسلسـل الفكريّ، والتّدرج المعنوي، وهـذه - في تصوري - هي كُلِّيَّة مدارك قراءة الخطاب البلاغيّ لبنية القصر.

ومـا مقولـة تخصيـص شيء بآخـر - كمـا سـيأتي في حـدّ البلاغيّـين - إلا تطبيق انحصـار وعـي أصولها المنطقيَّة، في بعدها الفني، في اتّصاف الإسـناد الحدثي منه، أو الاسميّ في الإيجابيَّة، أو السَّلبيَّة في جهاته الخطابيَّة، فـي مدارٍ أسلوبيّ هدفه - فضلاً عن دلالة التَّوكيد، وشـدّته - قصد بلاغـيّ فنّي، وجماليّ إبداعيّ.

وعـلى ذلـك التَّصوُّر المدرك سـأقوم بتحليل أسـاليب القصر البلاغيَّـة في الصَّحِيفَة السَّـجَّادِيَّة، مـع بـذل حمادى الجهد في اكتنـاه دلالاتها، وقصارى السّـعي في معرفة أبعادهـا الفنيَّة، وأسرارهـا الجماليَّة.

١ - اللُّغة العربية معناها ومبناها؛ تمام حسان: ٣٣٧.

# دلالة القصر

## القصر في اللغَة:

والقـصر يُقـال له الحصر أيضاً معناه: الحبس والعجـز والإلزام، والاكتفاء، وعدم المجـاوزة، ونهايـة الـشّيء، وغايتـه ومنتهاه، جـاء في معجم مقاييس اللُّغـة: (القصر: القاف والصّاد والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على إلَّا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخـر على الحَبْس، وَهما أصلان متقاربان..)[١]. يقال: قَصَرْتُ الشيءَ بالفتح أَقْصُرُهُ قَصْراً: حبسـته، ومنـه مَقْصورةُ الجامع. وقَصْرُكَ أن تفعـل ذاك، وقُصاراك أن تفعل ذاك بالضم، وقَصاراكَ أن تفعل ذاك بالفتح، أي غايتك وآخر أمرك وما اقتصرت عليه. وقَـصَرتُ عـن الشيء قُصوراً: عَجَزت عنـه ولم أبلغه. يقال: قَصَرَ السـهمُ عن الهدف. وقَـصُر الـشيءُ بالضم يَقْصُرُ قِصَراً: خـلافُ طالَ. وقَصَرْتُ من الصـلاة بالفتح أَقْصُرُ قَـصْراً. وقَـصَرْتُ الشيءَ على كذا، إذا لم تجاوز به إلى غيره. والتَقْصير في الأمر: التواني فيـه. والقَصـيرُ: خلاف الطويـل،.. والاقتِصارُ على الشيء: الاكتفاء بـه. وأَقْصَرْتُ عنه: كففت ونزعت مع القدرة عليه، فإن عجزت عنه قلت: قَصَرْتُ، بلا ألفٍ. واسْـتَقْصَرَهُ، أي عدَّه مُقَصِّراً[٢].

وفي اللسان: (القَصْرُ والقِصَرُ في كل شيء: خلافُ الطُّولِ؛.. وهما لغتان... والقَصْرُ: خلاف المَدِّ،.. يقال: قَصْرُك أَن تفعل كذا أَي حسـبك وكفايتك وغايتك، وكذلك قُصارُك وقُصـارَاك، وهـو من معنـى القَصْرِ الحَبْسِ؛ لأَنـك إذا بلغت الغاية حَبَسَـتْك،.. وامرأَة قـاصِرَةُ الطَّـرْف: لا تَمُدُّه إلى غير بعلها،.. يقال: قَصَرْتُ نفسي على الشّيء إذا حبسـتها عليـه وأَلزمتها إِياه،. وقَصَرَ الشيءَ يَقْصُره قَصْراً: حبسـه؛.. وامرأَة قَصُورَة وقَصيرة:

١ - معجم مقاييس اللُّغة: ابن فارس: مادة (قصر): ٤٠٤/٢.

٢ - ينظـر: الصحـاح؛ الجوهـري: مـادة (قـصر): ٥١٦/٢، وأسـاس البلاغـة؛ الزمخـشري: مـادة (قـصر):٢٥٦/٢، ومفـردات غريـب القـرآن؛ الراغب الأصفهانـي: مادة (قـصر): ٦٧٢-٦٧٣.

مَصُونة محبوسة مقصورة في البيت لا تُتْرَكُ أَن تَخْرُج .. قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[١] أَي محبوسات في خيام من الدُّرِّ مُخَدَّرات على أَزواجهن في الجنات؛.. وقال الفرّاء في تفسير مَقْصورات، قال: قُصِرْنَ على أَزواجهن أَي حُبِسْن فلا يُرِدْنَ غيرهم ولا يَطْمَحْنَ إِلى من سواهم...)[٢]، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[٣] و: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾[٤] و: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ﴾[٥]ويقال: قصره على الأمر: رده إليه، و عن الأمر قصوراً، والمقصورة الدّار الواسعة المحصنة، لا يدخلها إلا صاحبها واقتصر عليه لم يجاوزه.[٦]

ولا يفوتني أن أذكرَ أنّ البلاغيّين استعملوا مادة (حَصَر) في معنى القصر، والمعجم العربي- حقاً - يفتينا بأنّهما مترادفان على خصوصيّة (حَصَر) في معنى محدد، دون (قَصَر) في المعنى المتعدد، بيد أنهما يدّلان على الحبس، وعدم المجاوزة، وإنْ كانت مادة (حَصَر) أكثرَ دقّة في المعنى البلاغيّ؛ لانّ دلالتها تجمع بين شيئين: الجمع والمنع، المكوّنين للحبس والحصر. قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (الحصر: الحاء والصادر والرّاء أصل واحد، وهو الجمع والحبس والمنع. والحصر العيّ كأنّ الكلام حبس عنه ومنع منه، والحصر ضيق الصدر...)[٧]، وجاء في اللسان: (قيل: حَصَرَني الشيء وأَحْصَرَني أَي حبسني. وحَصَرهُ يَحصِرهُ حَصْراً: ضيق عليه وأَحاط به. والحَصِيرُ: الملكُ، سمي بذلك لأَنه مَحصُورٌ أَي محجوب؛. والحَصِيرُ: المَحْبِسُ. وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[٨]؛... وقال القتيبي: هو من حَصَرْته أَي حبسته، فهو محصور... وهذا حَصِيرُه أَي مَحْبِسُه، وحَصَرَهُ المرض: حبسه، على

١ - سورة الرحمن: ٧٢.
٢ - لسان العرب؛ ابن منظور: مادة (قصر): ٥/٩٥-٩٨. وينظر: معاني القرآن؛ الفراء: ٣/ ١٢٠.
٣ - سورة ص: ٥٢.
٤ - سورة الصافات: ٤٨.
٥ - سورة الرحمن: ٥٦.
٦ - ينظر: القاموس المحيط؛ الفيرزوآبادي: مادة (قصر): ٤/٢٠٢-٢٠٤.
٧ - معجم مقاييس اللّغة؛ مادة (قصر): ١/ ٣٠٠.
٨ - سورة الإسراء: ٨.

المثل... قال ابن السكيت: يقال أَحصره المرض إذا منعه من السّفر أَو من حاجة يريدها وأَحصره العدوّ إذا ضيق عليه فَحصِرَ أَي ضاق صدره...)[١].

ودلالة المادتين: (قَصَر، حَصَر) لها امتدادها في تحديد الصّفة الرسميّة للتّعريف الاصطلاحي، ومفهومه عند البلاغيّين.

والجدير بالإيماء أنَّ المادتين قد وردتا في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة[٢]، بتصاريفهما الاشتقاقيَّة إذ جاءت مادة: (قَصَر) في: (٢٨) ثمانية وعشرين موضعاً[٣]، بل نجد - أحياناً - بعضاً من الأدعية تتصدرها مادة (قصر)[٤]؛ للدلالة على المعاني المتقدّمة، كقوله «عليه السلام»:

(الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوهامُ الْوَاصِفِينَ)[٥]. و: (وَاسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْتُ فِيهِ، وَاسْتَعِينُ بِكَ عَلَى مَا عَجَزْتُ عَنْهُ)[٦]. و: (أَللَّهُمَّ إِنَّ أَحَداً لاَ يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً إِلَّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْراً، وَلا يَبْلُغُ مَبْلَغاً مِنْ طَاعَتِكَ وَإِن اجْتَهَدَ إِلَّا كَانَ مُقَصِّراً دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَشُكْرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ

١ - لسان العرب؛ ابن منظور: مادة (حصر): ١٩٣/٤-١٩٤.

٢ - بوصفها من وثائق الاستشهاد اللغوي؛ إذ إنّ الإمام "عليه السلام" استشهد في سنة: (٩٥هـ) على أصح الروايات. ينظر: ترجمة الإمام (عليه السلام): الإرشاد للشّيخ المفيد: ١٧٨؛ إعلام الورى في أعلام الهدى؛ الطّبرسيّ: ٢٥٦، وما بعدها، ووفيات الأعيان؛ ابن خلكان: ٢٦٦/٣-٢٦٩، وكشف الغمة في معرفة الأئمة؛ ابن أبي الفتح الأربلي: ٢٨٥/٢-٣٢٨، وسير أعلام النبلاء؛ شمس الدّين الذّهبيّ: ٤/ ٣٩٩، وبحار الأنوار؛ محمد باقر المجلسي: ٤٦/ ٥ وما بعدها.
من المعلوم أن النحويين حددوا نهاية عصر الاستشهاد إلى منتصف القرن الثّاني الهجريّ، قال عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ): (خُتم الشعر بإبراهيم ابن هرمة وهو آخر الحجج)، ابن هرمة (توفي ١٦٧هـ)، ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٨/١، والرّواية والاستشهاد باللُّغة؛ محمد عيد: ١٤٩-١٥٠.

٣ - ينظر: الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ٣٣، ٤١، ٦٥، ٦٧، ١٠١، ١٠٧، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٥٢، ١٦٨، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩، ٢١٨، ٢٤٤، ٢٦٤، ٢٤٧، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٤.

٤ - ينظر: المصدر نفسه: كدعائه "عليه السلام"، السابع والثلاثين في معنى "إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر"، ودعائه "عليه السلام"، الثامن والثلاثين، " في الاعتذار من تبعاتِ العباد ومن التقصيرِ في حقوقهم وفكاك رقبته من النّار.

٥ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ٣٣.

٦ - المصدر نفسه: ٦٥.

شُـكْرِكَ وَأَعْبَدُهُمْ مُقَصِّرٌ عَـنْ طَاعَتِكَ،..)[١]. و: (وَقَدْ قَصَّرَ بِيَ السُّـكُوتُ عَنْ تَحْمِيدِكَ، وَفَهَّهَنِي الإمْسَـاكُ عَـنْ تَمْجِيدِكَ، وَقُصَارَايَ الإقْرَارُ بِالْحُسُورِ لاَ رَغْبَةً ـ يا إلهي ـ بَلْ عَجْزاً،...)[٢]. وقوله: (هَذَا مَقَامُ مَنِ اعْتَرَفَ بِسـبوغِ النِّعَمِ، وَقَابَلَهَا بِالتَّقْصِيرِ، وَشَـهِدَ عَـلَى نَفْسِـهِ بِالتَّضْيِيعِ)[٣]. و: (وَلكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازَيْتَهُ عَلَى الْمُـدَّةِ الْقَصِيرَةِ الفَانِيَةِ بِالْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الْخَالِدَةِ،...)[٤].

فدلالـة (قَـصَر) في تلك النّصـوص بتصاريفها: (قَصُر: فَعُـل؛ للزومه، وقصَّر: فعّل لكثرته، ومُقصّر: اسـم الفاعل، وقصارای، والتّقصير: المصدر، والقصيرة: الصّفة)، لا تخرج عن معنى التّواني في الشّيء، ودلالة العجز، وعدم القدرة والبلوغ ومنتهاه، مع الاعـتراف بذلك، فضلاً عن خلاف الطّـول، والقطع في الأخير منها.

وأمّـا مـادة (حَصَرَ) فلم ترد إلا مرةً واحدة في قوله «عليه السلام»: (أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَخَلِّصْنِي مِنَ الْحَسَدِ، وَاحْصُرْنِي عَن الذُّنُوبِ، وَوَرِّعْنِي عَنِ الْمَحَارِمِ،...)[٥]، وهي بدلالة المنع والحبس[٦].

## القصـر في الاصطلاح:

تصـف المدوَّنة البلاغيَّة القصر بأنّه: (تخصيص أمـر بآخر بطريق مخصوص)[٧]. أو هـو: (إثبـات الحكـم للمذكـور ونفيه عمّـا عـداه)[٨]. بمرجعيَّة الفكرة الإسـناديَّة،

١ ـ المصدر نفسه: ١٤٤.
٢ ـ المصدر نفسه: ١٨٤.
٣ ـ المصدر نفسه: ٢١٨.
٤ ـ المصدر نفسه: ١٤٦.
٥ ـ المصدر نفسه: ٩٩.
٦ ـ مـن نافلـة القـول أن مادّة (جدل) لـم ترد في الصَّحِيفَة السَّـجَّادِيَّة البتة، اللهـم إلا في (جداول)؛ صفحة: ٢١٧.
٧ ـ الإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ١٠٧/٣. وينظر: شروح التلخيص: ٢/ ١٦٦.
٨ ـ الإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ١٠٧/٣. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١٣٦/١.

وقضايا النِّسبة التّكوينيَّة، بين أنواع الكلم، ودلالاتها المعنويّة؛ لأنّ المعنى لا يكون إلا بين شيئين متصورين[١]، وكذا تخصيصه - المعنى - لا يقوم بطرف واحد، بل لا بدّ له من طرفين مخصّص، ومخصّص فيه.[٢]

فالنِّسبة الّتي يقتضيها التَّخصيص، بدهيّاً، على ذلك تستلزم منسوباً ومنسوباً إليه، فإن كان المخصص منسوباً فهو الصّفة، وإن كان منسوباً إليه فهو الموصوف. قال السّكاكي (ت٦٢٦هـ): (وحاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف[٣] عند السامع بوصف دون ثان...)[٤].

والمراد بتخصيص أمر بآخر: الإخبار بثبوت الشّيء الثّاني للأول دون غيره، والقصر على إطلاقه يستلزم النّفي والإثبات، منطوقاً ومفهوماً.

فهنالك علاقة بين (التَّشكيل الإسناديّ)، و(الإسناد القصريّ)،- إذا جاز لنا التَّعبير- في أنّ كلاً منهما عبارة عن نسبة بين شيئين: هما ركنا الحكم. أي: المسند، والمسند إليه، والمقصور، والمقصور عليه. زيادة على دلالة الحكم فيهما تخصيصاً أو سواه.

وبمعنى آخر: أنّ الصّياغة التشكيليّة فيها ملحظان؛ الأوّل: تركيبيّ، وهو المتقدّم في التَّخصيص، والإسناد. والثّاني: دلاليّ، وهو الهيكل الجدليّ العامّ نفياً وإثباتاً في البنية القصريَّة.

## ميدان البنية القصرية

لكلّ دلالة في تركيب ما إذا كانت تشع منه - ميدان ومنطلق، وميدان بنية القصر هو الجملة (اسميَّة أكانت أم فعليَّة)، ومكوِّناتها الوظيفيَّة التَّكوينيَّة والتَّكميليَّة، قال

١ - ينظر: دلائل الإعجاز؛ عبد القاهر الجرجاني: ٤٠٥.
٢ - ينظر: الوشاح على شرح المختصر؛ محمد الكرمي: ق١/ ٢٩٦.
٣ - ينظر: حاشية الدسوقي على شرح المختصر لسعد الدين التفتازاني؛(ضمن شروح التلخيص): ١٦٦/٢.
٤ - مفتاح العلوم: ١٣٩.

السّكاكيّ (ت٦٢٦هـ): (اِعلم أنَّ القصر كما يجري بين: المبتدأ والخبر فيقصر المبتدأ تارةً على الخبر والخبر على المبتدأ أخرى، يجري بين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول وبين المفعولين وبين الحال وذي الحال وبين كلّ طرفين،...)[١]. وهو أمر يحاكي التّكوين الإسناديّ - كما تقدّم - في: الموصوف ووصفه، وفي: المسند والمسند إليه؛ لذلك كانت دائرة الإسناد هي ميدانه الأسلوبيّ.

وعلى هذا فإنَّ (القصر يمارس مهمته الإنتاجيَّة في منطقة الإسناد وما يتعلّق بها من الفضلات، وهذه المهمّة الإنتاجية تجمع بين وظيفتين على صعيد واحد، هما الإثبات والنفي، إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه، أي أنَّ المهمة تمارس فاعليتها في الحضور والغياب)[٢] السّياقيّ.

إنَّ رؤية التّعريف الّتي انطلق منها البلاغيّون تكمن في وصف الجملة، وتركيبها الأسلوبي ضمن دائرة الرّبط الدّلاليّ في الإسناد، الذي هو علاقة بين المسند والمسند إليه[٣]، وحول هذه العلاقة (تطوف جهات التَّخصيص ومعاني النحو، ولا يمكن الوصول إلى أية جهة تخصيصيَّة لعلاقة الإسناد إلا بالأخير)[٤].

والقصر تقييد لهذه الحركة التَّلازميَّة الإسناديَّة في الجملة من خلال التَّفاعل الوظيفيّ الحاصل بين مجموع الكلم في بنية القصر البلاغيَّة.

## أركان القصر وعناصره

حدّد البلاغيون على وفق ذلك التّصوُّر الحديّ لبنية القصر أركانه ومرتكزاته

١ - مفتاح العلوم؛ السكاكي: ١٣٨؛ وينظر: عروس الأفراح؛ بهاء الدين السّبكي؛ (ضمن شروح التلخيص): ١٦٦/٢.
٢ - البلاغة العربية قراءة أخرى؛ محمد عبد المطلب: ٢٦١.
٣ - ينظر: دراسات نقدية في النحو العربي؛ عبد الرحمن أيوب: ١٢٦.
٤ - الجملة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة؛ عماد جبار كاظم: ١٤.

الأساسيَّة وأقسامه، وتنوّعاته التَّركيبيَّة، والفروق الدّلاليّة الّتي بينها. فهو: (تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص)[١]، فعناصره واضحة جلية في الحدّ.

فالشّيء الأوّل؛ هو المقصور عليه: وهو الشّيء الذي نريد أن نخصصه بالمقصور ونحبسه به. أمّا الشيء الثاني؛ فهو المقصور: وهو الذي نريد أن نقصره على المقصور عليه، والعلاقة الذهنية التي بينهما هي: النّسبة القصرية وهي نسبة تقييدية للجملة بطريقة أسلوبيّة معينة كما تعارف عليه البلاغيون في: النّفي والاستثناء، أو استعمال العطف، أو إنّما أو في التّقديم، وغيرها...[٢].

## أقسام القصر

وقسّموا القصر على أساس غرض المتكلّم على قسمين: قصر حقيقيّ، وإضافيّ؛ لانّ جهة التّخصيص إمّا أن تكون على حسب الحقيقة، أو بالإضافة إلى شيء آخر. جاء في مواهب الفتّاح: («وهو» أي القصر (حقيقيّ وغير حقيقيّ) أي: ينقسم إلى: ما يسمّى حقيقيّاً، والى ما يسمّى غير حقيقيّ وهو الإضافيّ...)[٣]؛ ذلك لأنّ (تخصيص الشّيء بالشّيء إمّا أن يكون بحسب الحقيقة وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوز إلى غير أصلاً وهو الحقيقيّ أو بحسب الإضافة إلى شيء أخر بأن لا يتجاوز إلى ذلك الشيء وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة وهو غير الحقيقيّ بل إضافي كقولك: ما جاء زيد إلا قائم بمعنى أنه لا يتجاوز القيام إلى القعود لا بمعنى أنه لا يتجاوزه إلى صفة أخرى أصلاً..)[٤]، فكلاهما يتضّمن: حكمين؛ الأوّل: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عمّا عداه وكلاهما حقيقة. والثاني: إثبات الحكم للمذكور ونفيه عن غيره مجاز[٥].

---

١ - الإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ١٠٧/٣؛ وينظر: شروح التلخيص: ٢/ ١٦٦.
٢ - ينظر: شروح التلخيص:٢/ ١٦٦، والإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٧.
٣ - مواهب الفتاح؛ أبو يعقوب المغربي؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢/ ١٦٦.
٤ - شرح المختصر؛ التفتازاني؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢/ ١٦٧-١٦٨.
٥ - ينظر: عروس الأفراح؛ بهاء الدين السبكي؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢/ ١٦٦.

وبعبارة أخرى إنّ القصر الحقيقي: ما كان غرض المتكلم فيه أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره أصلاً[١]، بحسب الحقيقة والواقع[٢] كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[٣]. والمنفي فيه يكون عامّاً، والمقصور مختص بالمقصور عليه منفي عن كلّ ما عداه[٤]. حقيقة وواقعاً.

وأمّا القصر الإضافي: فهو أن يختص المقصور عليه بحسب الإضافة، والنّسبة إلى شيء معين بحيث لا يتجاوزه إلى ذلك المعين[٥]، كقولنا: زهير شاعر لا كاتب فالمراد: قصر زهير على صفة الشعر بحيث لا يتجاوزها إلى صفة معينة محددة وهي صفة الكتابة وهذا لا ينافي أن يكون لزهير صفات أخرى كالخطابة مثلاً ، والمنفي فيه يكون أمراً محدداً ومعيناً[٦].

ثم قسّموا القصر الحقيقيّ أيضاً بملحظ غرض المنشئ كذلك على قسمين: قصر حقيقي تحقيقيّ: وذلك إذا كان المنفي فيه عامّاً يتناول كل ما عدا المقصور عليه، والمقصور مختصّ بالمقصور عليه بحسب واقع الحال، وحقيقة الأمر[٧] كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ﴾[٨]. فغفران الذنوب مختصّ به - سبحانه وتعالى.

وقصر حقيقي ادّعائي: هو اختصاص المقصور عليه بحيث لا يتعداه إلى غيره ادعاءً، ومجازاً، ومبالغةً[٩]، نحو؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

---

١ - ينظر: علم المعاني؛ بسيوني عبد الفتاح فيود: ٢٢٩، وعلم المعاني؛ عبد العزيز عتيق: ١٦٦.
٢ - ينظر: جواهر البلاغة؛ أحمد الهاشمي: ١٨٣، وعلم المعاني؛ قصي سالم: ١٤٦.
٣ - سورة الأنعام: ٥٩.
٤ - ينظر: علم المعاني؛ بسيوني عبد الفتاح فيود: ٢٢٩.
٥ - ينظر: جواهر البلاغة؛ أحمد الهاشمي: ١٨٣، وعلم المعاني؛ حسن طبل: ١٥٢.
٦ - ينظر: علم المعاني؛ بسيوني عبد الفتاح فيود: ٢٣٠.
٧ - ينظر: الإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ١٠٧/٣، وعلم المعاني؛ بسيوني: ٢٣٠.
٨ - سورة (آل) عمران: (١٣٥)
٩ - ينظر: المطول؛ التفتازاني: ٣٨٣، وشروح التلخيص: ١٦٩/٢، والمعاني في ضوء أساليب القرآن؛ عبد الفتاح لاشين: ٢٤٧، وعلم المعاني؛ بسيوني: ٢٣٢.

مِـنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاءُ﴾ [١]؛ لعدمية الاعتـداد بغير الصّفة عند قـصر الموصوف عليها أو بغـير الموصـوف عند قصر الصّفـة عليه[٢].

وبينوا أنّ القصر مطلقاً حقيقياً أكان أم إضافيّاً يقسّـم بحسب طرفيه على قسمين: قـصر صفة عـلى موصوف، وقصر موصوف على صفة، قـال القزويني (ت ٧٣٩هـ): (القصر حقيقيّ وغير حقيقي، وكلّ واحد منهما ضربان: قصر الموصوف على الصّفة، وقصر الصفة على الموصوف...)[٣].

وهـو تقسـيم قائم على التّرتيـب المكاني لعناصر القصر في عمـق التّكوين الدّلاليّ في جهته التّخصيصيّة، والقسـمة وإن كانت مراعاة للجانب الشّكلي - الصّياغة البلاغية - في داخل إطار البعد الفني.

فقـصر الموصوف على الصّفة: (هـو أن يتجاوز الموصوف تلك الصّفة إلى صفة أخرى لكن يجوز أن تكون تلك الصفة لموصوف آخر...)[٤] كقولنا: ما زيد إلا كاتب. إذا أردنا أنَّه لا يتصف بصفة غير الكتابة. قال القزويني (ت ٧٣٩هـ): (وهذا لا يكاد يوجد في الكلام؛ لأنّه مـا مـن متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر)[٥]، ومن المحال ثبوت صفة واحدة للموصوف وقصرها عليه، ونفي ما عداها نفياً شاملاً [٦].

أمَّـا قـصر الصّفة على الموصوف فهو: (أن لا تتجاوز تلك الصّفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر لكن يجوز أن يكون لذلك الموصوف صفات أخرى...)[٧]، وهـذا (منه

١ - سورة فاطر: ٢٨.
٢ - ينظر: عروس الأفراح؛ السبكي؛ (ضمن شروح التلخيص): ١٦٩/٢.
٣ - الإيضـاح في علـوم البلاغـة؛ القزوينـي: ١/ ١١٨. و:شروح التلخيـص: ١٧٨/٢، والإتقـان في علوم القرآن: ١٠٧/٣.
٤ - شرح المختصر؛ التفتازاني؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢/ ١٦٩. وينظر: المطول: ٣٨٢.
٥ - الإيضاح في علوم البلاغة؛ القزويني:١١٨/١.
٦ - ينظر: شروح التلخيص: ١٦٨/٢، وعلم المعاني؛ عبد العزيز عتيق:١٧٠، وجواهر البلاغة ١٨٥.
٧ - شرح المختصر؛ التفتازاني:١٦٩/٢.

كثير كقولنا: ما في الدّار إلا زيد، والفرق بينهما ظاهر، فإنّ الموصوف في الأوّل لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة، وفي الثاني يمتنع. وقد يقصد به المبالغة؛ لعدم الاعتداد بغير المذكور، فينزل منزلة المعدوم)[١].

ونبهوا على مرادهم من الصّفة هنا، وهي: الصّفة المعنوية لا النّعت النّحويّ؛ لأنّه لا يقع قصر بين نعت ومنعوته[٢]، قال الدّسوقي: إنّ (النّعت النّحوي لا يدخل في شيء من طرق القصر فلا يعطف ولا يقع بعد إلا ولا بعد إنما ولا يتقدم ولا يتوسط بينه وبين منعوته ضمير الفصل وليس مسندا ولا مسندا إليه... فالمراد نفيه بالكليّة أي لا يصح في باب القصر إذ لا يأتي قصره بطريق من طرقه..)[٣].

أمّا بالنّسبة لحالة المخاطب وإدراكه فهو - القصر منه الإضافي فحسب - على ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقلب، وتعيين. قال القزويني (٧٣٩هـ): إن كلاً من نوعي القصر (تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو مكان أخرى، والثاني منه تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكان آخر)[٤].

فإذا اعتقد المخاطب الشّركة في الحكم بين المقصور عليه، وغيره سّمي القصر (إفراداً)؛ لقطع الشّركة التي توهمها، وإذا اعتقد مخالفة الحكم الذي يريد أن يثبته بالقصر، فهذا يسمّى قصر (القلب)؛ لقلبه حكم السّامع، وإذا كان المخاطب متردداً في الحكم بين المقصور عليه، وغيره فهذا يسمى قصر (تعيين)؛ لتعيين ما ليس كذلك عند المخاطب[٥].

---

١ - الإيضاح في علوم البلاغة؛ القزويني:١١٨/١.
٢ - ينظر: حاشية الدسوقي على شرح المختصر: ١٦٩/٢، وعلم المعاني بسيوني: ٢٣٧.
٣ - حاشية الدسوقي: ١٦٩/٢
٤ - الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ١١٨.
٥ - ينظر: المصدر نفسه: ١١٨/١-١١٩، والمطوّل: ٣٨٤، وشروح التلخيص: ٢/ ١٧٨، وعلم المعاني؛ عتيق:١٧٢، وعلم المعاني؛ حسن طبل: ١٥٢، والبلاغة العربية؛ فنونها وأفنانها؛ فضل حسن: ٢٨١؛ ما بعدها.

إنّ شجرة تقسيم بنية القصر، ومكوناته الخطابيّة كانت تقوم على مستويات من الإدراك المعرفيّ في نظريّة التَّلقِّي، وصناعة الجدل الخطابيّ في البنية القصريّة بين طرفيه: المبدع، والمتلقي.

والحركة الدّلاليّة في تلك البنيّة تعتمد على مستويين؛ هما: المستوى العميق، والمستوى السّطحي، ولا يمكن الوصول إلى الأخير إلا بالاعتماد على مجموعة من التّحولات العميقة وصولا إلى البنية السّطحيّة[١].

فالحكم التّخصيصي لأسلوب القصر مرةً يتسلّط من قبل المنشئ لحالة الخطاب على الموصوف، وأخرى على الصّفة، ومن هناك تأتي مقولة: إنّ (حركة المعنى في بنية القصر مزدوجة)[٢]، إذ (تبدأ الحركة من (الموصوف) لتتسلط على (الصفة) ليستأثر بها هذا الموصوف، وكأنّه لا صفة سواها،...أما الحركة الثّانية للمعنى فإنّها تبدأ من (الصفة) لتنحصر في (الموصوف) وكأنّه لا موصوف لها سواه...)[٣]، فضلاً عن اعتماد حركة الذهن التقديريّة[٤] في تحقيق القصر الحقيقي التحقيقي، أو الادّعائي.

ثم انّ استحضار المتلقّي إلى رحاب الصياغة الأدبيّة، أو افتراض ذلك - هو أساس في إنتاجية بنية القصر؛ لمواجهة فكره، لإلغائه، أو تعديله[٥] على مستويات عناصر الخطاب الفني: قصر الصّفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة وفي: الإفرادي، والقلبي، والتّعييني منه.

وكلٌ في حدود الأداء البلاغيّ الذي ليس يكون (له وجود فعلي إلا بوجود طرفين أساسيين، هما المنشئ والمتلقي، وللأول دوره الإنتاجي، وللثاني دوره الاستهلاكي،

١ - ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى؛ محمد عبد المطلب: ٢٦١.
٢ - المصدر نفسه: ٢٦١.
٣ - الصدر نفسه: ٢٦١-٢٦٢.
٤ - ينظر: الصدر نفسه: ٢٦٣.
٥ - ينظر: الصدر نفسه: ٢٦٣.

أمـا المادة الخاضعـة...)[١] لذلك، فقد تكـون ذات مواصفات دلاليّـة، ضمن إطار بنية القصر، التي تستدعي من (التّحرك الإبداعي... التّعامل مع الطّرفين على درجة متساوية من الأهمية...)[٢]. في حدود السياق.

ومن كلّ ما تقدم من أسـاس تلك الفرضيـات القانونية، وصولاً إلى دراية ما منها، يُطرَحُ التّساؤل الآتي: هل يمكن أنّ نفهم جماليات بنية القصر في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، ذلكـم النّـصّ الأدبي الرائع على تلك المعطيات المكونة لمفهومه عند علماء البلاغة ؟ أ لنا اسـتكناه بنيته الدّلاليّة؟ والأحوال النّفسـيّة الّتي جاء عليهـا؟ والمعاني التّركيبية الّتي تضمّنها؟ وبعدُ، معرفة جهاته الخطابية؟

إنّ الجـواب عـلى ذلك، قد يكون في بعضـه بالإثبات، وفي الآخر - الأغلب الأعمّ منه- بالنّفي بالكليّة[٣].

إنَّ بلاغـة التّعبـير بأسـلوب القـصر في الصَّحِيفَة السَّـجَّادِيَّة لا يمكـن صرفها - في الغالـب - إلى منطقيّـة الـسّرد الخطابـيّ، أو مكوناتـه المتمثلـة: في المنشـئ، والمتلقي، والتّراكيب الإفهامية الإبداعيـة الّتي بينهما؛ أعني: الجملة المختصّة بأسـلوب القصر؛ لضرورة مسألة حتمية تتبـادر إلـى الذّهن مفادها: العبادة الدعائية، ومَدَيَات العلمِ الإلهـيّ (إذا جاز لنا القولُ، ووصفه: بالمتلقي أو المخاطب)، وعائديّة العرفان الإيماني الّذي لدى الإمام السّـجاد «عليه السلام» المنشئ.

قـد يُفهَم بعضُها في دلاليّـة الخطاب القصريّ الحقيقـيَّ التّحقيقيّ في مواطن منه، والحقيقيَّ الإدّعائيّ في أخرى، عند الدّاعي الشّـاعر بالذّنب، المعترف بالخطيئة، بإقباله على ربّه، واستحقار نفسه.

---

١ - الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني؛ محمد عبد المطلب:١٩٤.

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ١٩٤.

٣ - سنفصل القول في ذلك في قابل المباحث إن شاء الله تعالى.

بيد أنَّه ليس كذلك في تنوعات القصر الأسلوبيّة بلحاظ المخاطب (المتلقّي)؛ في: (الإفرادي، والقلبي، والتّعييني).

وكيف ذلك والدّعاء (يقوم من حيث المظهر الخارجي على (المحاورة الانفرادية)... ومن حيث المظهر الدّاخلي... على عنصر (الوجدان))[1] بين العبد وخالقه؟!.

هل يمكن لنا أن نقطع الشّركة في العلم الرّبانيّ، أو نقلب حكمه، أو نثبت تردده - حاشا لله سبحانه، وسع ربيّ كل شيء حكماً، وعلماً، وهو أرحم الراحمين.

لا بدّ، إذن، من الارتكاز على شخصية الدّاعي (المنشئ)، وثقافته، ورؤاه اليقينيّة، وترسيخ ذلك البعد الخطابي في جميع دلالاته النَّفسيّة.

أو القول: إنَّ بلاغة الجملة فنياً في الدّعاء تقتضي ذلك في استعمال أسلوب دون سواه على حسب إجراءات الخطاب في ذلك السّياق المفعم بأنوار التّضرع، وأشعة الخشوع.

أو من منظار أخر بعد النّظرة المتقدمة، وهي عمودية الدّعاء بين العبد وربّه، في محرابه القلبي، أقول: جواز ذلك في بعض أحوال تراكيب القصر، وأسلوبه، إذا تأملنا في أفقيّة الدّعاء، في شأن المجتمع، وظهوره، وتلقيه على أنَّه لتوجيههم، وانعكاس ذلك البعد السّلوكيّ في نفوسهم، والنّهج على منواله في عبادتهم، في التّمثيل الخارجي.

أو قصد الدّاعي توجيه معانيه؛ لاستماع الآخرين له، مع رؤية حالاتهم الخطابيّة. ولتوضيح ذلك دونك المخطط الدّلاليّ الأتي:

١ - القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي؛ الدكتور محمود البستاني: ٢٨٨.

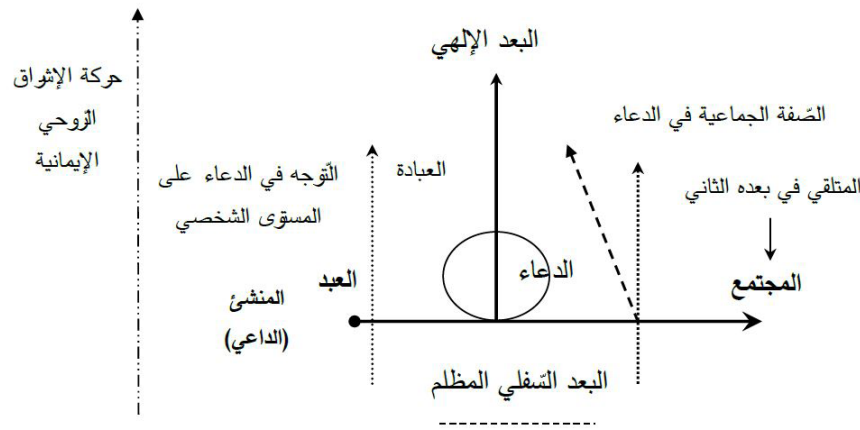


أو هب فرضيّة المحاورة الوجدانية الشّخصيّة الّتي يعيشها الدّاعي عند حالات التّضرُّع والخشوع، وطلب الرّحمة والمغفرة. أو التّجرّد من النّفس، وإحلالها مَحلّ المتلّقي على أنّها أمامَه مخاطباً إيّاها بوصفها شخصاً آخر...، فالمتلّقي هو المنشئ، والمتكلّم هو المخاطب، وكما في الرّسم الآتي:

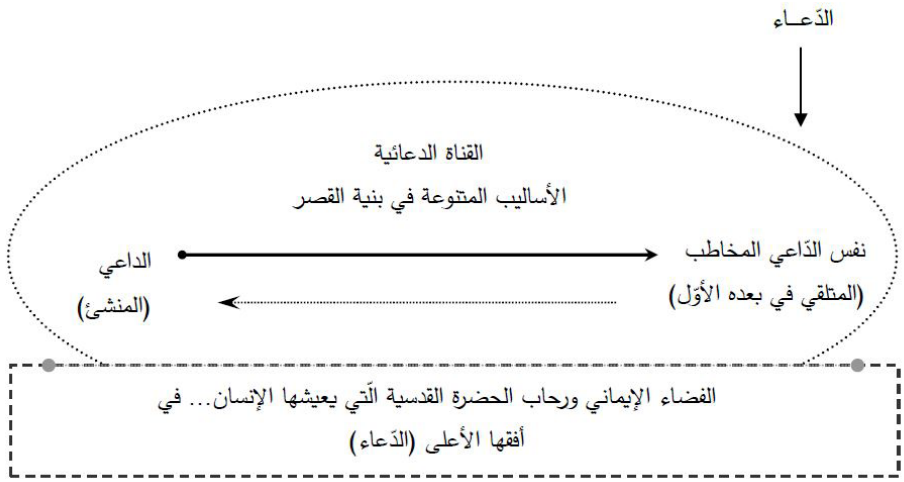


إذا جاز ذلك، يمكن توجيه تنوعات القصر بحسب الاحتمالية في أعلاه في: الإفرادي، والقلبي، والتّعييني. فمرة قد يعتقد أنّ نفسه تحكم بالشّركة بطابع الجدل،

فيسقط ذلك، ومـــرة يلغي حكمها، ويقلبه إلى أخر، ومرة ثالثة تتردد، فيعين لها؛ أي: أنّ الثنائيّــة في الخطاب، والمحاورة النّفسـيّة هي المرجع في التّفسـير الدّلاليّ، والتّوجيه المعنويّ، وهكذا. وسـيأتي بيان ذلك - إن شـاء الله تعالى.

ولكـي نكـون على درجة من البيان والإيضاح، لا بـدّ لنا من معرفة تراكيب الطّرق القصريّـة، وروافدها الجدليّة، وفنونها الأسـلوبية، وتعدادتها الوظيفيّة؛ ابتغاءَ ولوج مضامينها الدّلاليّة، فـي مناحي كلياتها الخطابيّة، في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة.

# الفقرة الثّانية
# طرائق القصر

## الجملة، أسّ أساليب القصر.

مـن المسـلّم بـه أنَّ الخطاب الأدبيّ ينبني عـلى اللُّغة[١]، ولا ريـب في أنَّ كلّ لغة لها عبقريتهـا في تكوينـه نواته [٢] - الجملة - فهو لا يعدو أن يكون سلسـلة من الكلمات التـي تنتظم داخـل الجمل، وإذا كان الخطـاب الأدبيّ نظاماً لغوياً فـإنَّ ما يميّزه من بقية الأنظمة اللُّغويَّة هو جانبه الفنّي. وهـذه السلسلة المفرداتيَّة لا تكتسب قيمتها إلا إذ ربطناهـا بجانب النِّظام الدَّلالي [٣].

ومـن المعلـوم أنَّ النِّظـام الـدَّلاليّ في المفهـوم الحديـث لا يقتـصر (علـــى الألفاظ

١ - ينظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث؛ توفيق الزبيدي: ٧٣.
٢ - ينظر: دفاع عن فن القول؛ عبد الكريم غلاب: ٣٦.
٣ - ينظر: دفاع عن فن القول؛ عبد الكريم غلاب: ٣٦.

المفـردة عـلى نحو ما يجري في المعجمات، إنَّما يشـمل هـــذا الجانب ويشـمل دراسـة المعنى علـــى مستوى التَّراكيب، ومـــن ثمّ كان هناك السيمانتيك المعجمي (Lexical Semantics) والسيمانيـــتك النّحوي (التركيبي) (Syntactic Semantics) ويلتقي هذا الفرع في كثير من جوانبه مع «نظرية النظم» عند عبد القاهر الجرجاني إذ كلاهما يحاول الكشف عن المعنى ودراسة مشكلاته عن طريق النحو وقواعده...)[١].

وبمـا أنَّ دلالـة الجملة تعتمد (جزئياً على معنى الكلمـات الّتي تتكوّن منها... والعامل الآخر ولا شكّ تركيبها النّحوي)[٢] كانت دراسة الخطاب البلاغي - القصر - من وجهة نظر (تركيبيَّة تفضي حتماً إلى اكتناه دلالته، لأنَّ التّركيب متى افتقد الدَّلالة افتقد قيمته الفنيَّـة)[٣]، فضلاً عن التَّواصليَّة الإبلاغيَّة.

ولا جـرم أنَّ تكثيـف الطّاقـة الإيحائيَّـة في بلاغـة الخطاب لا تكون إلا على وفـــق نواميس اللُّغة [٤]، ومجموعة الكلمات الّتي تتألف منها الجملة، ليست هي معناها الكليّ بل هـــو حصيلة تركيب هذه المفردات في نمط معين حسب قواعد لغوية محددة [٥].

وهنـا تأتـي أهميّة دراسـة الهياكل اللغويّـة، وتحليلها في مسـتوى التّركيب ابتغاءَ كيفيّة الانتقال من الدّال إلى المدلول [٦] (الدلالة) في الخطاب على وفق قواعده، وطرائق تركيبـه؛ لأنّ الأخير له ذلك [٧].

وحين كانت الدّراسة، هاهنا، بصدد الكشف عن غايات القصر، وبيان مضامينـــها

---

١ - دراسـة المعنى عند الأصوليين؛ سـلمان حمودة: ٢، وسـيكولوجية اللُّغة والمرض العقلي؛ جمعة يوسف: ٣٩، وما بعدها.

٢ - اللُّغة والمعنى والسياق؛ جون لاينز: ٢٤. وينظر: دلالة الألفاظ؛ إبراهيم أنيس: ٤٨.

٣ - أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: ٧٣.

٤ - ينظر: المصدر نفسه: ٧٥.

٥ - ينظـر: التقديـر وظاهـرة اللفـظ؛ داود عبـده: ٦، ومـن أسرار اللُّغـة؛ إبراهيـم أنيـس:٢٩٥، وإحيـاء النَّحـو؛ إبراهيـم مصطفـى:٢

٦ - ينظر: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث: ٧٦.

٧ - ينظر: النقد والأسلوبية؛ عدنان بن ذريل: ٥٥.

الأسلوبية، وأسبابها في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، فليس لي من بدٍ من استدعاء مكونات الجملة التّركيبية؛ التأليفيّة منها والدّلاليّة؛ للوقوف على مرجعيتها قاعدةً لرؤية واضحة عن أسلبة البنية القصريَّة، ودلالاتها الانفعاليَّة، والعاطفيَّة الرّوحيَّة، في ذلك الجو العباديّ العميق.

سبق القول: إنَّ الجملة هي الصّورة الذهنيّة للكلام المفيد، الّتي تفصح عن معنى مستقلٍ بنفسه [١]. تتألف من مجموعة من العناصر، يشكل مجموعها نظامها اللغوي العامّ، ويسهم تكوينه الكليّ في جلاء المعنى الدّلاليّ. ويمكن أن يلحظ هذا من ناحيتي التّركيب، والدّلالة، والتفاعل الوظيفيّ القائم بينهما [٢].

فمن ناحية منطقها النّحويّ، بوصفها قضيّة فكريّة حكميّة [٣] تتألف من: المسند إليه، والمسند: (المبتدأ، والخبر)، (الفعل، والفاعل، أو نائبه)، والإسناد: وهو العمليّة الذّهنيّة الّتي تعمل على شدّ المسند بالمسند إليه [٤]، في شكلي التأليف النَّحويّ: الجملة الاسميَّة والفعليَّة. وعلى الإسناد كما تقدَّم تطوف جهات التَّخصيص ومعاني النَّحو المعهودة في نظريَّة النّظم عند عبد القاهر الجرجاني.

أمّا من ناحية مغزاها الدّلاليّ - وهو ما خرج عن قضية إسنادها - فمن المفاعيل الخمسة، والتّوابع، والحال، والتّمييز. وهذه تخدم (الفعل والاسم) في جهة دلاليّة معينة. ومن الأدوات، وحروف المعانيّ، وهي كثيرة، فضلاً عن تنوّعها، إذ إنَّ لها أثراً بيّناً في إنشاء بُعْد دلاليّ متوخّى في قصد المعنى الذي تعبّر عنه الجملة [٥]، كأدوات

١ - ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه؛ مهدي المخزومي: ٣١.
٢ - ينظر: الجملة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ١٥.
٣ - ينظر: نقد الآراء المنطقية وحل مشكلاتها؛ هادي كاشف الغطاء: ٣٢٧، ومدخل إلى علم المنطق؛ مهدي فضل الله: ٨٩.
٤ - ينظر: كتاب سيبويه: ٢٣/١، والمقتضب: ١٢٦/٤، وشرح التسهيل؛ ابن مالك: ١٤/١، وشرح الكافية في النَّحو: الرضي: ٨/١-٩، وهمع الهوامع: ٥٢/١، وفي النحو العربي نقد وتوجيه؛ مهدي المخزومي: ٣١.
٥ - ينظر: الجملة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ١٥.

أساليب القصر مثلاً، وبعد، معنى المفردة وصيغتها، وتأليف الجملة - نفسها - وترتيب مكوّناتها، في التَّقديم والتَّأخير، ومحتواها الصّوتي [١].

وكلّ ما يمتّ إلى المعنى الَّذي تؤدّيهِ الجملة يدخلُ في إطارها الدَّلاليّ العام [٢].

ومن معنى ما تقدّم تظهر لنا مجموعة من الثّوابت والمتغيرات في التّوليف الجمليّ، وكلّ حسب السّياق، والإبداع النّحويّ في ذلك التّكوين (يربط بين «النِّظام»، الثابت و«الأداء» المتغير، فهناك نظام أو نموذج فكريّ لا يتحقّق ولا يظهر للواقع إلا عن طريق الاستعمال..) [٣]، فضلا عن التّفاعل الحاصل بينهما، وهذا (هو الذي يقوم بدور فعال في تفسير الجملة وإعطائها معناها..) [٤] الدَّلالي.

فهناك تفاعل بين عناصر التّكوين النَّحويّ والدَّلاليّ، (فكما يمّد العنصر النَّحويّ العنصر الدَّلاليّ بالمعنى الأساسيّ في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمدّ العنصر الدّلاليّ العنصر النَّحويّ كذلك...) [٥]، إذ (يقوم العنصر الدّلاليّ للمفردات المختارة في بناء الجملة إيجاباً أو سلباً بالعمل أحياناً على اختيار وجه معيَّن من أوجه العلاقة النَّحويَّة، وهنا يكون بناء الجملة أو سطحها الخارجيّ هو الذي يؤدِّي إلى اختيار البنية الأساسية أو البنية العميقة الممكنة للجملة وفقاً لقوانين المفردات) [٦].

---

١ - ينظر: المحيط؛ محمد الأنطاكيّ:٩١/٢، واللُّغة العربية معناها ومبناها؛ تمام حسان:٢٠١-٢٠٤، واللسانيات؛ عبد السلام المسدي: ٥٥-٥٦، والتّطور الدّلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن؛ عودة خليل عودة: ٧٣، ومعاني النَّحو: ١١/١، وعلم اللُّغة بين التراث والمناهج الحديثة؛ محمود فهمي حجازي:٦٦-٦٧، ووصف اللُّغة العربيّة دلاليّاً؛ محمد يونس علي:٢٧١، والجملة العربيّة أقسامها وتأليفها:٢٧، ومعاني الأبنيّة في العربيّة: فاضل السّامرائي:٦. وما بعدها، والإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم: ٣١، والأسلوب؛ أحمد الشايب:٧٣.

٢ - ينظر: الجملة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ١٨.

٣ - النحو والدلالة؛ عبد اللطيف حماسة: ١٩.

٤ - المصدر نفسه: ١٩.

٥ - المصدر نفسه: ١١٣.

٦ - المصدر نفسه: ١٣٨.

وإذا كانت الفنون القولية تعتمد على الكلمات أي المفردات اللغوية بكل ما تحمله من دلالات أولية، وطرق ترتيب هذه الكلمات، إذ إنّها لا تترتب إلا في جمل بينها تواشج، أو علاقات نحوية توجد للكلمة قرائنها السياقية التي تظهر بها [١] - فإنّ بنية القصر الدّلاليّة هي نسيج من ذلك التفاعل الكلمي في أسلوبها العام ، ودلالتها التّخصصيّة.

وبغية بيان ذلك نستدعي حدّ البلاغيّين لبنية القصر، وهو: اختصاص شيء بشيء بطريق مخصوص [٢]، فأساس الرّسم الحدّي يستند إلى عناصر التّكوين المؤلفة للجملة، وهي العناصر النّحوية والدّلاليّة المتقدمة. وقد تقدم هيكله، وتشكيله البنائي والدّلالي، وطرق استعمالها وتفاعلها هو الَّذي يظهر بنية القصر بآفاقها الدّلاليّة، أعني: التّخصيص وأبعاده الفنية، ولاسيّما أسبابه اللفظية المكونة له، سواء أكانت بالجانب الوضعي أم الذّوقي على حدّ تعبير البلاغيين [٣]

وهي بشكل عامّ الأدوات المستعملة فيه، كأدوات العطف، واستعمال (إنّما)، والتّقديم إنشاءً ومعنًى، هدفاً، وغايةً.

إذ إنّ المعاني الّتي تؤديها الأدوات جميعاً هي نوع من التّعبير عن علاقات في السّياق، وواضح أنّ التعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي فلا بيئة للأدوات خارج السّياق؛ لأنّها ذات افتقار متأصل إليه [٤]، ولا يمكن تفسيرها، وكشف دلالتها الحرفيّة إلا به.

وقد تطرأ على الجملة عوارض لها أحوال مختلفة تبعاً لمناسبات القول وعلاقات المقام، قد تستعمل فيها أدوات خاصّة، تتصل بالجملة، فتسبغ عليها معنًى من المعاني، وتصوغها في أسلوب معين من أساليب التّعبير [٥]. تعرف بهِ.

---

١ - ينظر: المصدر نفسه:١٧٠، والبلاغة والأسلوبية؛ محمد عبد المطلب: ١٩٧.

٢ - ينظر: شروح التلخيص: ٢/ ١٦٦، والإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ٣/ ١٠٧.

٣ - ينظر: حاشية الدسوقي على شرح التلخيص للتفتازاني: ١٨٦/٢، والوشاح على شرح المختصر؛ محمد الكرمي: ق٣٠٢/١

٤ - ينظر: اللُّغة العربية، معناها ومبناها؛ تمام حسان:١٢٧.

٥ - ينظر: في النحو العربي، نقد وتوجيه: ٢٣٠، والأدوات النّحوية؛ أبو السعود حسن الشاذلي: ٤٧.

والقصر هدفٌ ودلالة، تربط بين أجزاء الجملة بمعنى الأداة تكونه أسلوباً؛ فناً وجمالاً، في بنية التّعبير الخطابيّة، وقد ألمعَ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٨٤هـ) إلى الرّبط الدّلاليّ المكون بالاستعمال الحرْفيّ، بين أجزاء الجملة حينما تكلم على نظرية النّظم، وتعليق الكلم الحرفيّ على أقسام: منها ما يتعلق بمجوع الجملة وأجزائها؛ لأنّها معان من شأنها (أن تتناول ما تتناوله بالتقييد وبعد أن يسند إلى شيء) [١]. إذ إن المعنى لا يكون إلا بين شيئين متصورين [٢].

والمعنى القصري هو تقييد تصوري زائد لدلالة قصدية على الإسناد، ومكوناته النّحويّة لا ينشأ مغزاه الإبداعي إلا بذلك التّعلق الكيفي بين أجزاء الجملة، وتكوينها الأسلوبي في النّفي والإثبات، مع مراعاة اقتضاء السّياق والمقام الداعي لها.

ومن الملحظ المتقدم كانت التّحليلات البلاغية، ومراصدها في طرائق القصر، وأساليبه، على النّحو الآتي.

## طرق القصر، وأسبابه:

القصر - كما تقدَّم بنا القول - معنى دلاليّ تقييديّ يتحرّك مفهومه في الكيفيَّة الّتي تشترط أن تكون عليه الجملة في السّياق المقاميّ. وهذه الدَّلالة الأسلوبيَّة تارةً تكون بترتيب معيَّن بين عناصر الأسلوب الجمليّ، بسمة ذوقيّة في بعض أسبابه، وأخرى باستعمال معنى نحويّ أو بدخول أداة على عنصري التَّخصيص (المقصور، والمقصور عليه)؛ فيتولّد المعنى الفنيّ لأسلوب القصر البلاغيّ.

وقد رصد البلاغيُّون الهيكليَّة الصّياغيّة الّتي تؤدّى دلالة القصر، ومهمتها

---

١ - ينظر: دلائل الإعجاز: مدخل الكتاب، صفحة: (ر).

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٤٠٥. قال عبد القاهر: ((إنّه ما من كلام كان فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشيء إلا كان الغرضَ الخاصّ من الكلام والذي يقصد إليه ويزجى القول فيه..))، دلائل الإعجاز: ٢١٧.

الإنتاجيّة، على المستوى السّطحيّ في مجموعة أسباب اتّفق أغلبهم عليها في امتداد أفق السّياق، ومستويات الأداء اللّغويّ بين: اعتياديّة الخطاب، في نقل الأفكار من غير تأثير. ومثاليّته: في التّأثير في الأذهان بالصّور الخياليّة والمجازيّة وما توحيه تلك المدلولات من ظلال المعاني الّتي تسبح بها الأذهان فوق ما تحمله من تلك الألفاظ، والعبارات[١] من دلالة.

بمعنى أنّه قد يؤدّى معنى القصر بغير طرقه المعهودة، من استعمالات المادّة اللّغويّة [٢]، والجداول المعجميّة، في مفهومها العام، بيد أنّها لا تحمل في تضاعيفها - في الغالب الأعم - تلك المعاني الفنيّة بعناصرها الجمالية، في الجهات التّخصيصيّة لأسلوبِ القصر البلاغيّ.

ومن منطلق تلك المثاليّة في الأداء الفنّي كانت الرؤية البلاغيّة مسوّرة اصطلاحاً في طرق معينة بدأها السّكاكي (ت٦٢٦هـ) بحروف العطف بـ(لا، ولكن، وبل)، وثناها

١ - ينظر: من أسرار اللُّغة: ٢٩٩، ودور الكلمة في اللُّغة؛ استيفن ألمان: ٩٢، ووصف اللُّغة دلالياً؛ محمد يونس: ١٦٠، ومنهج البحث اللغوي؛ علي زوين: ٩٢.

٢ - نجد في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة من ذلك البعد الدلاليّ - بغير سمة الأسلوب القصري - مواداً لغويّة استُعْمِلت في المعنى القصريّ، ومفهومه التناقضي، ومنها ما كان من المادة نفسها بيد أنّها لم تفده - حسب التوكيد -، فمن الأوّل: قوله "u": ((أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي..)): ١٢١. فالحصر هنا يتجلّى بالمادة اللغوية (خصّ)، وفي استعمالها السّياقي فالربّ سبحانه، هو المخصوص بذلك الرجاء والدعاء والنداء ليس سواه. وكذا دعاؤه: ((أَللَّهُمَّ يَا مَنْ خَصَّ مُحَمَّداً وآلَهُ بِالْكَرَامَةِ وَحَبَاهُمْ بِالرِّسَالَةِ وَخَصَّصَهُمْ بِالْوَسِيلَةِ وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءِ وَخَتَمَ بِهِمُ الأَوْصِيَاءَ وَالأَئِمَّةَ وَعَلَّمَهُمْ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا بَقِيَ وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ.)): ٢٣٥. فالله سبحانه هو الذي خصّ النبي العظيم، وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتلك الخصائص، والمميزات وكفى بذلك فخراً - دون غيره على سبيل القصر الحقيقي التحقيقي، إذا جاز لنا قول ذلك. ومن الثاني، قوله "u" و: ((أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَسَلاَمِكَ، وَاخْصُصِ اللَّهُمَّ وَالِدَيَّ بِالْكَرَامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلاَةِ مِنْكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)): ١٠٥، و((مَا أَفْشَى فِيْنَا نِعْمَتَكَ وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنَّتَكَ، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ!)): ١٧٣. فالمادة (خصّ)، هنا - ليست مختصّة بمعناها المفهوم اللهم إلا التأكيد الدلالي.

بالنفي والاستثناء، وبعْدُ، باستعمال (إنّما)، ثم ختمها بالتقديم، قال [١]: وللقصر طرق أربعة: أحدها: العطف، وثانيها: النفي والاستثناء، وثالثها: استعمال (إنَّما)، ورابعها: التّقديم. وانقض بعضهم طريق العطف [٢]، في حين زاد آخرون «ضمير الفصل»، وتعريف المسند والمسند إليه بـ(أل) الجنسيّة [٣]، وحدا لبعضهم استقرائها إلى أربعة عشر أسلوباً [٤].

والحقّ أنَّه قد يكون بعض منها داخلاً في أصالة القسمة - القائمة على أسس استقرائها - الأمر الذي يقدح فيها، من عدم تداخل الأنواع من الجهة الفنيّة، في التّعريف الاصطلاحيّ، أمّا بعضها الآخر؛ وهي «ضمير الفصل وتعريف الجزأين»، ففي عدميّة دخوله البنيّة القصرية، ورسمها الحدّيّ، على الرّغم من رسوخ دلالتها، ومفهومها الحصريّ عند البلاغيّين، فيه نظرٌ [٥]. فقد جاء في مواهب الفتاح: («وللقصر طرق» أي: أسباب لفظية تفيده وهي كثيرة منها تعريف الجزأين وفصل المبتدأ بضمير الفصل وقولك مثلاً جاء زيد نفسه وقولك زيد مخصوص بالقيام دون عمر والمذكور للمصنف (يعني القزويني) هنا أربعة وإنّما لم يذكر غيرَها لأنَّ الغير إمّا أنَّه ليس معدوداً من طرق اصطلاحاً كالتّأكيد المعنوي كقولك جاء زيد نفسه كما تقدم وإمّا أنَّه مخصوص بالمسندين كضمير الفصل والأفيد ذكر ما يعمّ وإمّا لأنّه عائد إلى هذه الأربعة كـ(بل) الّتي هي للإضراب و(لكن) للاستدراك (ولا) للعطف لأنها ترجع إلى معنى العطف ولم يقل في عدها وهي كذا وكذا بل أتى في عدّها بـ(من) المقتضية للتبعيض وإلى ذلك أشار بقوله (منها) أي: من طرق القصر) [٦].

---

١ - ينظر: مفتاح العلوم: ١٣٩، بتصرف، وشروح التلخيص: ١٨٦/٢.
٢ - ينظر: عروس الأفراح؛ بهاء الدّين السبكي؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢/ ١٨٧.
٣ - ينظر: المصدر نفسه: ١٩٧/٢، والإتقان في علوم القرآن: ٣/ ١١٢.
٤ - ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٠٨/٣، وما بعدها.
٥ - سيأتي مناقشة ذلك في قابل المباحث إن شاء الله تعالى.
٦ - مواهب الفتاح؛ أبو يعقوب المغربي؛ (ضمن شروح التلخيص): ١٨٦/٢. وينظر: المطول؛ التفتازاني: ٣٨٨.

وعند النّظر في النّصّ والتأمل في مرجعياته التّكوينة، نجد فيه قراءتين؛ الأولى: الاقتصار على توحيد طرق القصر بأصولها الأربعة، وهي: (النفي والاستثناء، واستعمال الحرف (إنّما)، وبعض من حروف العطف، والتّقديم). في مقام الفنيّة المثاليّة المستعملة، في التّوجيه الجماليّ البلاغيّ. والثانية: وجود الاحتمالية في دخول غيرها، في ذلك المستوى الأدائي في التّعبير مع الاتفاق على بعضها، وهي؛ ضمير الفصل، وتعريف الجزأين: المسند والمسند إليه، بدليل استعمال الحرف البياني التبعيضي (من)، وخروج غيرها من البنية القصريّة؛ ببرهان الفصل في مقولة: (والأفيد ذكر ما يعمّ)، ويشمل التّركيب الجملي عموماً.

وهذه الطّرق - على الرّغم من اختلاف مبادئها اللغويّة، وقوانينها النّحويّة؛ كونها واقعةً في أبواب مختلفة، لا علاقة لها في بعضها - تتوزّع بين المواضعة الفنيّة، بأدوات، وألفاظ وضعت لتدلّ على المعنى القصريّ، وبين السرّ الذّوقيّ، والحسّ التأمليّ.

والقاسم المشترك فيها هو مهمتها الدّلاليّة في العمليّة التّخاطبيّة؛ لإنتاج بنية قصرية تتضمن حكمين متناقضين؛ لهدف وغاية هما: الإثبات والنّفي، وبتفاعل مستوى السّطح في التّركيب المنطوق، مع العميق المفهوم منه.

وقد أدرك البلاغيّون ذلك، وهم في خضمّ بيان القيم الخلافيّة والدّلاليّة لكلّ طريق وأسلوب من أساليب القصر البلاغيّة، ومدى قوة طريقة على أخرى معنوياً في واقعها الخطابيّ، مع ملاحظة أساس التكوين التّعبيري فيها، وهو إدراك حالة المتلقّي، ومعرفة المتكلّم بذلك، فضلاً عن السّياق، يقول السّكاكيّ (ت ٦٢٦هـ)، وهو في معرض الإيضاح عن جامع هذه الطّرق، والفروق البلاغيّة فيها، يقول: (وهذه الطرق تتفق من وجه وهو أن المخاطب معها يلزم أن يكون حاكماً حكماً مشوباً بصواب وخطأ وأنت تطلب بها تحقيق صوابه ونفي خطئه...) [١].

١ - مفتاح العلوم: ١٤١.

وغرض الاستعمال في ذلك الطّلب الأدائيّ من المتكلّم على تنوعات البنيّة القصريّة (أمّا في قصر الإفراد فحكمه صواب في بعض وهو ما يثبته المتكلم وخطأ في بعض، وهو ما ينفيه وأمّا في قصر القلب فالصواب كون الموصوف على أحد الوصفين أو كون الوصف لأحد الموصوفين والخطأ تعيينه. وأمّا في قصر التّعيين فالصّواب أيضاً كونه لأحدهما والخطأ تجويز كلّ منهما في التساوي) [١].

أمّا اختلافها الجمعي فعلى قسمين، ومن جانبين: التّركيب الوضعيّ منه، والدّلالي الجدليّ يقول السّكاكي (ت٦٢٦هـ): (فالطّرق الأوّل الثّلاث (يعني: العطف والنّفي والاستثناء، واستعمال (إنما) دلالتها على التّخصيص بواسطة الوضع وجزم العقل ودلالة التّقديم عليه بوساطة الفحوى وحكم الذوق) [٢]، ثم قال - وهو يمثل الجانب الدّلاليّ الجدليّ لأساليب الطرق القصرية وأصولها الخطابية قال: (والطريق الأوّل (يعني: العطف) الأصل فيه التّعرض للمثبت وللمنفي بالنّصّ... والطّرق الأخيرة الأصل فيها النّصّ مما يثبت دون ما ينفي) [٣]، وبلاغة مفهومه، وعمقه الدلاليّ لا يتأتى إلّا من بلاغة المنطوق، والعبارة الظّاهرة؛ لأنّ الأخيرة هي الكاشفة عنه، الدالة عليه.

وما يعنينا من ذلك أسباب القصر وطرائقه في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، وإشعاعه الدّلاليّ في غياهب تلكم السّياقات الوجدانية والرّوحيّة، الّتي تفصح عن قصدها البلاغي، وحالة الدّاعي الفكريّة في ذلك الخط العباديّ العميق، الذي يعزف على أوتار العشق الإلهي؛ لإشاعة موسيقاه، في جوٍ عنفوانه التضرع والخشوع، والاسترحام والانقطاع، وبعدُ، مدى القدرة اللغوية، والتّمثيل الأدائي في تشكيل تلك الطّرق الأسلوبيّة، ورسم جمالياتها الفنيّة، ومزج ألوانها الدّلاليّة في سياقاتها الاستعماليّة.

لذا سأعمد إلى دراسة كل أسلوب على حدة من هذه الأساليب، وأفصل القول

١ - المطوّل؛ التفتازاني: ٣٩٣. وينظر: شروح التلخيص: ٢/ ٢٠٤.
٢ - مفتاح العلوم:١٤١.
٣ - المصدر نفسه: ١٤١.

فيه؛ بوصفها قنوات التّعبير الفني، وعناصر الخطاب الأدبيّ المكونة له؛ ذلك أنّ ما يميّز جملة ما في أسلوبها عن أخرى فيه، هو كيفية تنظيم وحداتها اللغوية، وتركيبها [١]، الخاضع لعملية الاختيار في السياق (والإمكانات الفردية المتنوّعة في الأداء، والقائمة على المقاصد الواعية) [٢]، مما ينحو به نحو الانفرادية والاستقلالية بمميزات خاصة [٣].

على أن أشرع بأساليب المواضعة اللَّفظيَّة بالأدوات، لأمور: كونها أدخل في ميدان بنية التركيب القصريّ على كثرتها، ودلالتها عليه هي الغالبة فيها دون ما سواها؛ ولقلّة غيرها، فضلاً عن معانيها الوضعيّة، على ذلك، المقابلة لذوقية غيرها في عُرف البلاغيين - وهذا أقوى [٤].

وأطوي صفحاً، وأعرض كشحاً عن البحث في أصولها ونشأتها التارخيَّة، بما يتعلق بجانب تأليفها وتكوينها الحرفيّ؛ لأنّ ذلك ليس من درسنا - هاهنا - إذ إنّ (مهمة النّحوي إيضاح ما استقرّ عليه المعنى الوظيفيّ الذي تؤدّيه الأداة ضمن الجملة، وترك البحث عن أصولها إلى غيره من فقهاء اللُّغة) [٥].

ولأبدأ بأسلوب النَّفي والاستثناء منها؛ لكثرته، بفصاحة الرّصد الإحصائي الذي أجريته لتراكيب الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، هذا من جانب، ومن آخر أنَّه الأصل، والمقيس عليه غيره [٦] من الأساليب الأُخَر في بنية القصر البلاغيّ. وبعدُ أسلوب القصر بالعطف؛ لتعدّد استعماله، وإعراب بنية حصره صراحة عن النقيضين: الإثبات والنَّفي، واستعمال (إنَّما)، ومن ثَمَّ الأساليب الذوقية في طريق التَّقديم والتّأخير، على أن لا أترك الطّرائق

١ - ينظر: أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث: ٧٣.
٢ - جدلية الإفراد والتركيب؛ محمد عبد المطلب: ١٣٣.
٣ - ينظر: أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث: ٨٣، والأسلوب؛ أحمد الشايب: ١٨٦.
٤ - ينظر: الوشاح على شرح تلخيص المفتاح: محمد الكرمي: ق١/ ٣٠٢.
٥ - البحث النحوي عن الأصوليين: مصطفى جمال الدين: ٢٠٧-٢٠٨. وينظر: اللُّغة؛ فندريس: ٢١٦.
٦ - علم المعاني؛ بسيوني عبد الفتاح فيود: ٢٥٢.

الأخر، وهي ضمير الفصل، وتعريف الجزأين [١]؛ لامتدادها الدَّلاليّ، وبعدها الأفقي في التَّكوين الأسلوبيّ لبنية القصر، وإيجاد جدليّته، فضلاً عن الأساليب الأخر،...

إنَّ كلّ أسلوب من هاتيك الأساليب يُعدّ مفتاحاً للإبداع الفني، والجمالي في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، والإمام «عليه السلام» فيها لا يقتصر على واحد منها دون سواه – فضلاً عن طواعيتها له – في الأدب الدّعائي؛ إذ إنَّ لكلّ طريق منها في اتخاذ سلوكه (نكهة وذوقاً وكمالاً وثمرة في حركة الإنسان إلى الله...) [٢] تعالى، بالطّلب والدعاء قد لا تكون في الأسلوب الآخر.

١ - هذه المباحث قيد الإنجاز، كلّ في تركيبه الدلالي وعنوانه الأسلوبي، والأمر هاهنا في صفة المدخل التّمهيدي لها.

٢ - الحبّ الإلهي في أدعية أهل البيت؛ محمد مهدي الأصفى: ٨.

# قائمة المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم.

٢. أثر اللّسانيّات في النّقد العربيّ الحديث، توفيق الزّيدي، دار العربيّة للكتاب، ١٩٨٤م.

٣. الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن الشّافعيّ، ت ٩١١ هـ)، حقّق أصوله ووثق نصوصه: طه عبد رءوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د، ت).

٤. الأدوات النّحويّة وتعدد معانيها الوظيفية؛ د. أبو السّعود حسن الشّاذلي، ط١، دار المعرفة الإسكندرية، ١٩٨٩م.

٥. إحياء النَّحو، إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التّأليف والنّشر، مصر، ١٩٥١م.

٦. الإرشاد، الشّيخ المفيد (مُحمّد بن مُحمّد بن النّعمان العكبريّ البغداديّ،ت٤١٣هـ) تح: حسين الأعلميّ، ط٥، منشورات مؤسسة الأعلميّ، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٧. أساس البلاغة؛ الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية مركز تحقيق التراث - مصر، ١٩٧٢م.

٨. الأسلوب، دراسة بلاغيّة تحليليّة لأصول الأساليب الأدبيّة، أحمد الشّايب، ط٧، مطبعة السّعادة، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٩. الإعجاز الصّرفيّ في القرآن الكريم، دراسة نظريّة تطبيقيّة التّوظيف البلاغيّ لصيغة الكلمة، د. عبد الحميد أحمد يوسف الهنداويّ، ط١، المكتبة المصريّة، صيدا، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٠. إعلام الورى بأعلام الهدى، الطّبرسيّ (أبو الفضل بن الحسن، من أعلام القرن السادس الهجريّ)، قدّم له العلاّمة السّيّد مُحمّد مهدي السّيّد حسن الخرسان، ط٣، منشورات المكتبة الحيدريّة، النجف، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١١. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ (مُحمّد بن عبد الرحمن، ت ٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلّيّة اللّغة العربيّة بالجامع الأزهر، مطبعة السّنّة المحمديّة، القاهرة، (د، ت).

١٢. تاريخ الفلسفة اليونانية؛ ويوسف كرم، دار القلم، بيروت – لبنان، (د، ت).

١٣. التقدير وظاهرة اللفظ؛ داود عبده، مجلة الفكر العربي، العدد: ٨،٩، مارس ١٩٧٩م.

١٤. بحار الأنوار، المجلسيّ (مُحمّد باقر، ت ١١١٣هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٥. البحث النّحويّ عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

١٦. البرهان في علوم القرآن؛ الزركشيّ (بدر الدين مُحمّد بن عبد الله، ت ٧٩٤هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكُتُب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٧. البلاغة العربيّة – قراءة أخرى، د. مُحمّد عبد المطلب، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٧م.

١٨. البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، فضل حسن عباس، ط١، دار الفرقان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

١٩. البلاغة والأسلوبيّة، د. مُحمّد عبد المطلب، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب، مصر، ١٩٨٤م.

٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس؛ محمد مرتضى الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ، دار الحياة، بيروت.

٢١. الصحاح؛ تاج اللّغة وصحاح العربية؛ الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٥هـ)، تحقيق أميل يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٢٢. التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشعر ولغة القرآن، بين لغة الشعر الجاهليّ ولغة القرآن، دراسة دلاليّة مقارنة، د.عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٣. التّعريفات (معجم في المصطلحات)، الجرجانيّ (أبو الحسن عليّ بن مُحمّد بن عليّ المعروف بالسّيّد الشريف، ت ٨١٦هـ )، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٦م.

٢٤. تهذيب اللُّغة؛ الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد، ت ٣٧٠هـ)، حققه وقدم له: د. عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد على النجار، دار الكتب، (د. ت).

٢٥. جدلية أبى تمام؛ د. عبد الكريم اليافي، ط١، الموسوعة الصغيرة، العدد: ٦٦، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٦. جدلية الإفراد والتّركيب في النّقد العربيّ القديم، مُحمّد عبد المطلب، ط١، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٥م.

٢٧. الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، د. فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلميّ العراقيّ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٨. الجملة في الصَّحِيفَة السَّجادِيَّة؛ عماد جبار كاظم: (رسالة ماجستير)، إشراف: د. جواد كاظم عناد، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠٠٣م.

٢٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ، ط١٢، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت - لبنان (د.ت).

٣٠. حاشية الدسوقي على شرح مختصر البلاغة، للتّفتازانيّ، (ضمن شروح التّلخيص)، الدسوقي، (ت١٢٣٣هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، (د، ت).

٣١. الحب الإلهي في أدعية أهل البيت؛ الشيخ محمد مهدي الأصفى، ط١، الغدير، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٢. الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني؛ محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ١٩٩٥م.

٣٣. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، البغداديّ (عبد القادر بن عمر، ت ١٠٩٢هـ)، تح: عبد السّلام مُحمّد هارون، ط٢، دار الكتاب العربيّ، القاهرة، ١٩٦٧م.
٣٤. الدراسات نقديّة في النّحو العربيّ، د. عبد الرحمن أيوب، مؤسسة الصّباح، الكويت، (د، ت).
٣٥. دراسة المعنى عند الأصوليين؛ سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٣٦. دفاع عن فنّ القول، د. عبد الكريم غلاّب، دار العربيّة للكتاب، طبع بمطبعة دار القلم، تونس، ١٩٨٤م.
٣٧. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن، ت ٤٧٤هـ)، تح: السّيّد مُحمّد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.
٣٨. دلالة الألفاظ؛ إبراهيم أنيس، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
٣٩. دور الكلمة في اللُّغة؛ استيفن أولمان، ترجمه وقدم له وعلق عليه: د. كمال محمد بشر، ط٣، المطبعة العثمانية، مكتبة الشباب، ١٩٧٢م.
٤٠. الرواية والاستشهاد باللُّغة، دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللُّغة الحديث، د. مُحمّد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م.
٤١. سيرة أعلام النبلاء، الذهبيّ (شمس الدين مُحمّد بن أحمد، ت٧٤٨هـ)، تح: شعيب الأرنؤطي، ومأمون الصاغي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨١م.
٤٢. سيكولوجية اللُّغة والمرض العقلي؛ جمعة يوسف، سلسلة علم المعرفة، العدد: ١٤٥، الكويت، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.
٤٣. شرح التّسهيل، ابن مالك (أبو عبد الله مُحمّد جمال الدين، ٦٠٠- ٦٧٢هـ)، تح: عبد الرحمن السّيّد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.
٤٤. شرح الكافية في النّحو، لابن الحاجب (جمال الدّين أبي عمرو عثمان بن عمر، ٥٧٠- ٦٤٦هـ)، شرحه رضيّ الدين الاسترآباذي (مُحمّد بن الحسن، ت٦٨٦هـ)،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤٥. شرح المختصر لسعد الدين التّفتازاني (ت ٧٩٤هـ)، على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، (ت ٧٣٩هـ)، في المعاني، والبيان، والبديع؛ (ضمن شروح التلخيص): مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، (د، ت).
٤٦. شروح التّلخيص، مجموعة من الشّروح على تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، ت ٧٣٩هـ، طُبِع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، (د، ت).
٤٧. الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، ط١، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.
٤٨. الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)، تحقيق وتنسيق: علي أنصاريان، ط١، دمشق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٩. عروس الأفراح بهاء الدّين السبكي؛ (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاؤه بمصر، (د،ت).
٥٠. علم اللُّغة بين التّراث والمناهج الحديثة، د. محمود فهمي حجازي، سلسلة الكُتُب الثّقافيّة، جامعة حرّة، العدد: ٢٤٩، الهيأة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، ١٩٧٠م.
٥١. علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ط٢، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، ١٩٧٠م.
٥٢. علم المعاني، د. قصي سالم علوان، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٥م.
٥٣. علم المعاني، تأصيل وتقييم، حسن طبل، ط١، مكتبة الإيمان المنصوريّة، مصر، ١٩٩٩م.
٥٤. علم المعاني، دراسة بلاغيّة ونقديّة لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط٢، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، دار المعالم الثّقافيّة، الإحياء للنّشر والتّوزيع، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٥٥. فلسفة التاريخ والحضارة؛ حامد حمد حمزة، دار الطيف للطباعة، واسط، ٢٠٠٤م.

٥٦. في النّحو العربي، (قواعد وتدريبات)، د. عبد الحميد مصطفى السّيّد، لطيفة إبراهيم النّجّار، ط١، دار القلم للنّشر والتّوزيع، دولة الإمارات العربيّة المتحدة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥٧. في النحو العربي، نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، ط٢، دار الرائد العربيّ، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٥٨. القاموس المحيط؛ الفيرزوآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشافعي، ت ٨١٧ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥٩. القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي؛ د: محمود البستاني، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٦٠. كتاب سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السّلام مُحمّد هارون، ط٣، الناشر مكتبة الخانجي، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٦١. كتاب سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠هـ)، المطبعة الأميريّة، بولاق، ١٣١٦- ١٣١٧هـ.

٦٢. كتاب العين؛ (معجم)؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي: ت ١٧٥هـ تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط٤، مؤسسة دار الهجرة.

٦٣. كشف الغمّة في معرفة الأئمة، ابن أبي الفتح الأربليّ (أبو الحسن عليّ بن عيسى، ت ٦٩٣هـ)، مطبعة النّجف الأشرف، النّجف الأشرف، محرم ١٣٨٥هـ.

٦٤. لسان العرب (معجم)، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين مُحمّد بن مكرم، ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت – لبنان، (د، ت).

٦٥. اللسانيّات من خلال النّصوص، د. عبد السّلام المسدّيّ، ط١، الدّار التّونسيّة للنّشر، ١٩٨٤م.

٦٦. اللغة، ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، مُحمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، (د.ت).

٦٧. اللغة العربيّة، معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، ط٢، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب ١٩٧٩م.

٦٨. اللغة والمعنى والسّياق، جون لاينز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة، د. يوئيل عزيز، ط١، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٨٧م.

٦٩. المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها، مُحمّد الأنطاكي، ط١، مكتبة دار الشرق، بيروت، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.

٧٠. المدخل إلى علم المنطق (المنطق التّقليديّ)، د. مهدي فضل الله، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٧١. المطول، شرح تلخيص المفتاح، التفتازاني ( سعد الدين مسعود بن عمر ت ٧٩٢هـ)، تح: عبد الحسين الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.

٧٢. معاني الأبنية في العربيّة، د. فاضل صالح السّامرائي، ط١، الكويت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٧٣. معاني القرآن، أبو زكريا الفرّاء (يحيى بن زياد، ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي، و: مُحمّد عليّ النّجّار، ط١، مطبعة دار الكُتُب المصريّة، القاهرة ، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.

٧٤. معاني النّحو، د. فاضل السامرائي، ج:١، ج: ٢، وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، جامعة بغداد، بيت الحكمة، مطبعة التعليم العاليّ في الموصل، ١٩٨٦- ١٩٨٧م.

٧٥. المعاني في ضوء أساليب القرآن، د.عبد الفتاح لاشين، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.

٧٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السّيوطيّ (أبو الفضل جلال الدّين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ)، ط١، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدّين، دار الكُتُب العلميّة بيرو ت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٧٧. المعجم الفلسفي: وضعه مجمع اللغة العربية بالقاهرة بتقديم: د. إبراهيم مدكور، عالم الكتب بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٧٨. معجم مقاييس اللُّغة؛ ابن فارس (أبو الحسن أحمد بن زكريا، ت ٣٩٥هـ)، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٩م.
٧٩. مفتاح العلوم، السّكاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م.
٨٠. مفردات ألفاظ القرآن؛ العلامة الرّاغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.
٨١. المقتضب، المبرّد (أبو العباس مُحمّد بن يزيد، ت ٢٨٥هـ)، تح: مُحمّد عبد الخالق عظيمة، عالم الكُتُب، بيروت - لبنان، (د، ت).
٨٢. من أسرار اللُّغة، د. إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٧٥م.
٨٣. المنطق، مُحمّد رضا المظفر، ط٣، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، ١٣٨٨هـ، مجموعة المحاضرات التي ألقيت في كلّيّة منتدى النّشر بالنّجف الأشرف، مطبعة حسام، بغداد، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
٨٤. منهج البحث اللُّغويّ بين التراث وعلم اللُّغة الحديث؛ علي زوين، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
٨٥. مواهب الفتاح؛ أبو يعقوب المغربي؛ (ضمن شروح التلخيص): مطبعة عيسى البابي الحلبيّ وشركاؤه بمصر، (د.ت).
٨٦. الموسوعة الفلسفية المختصرة؛ ترجمة؛ نقلها عن الانجليزية إلى العربية: فؤاد كامل، وآخرون، منشورات مكتبة النهضة – بغداد، ١٩٨٢م.
٨٧. نحو المعاني، د. أحمد عبد السّتار الجواريّ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
٨٨. النحو والدَّلالة، مدخل لدراسة المعنى النّحويّ الدَّلاليّ، د. مُحمّد حماسة عبد اللّطيف، ط٣، القاهرة، ١٩٨٣م.

٨٩. نقد الآراء المنطقيّة وحلّ مشكلاتها، ويليه قائمة بالمغالطات، عليّ الشيخ مُحمّد رضا، مطبعة النّعمان، النّجف الأشرف، ١٣٨٣هـ.

٩٠. النقد والأسلوبية، بين النظرية والتطبيق (دراسة)؛ عدنان بن ذريل، منشورات مكتبة اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٨٩م.

٩١. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السّيوطيّ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة (د، ت).

٩٢. الوشاح على شرح المختصر لتلخيص المفتاح؛ القسم الأوّل: في المعاني والبيان، محمد الكرمي، المطبعة العلمية، قم، إيران، ١٤٠١هـ.

٩٣. وصف اللُّغة العربيّة دلاليّاً في ضوء مفهوم الدّلالة المركزيّة - دراسة حول المعنى وظلال المعنى، مُحمّد مُحمّد يونس عليّ، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، ١٩٩٣م.

٩٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدّين أحمد بن مُحمّد بن أبي بكر، ٦٠٨- ٦٨١هـ)، تح: د. إحسان عباس، دار الثّقافة، بيروت – لبنان، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.

# أسلوبيَّة القصر بالنّفي والاستثناء [1]

## دراسة تحليليّة في التّركيب الدّلاليّ لأساليب القصر في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة

## المقدّمة

### بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله، مصابيح الدُّجى، والعروة الوثقى. وبعد:

فهذه مقاربات في القراءة - في الفرض والاحتماليَّة والجدل - وصولاً لفهم أعمق لخلفيات النّصّ الدّعائيّ، ومرجعيات تكوينه، بوساطة رموزٍ أسلوبيّة - طرائق النّفي وآلياته، مع نسج الاستثناء، في المفرّغ منه - اتّخذت من البنية القصريّة قالباً، ومن ساحة القدس سياقاً، من داعٍ احترقت قنوات تعبيره الفنّي بنور معانيه الإلهية، وتوهّجت أسرار قصده بضوء مراميه الإنسانيَّة، فتجلّت دلالة مشاعة في جنسها، تُعرِب عَن مدى الإطلاق في استيعابه، وتفاعل تنفيذه في جدل الوجود.

---

١ - بحث منشور في مجلة جامعة واسط للعلوم الإنسانية. العدد: ٥، ذي الحجة ١٤٢٨هـ، كانون الأول، ٢٠٠٧.

النفي [١] والاستثناء [٢]

تتجلّى جدليّة المعنى القصدي لبنية القصر في كلّ أبعادها الفنيّة، ومصاديقها الجماليّة بهذا القالب الأسلوبي، إذ تظهر شبكته الدّلاليّة في الإنشاء والتّلقّي، والتّفاعل الوظيفيّ والدّلاليّ بين عناصر الجملة، وعلاقاتها التّركيبيّة، طبقاً للسّياق، ومقاماته الخطابيّة.

ففاعلية بنائهِ الأسلوبي تتكئ على الأداة ونوعيتها - على الرّغم من اختلافها - في ربط علاقة الإسناد، ومناحيها المعنويّة في جهات القصر البلاغيّة.

والارتكاز الإبداعي في (النّفي والاستثناء) يعتمد على ذلك الانسجام النسيجي بين عناصر التّركيب وعلاقاته الدّلاليّة، إذ يبدأ المعنى الدّلاليّ من الأداة ووظيفتها في الجملة، انتهاءً بتكوينها الأسلوبي وأنماطه الفنيّة.

والأداة الّتي يستمدّ منها التّركيب القصريّ سماته الجماليّة، وأهدافه الإنتاجيّة في هذا الأسلوب على قسمين؛ الأولى: أدوات المعاني [٣]: وهي التي تدخل على الجمل لتدلّ

١ -النفي في اللُّغة: هو الطرد والإخراج، يقال: نفَى الشيءُ يَنْفِي نَفْياً: تنَحَّى، ونفَيْتُه أنا نَفْياً؛ وانْتَفى شعرُ الإنسان ونَفى إذا تساقط. ونُفي الرجلُ عَن الأَرض ونَفَيْتُه عنها: طردته فانْتَفى، ونَفى الشيءَ نَفْياً: جَحَده، ونَفِيُّ الريح ما تَنْفي في أُصول الشجر من التراب ونحوه. والنَّفِيُّ: ما نَفَتْه الحَوافر من الحَصَى وغيره في السير. ينظر: الصحاح؛ الجوهري: مادة (نفى): ٦/٥٤٠-٥٤١، ولسان العرب؛ ابن منظور: مادة (نفى): ١٥/٣٣٦، والقاموس المحيط: ٤/٤٥٧.
والفرق بين النفي والجحد: هو الفرق بين العامّ والخاصّ، قال السّيوطي: ((والفرق بينه وبين الجحد أن النافي إن كان صادقاً سمي كلامه نفياً، ولا يسمّى جحداً، وإن كان كاذباً سمي جحداً ونفياً أيضاً... )): معترك الأقران:١/٣٢٢. لأنّ كل جحد نفي لا العكس، وعلى ذلك يجوز أن يسمّى الجحد نفياً، ولا يجوز أن يسمّى النّفي جحداً؛ لعموم النّفي. ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي:٢/٣٩١. وقال الرّاغب الأصفهاني: ((الجحود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه.. قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} سورة النمل/ ١٤)): مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٧. ومنه في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ((وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ ...)): ٣٨، و((وَأَقصَى الأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ،...)): ٣٩. بمعنى الإنكار مع العلم بذلك.
٢ - على وزن ((استفعال، وأصله من ثنيت عليه، أي: عطفت، وألتفت؛ لأنَّ المخرج لبعض الجملة منها عاطف عليها باقتطاع بعضها عن الحكم المذكور)). اللباب؛ العكبري: ١/٣٠٢.
٣ - ينظر: دراسات في الأدوات النحوية؛ مصطفى النحاس: ٣٣؛ واللُّغة العربية معناها ومبناها: ١٢٤ وما بعدها.

على معانٍ لَم تكن فيها من قبلُ، كأدوات النّفي: (ما، وليس، ولا،...)، وغيرها. والثّانية: أدوات الرّبط [١]: التي تعمل على ربط الأبواب المفردة في داخل البنية الإسناديّة كأدوات العطف والاستثناء بـ(إلّا) مثلاً الّتي هي أم الباب [٢].

فثمة تفاعل وتبادل في الوظيفة والأداء بين جميع هذه الأدوات، فضلاً عن عناصر الإسناد وعلاقاته الدّلاليّة، ولولا هذا المدّ التّفاعلي داخل السّلوك التّركيبيّ، هاهنا، لم يكن ثمّة ما يوصف بسمة أسلوبيّة القصر بـ(النّفي والاستثناء).

وقد تقدَّم القول: إنَّ الأداة تؤدي وظائف دلاليَّة هي نوع من التَّعبير عن علاقات في السِّياق، إذ ليس لها بيئة غيره؛ لأنَّها ذات افتقار متأصِّل إليه، وحين يكون الرّبط بين أجزاء الجملة كلّها بالأداة يكون معناها الأسلوبي [٣]، فالسّياق هو الذي يعطيها جمالها البلاغيّ، وسرّها الفنّي.

إنَّ النّفي والاستثناء هما عمادا نظرية القصر الدَّلاليّ؛ لأنَّ الهدف الغائيّ من استعمالهما في أسلوبه، هو الانعدام وعكسه، منطوقاً ومفهوماً، وذانك عنصرا بنية القصر، ومدار معناه الخطابي.

فالنّفي دعامته الأولى، والاستثناء دعامته الثانية، وبينهما مكونات التَّركيب في الإسناد الاسميّ، أو الفعليّ، وعلاقاته، وكلٌّ له طريقته، وأدواته، وسماته، وأسلوبه؛ إذ إنَّ التَّركيب في معناه الأولي قبل الارتباط بقناتي النّفي والاستثناء، يفصح عن دلالة معيّنة، وعند دخول النّفي بأدواته - على تنوعها، ودلالتها - تكوّن معنى ثانياً، وهي الفكرة المتحصّلة من الأداة، وانصهارها فيه، وبعدُ، تأتي عمليّة الخلع والانتزاع المعنوي بالإثبات المضاد بوساطة أداة الاستثناء، وسبك ذلك التَّراكم الفكريّ في بنية القصر ومغزاه الدَّلاليّ.

---

١ - ينظر: دراسات في الأدوات النحوية: ٣٣.
٢ - ينظر: اللباب؛ العكبري: ٣٠٢/١.
٣ - ينظر: اللُّغة العربية معناها ومبناها: ١٢٤ وما بعدها، والأدوات النحوية؛ حسن الشاذلي: ٤٧.

لقد تكلّم علماء العربيَّة (نحويّون، وبلاغيّون، ومفسّرون) على النّفي، وأدواته، وقواعده، ومعانيه الكلامية [١]، وعلام يتسلّط، وكيفية ذَلِكَ، بأبعاد تحليليّة غاية في الروعة والإكبار [٢].

وكذا الاستثناء فمنحى نظريته عندهم تنطلق من دراسة أنواعه ووظائف آلاته[٣]. فضلاً عن النّظرة الكلّيّة للجملة، وعناصر تركيبها فيه، وهو الأمر الذي أثار بعض المستشرقين، وحداه الإعجاب في هذا الباب بالقول: (وضعت العربيّة القواعد الدقيقة للاستثناء وأكثرت من حروفه وفرقت بينها في بعض الأحوال فصار الاستثناء فيها بابا مستقلا بنفسه لا يماثلها فيه إحدى سائر اللغات السّامية) [٤].

ولكي نقف على دلالة هذا الأسلوب، وكشف مغزاه الفنّي في إفادة القصر ـ تكون بنا حاجة لعرض أركان الاستثناء بصورة مقتضبة، ومدى علاقته بالنّفي.

الاستثناء في المفهوم النّحويّ هو: إخراج الثاني من حكم ما دخل فيه الأول [٥]، أو ما كان بمنزلة الداخل، بـ(إلَّا) أو إحدى أخواتها [٦]، إذ لولا إخراجه لتناوله الحكم المذكور[٧].

وأركانه كما في الحدّ تقتضي وجود مستثنى، ومستثنى منه، وأداة. وهي مكوناته الصّناعيّة.

١ ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي:٤٤٨/٣، والطراز؛ العلوي: ٣٠١، وفي النحو العربيّ:٤٠٣/٣، ومعاني النحو؛ فاضل السّامرائي: ٥٩١/٤.

٢ ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ٤٤٩/٣، وما بعدها، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن؛ السيوطي:٣٢٢/١.

٣ ـ ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح؛ الجرجاني: ٦٩٩/٢، والأصول؛ ابن السراج:٢٢٣/٢، والاستغناء في أحكام الاستثناء؛ القرافي: ١٠٣، وشرح التصريح؛ الأزهري:٣٤٧/١.

٤ ـ التطور النّحوي للغة العربية؛ برجستراسر: ١١٧.

٥ ـ ينظر: المقرب؛ ابن عصفور: ١٨٣، والمرتجل؛ ابن الخشاب: ١٨٦، والاستغناء في أحكام الاستثناء: ٩٨.

٦ ـ ينظر: شرح الأشموني: ٢٠٨/٢، وهمع الهوامع؛ السيوطي: ٢٤٩/٢، والنحو الوافي؛ عباس حسن:٢/ ٣١٦.

٧ ـ ينظر: اللباب؛ العكبري: ٣٠٢/١، وأسرار العربية؛ الأنباري: ١٨٥.

وهو بملحظ تلك الأركان على ضربين [١]؛ تام: وهو ما ذُكِرَ فيه المستثنى منه؛ كقوله تعالى: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ [٢]. وقوله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ{٧٣}إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [٣]. فإن كان المستثنى من جنس المستثنى منه، أو بعضه، فالاستثناء متصلاً، وإن لم يكن فهو المنقطع.

والضّرب الثّاني؛ المفرّغ [٤]: وهو -ما نحن بصدد الحديث عنه- ما حذف فيه المستثنى منه، وكان مقدّراً في قوة المنطوق به [٥] كقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [٦]، وكقولنا: ما في المسجدِ إلا زينُ العابدينَ.

وتسميته بالمفرّغ من أمرين؛ الأوّل: دلاليّ؛ يتمخض بانعدام المستثنى منه، ولأنّ الإخراج فِيْهِ داخل فِي دلالة المفهوم [٧]. والثّاني: صناعيّ؛ لأنّ ما قبل (إلَّا) يتفرغ (للعمل فيما بعدها ولم يشغله عنه شيء) [٨]، فيجري على حسب العامل من رفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ بحرفهِ، لتفريغهِ لهُ، فيكون وجود (إلَّا) كسقوطها [٩]. وشرطه عِنْدَ أكثر النّحويّين إلَّا يكون الكلام تامّاً موجباً، بل معتمداً على نفي أو نهي أو استفهام

١ - ينظر: شرح ابن الناظم:٢١٩، وشرح الرضي على الكافية:٩٩/٢، والمقرّب:١٨٤، وشرح جمل الزجّاجي؛ ابن عصفور: ٢/ ٣٨٠، وشرح اللمحة البدرية؛ ابن هشام الأنصاري:١٦٦/٢، وهمع الهوامع: السيوطي:٢٥١/٢، والنحو الوافي:٣١٦/٢.

٢ - سورة البقرة: ٢٤٩.

٣ - سورة (ص): ٧٣-٧٤.

٤ - ينظر: أمالي ابن الحاجب: ٧١١/٢، وشرح الرضي على الكافية:٩٩/٢، وشرح اللمحة البدريّة؛ ابن هشام الأنصاري: ١٦٨/٢-١٦٩، وهمع الهوامع: ٢٥١/٢، والمطالع السعيدة؛ السيوطي:٤٤٤/١.

٥ - ينظر: شرح ابن الناظم: ٢١٠.

٦ - سورة آل عمران:١٤٤.

٧ - ينظر: شرح ابن الناظم:٢١١.

٨ - شرح شذور الذهب؛ ابن هشام الأنصاري: ٢٥٩، وينظر: شرح الرضي على الكافية:١٠٠/٢،

٩ - ينظر: همع الهوامع: السيوطي:٢٥١/٢.

[١]، كقولـه تعـالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقّ﴾ [٢]، وقولـه عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٣].

إنّ الاسـتثناء المفـرَّغ، في حقيقـة الأمـر، ليـس اسـتثناءً عنـد النَّحويّـين بالمعنـى الاصطلاحي [٤]، وإنّما هو نوع من الاَسـتدراك [٥]، متسـمّ بخاصيّة القصر؛ لأنّه فاقد لأهمّ مرتكزاته الأصوليّة: «غياب المستثنى منه، وانعدام عمل (إلا) الإعرابي». وإن كَانَ مقيسـاً عليه في الصّناعـة النّحويّة، والتّوجيه الـدّلاليّ عِنْدَ البلاغيّين.

وعلاقـة الاسـتثناء بالنّفي علاقـة مفهوم الجزء من الـكلّ [٦]، بالدلالـة التّضمنيّة، ومنهـا كان أقـرب إلى معنى القصر، ومنشـأ الاختـلاف فيه بين البلاغيـين [٧]. بيد أنّ الـذي عليـه إجماع البلاغيين أنه ليس من أسـبابه، لأنّ الاسـتثناء مـن الإثبات، وليس الغـرض منه تحصيل الحكم [٨]؛ إذ إنه محقّق، فقولنا: جاء القوم إلا زيداً. الهدف منه الإثبات، والاسـتثناء فيه قيد مصحّح فحسـب، فكأننا قلنا: جاء القوم المغايرون لزيد. وهـذا ليـس من طرقـه، ولو كان لأصبحت الصّفة كذلك، على خـلاف ما لو قُدِمَ النّفي فيه، ثمّ أُتى بالاستثناء سواء ذُكر المستثنى منه أم لا، فإنّ الغرض منه النّفي ثمّ الإثبات المحقّقان للقصر [٩]، وبنيته البلاغيَّة.

---

١ - ينظـر: شرح اللمحـة البدريّـة؛ ابـن هشـام الأنصـاري: ٢/ ١٦٨، وهمـع الهوامـع: السـيوطي: ٢/ ٢٥١.
٢ - سورة النساء: ١٧١.
٣ - سورة الأنعام: ٤٧.
٤ - ينظـر: شرح ابـن الناظـم: ٢١١. وجـاء في شرح جمـل الزجاجـي: ((ما قام إلا زيـد خرج زيد مـن عمـوم مفهـوم معنى الكلام هذا النوع لا يسـمى اسـتثناء بالنظـر إلى معنـاه...)). شرح جمل الزجاجي؛ ابـن عصفور:٢/٣٨٠
٥ - ينظر: شرح ابن الناظم:٢١١.
٦ - ينظر: أسرار العربية: ١٨٥، واللباب؛ العكبري: ١/ ٣٠٢، وأساليب النّفي؛ هادي البقري: ٢٣١.
٧ - ينظر: مواهب الفتاح: ٢/ ١٩١، وعروس الأفراح؛ (ضمن شروح التخليص): ٢/ ١٩١.
٨ - ينظر: حاشية الدسوقي؛ (ضمن شروح التخليص): ٢/ ١٩١.
٩ - ينظر: مواهب الفتاح: ٢/ ١٩١.

إنّ ثمّة فروقاً دلاليّة بين الاستثناء والمفرّغ منه، يقول ابن يعيش (ت٦٤٣هـ): (وفائدة الاستثناء في قولك: ما قام إلا زيد إثبات القيام له ونفيه عمن سواه ولو قلت (قام زيد) لا غير لم يكن فيه دلالة على نفي غيره) [١]؛ لانّ فيه احتمالية دلاليّة عند الإثبات، على حين أنَّه في المفرّغ ليس كذلك، لأنّ القصر فيه أعمّ، وأشمل [٢] في إطلاق نفيه، والنّصّ عليه، فضلاً عن معانيه الثانوية وظلالها الإضافيّة الّتي تضيئها شمسُ دَلالة التَّركيب.

وكذا أنَّ النّفي والاستثناء يقع بين جزئي الجملة - بنية الإسناد - ومكملاتها، وهو الأمر الذي يضفي عليها سمة الشموليَّة في التّنقل الدَّلاليّ الَّذي لا يكون في الاستثناء؛ لأنّه - في الغالب - لا يقع إلا في مكمّلات الجملة بعد الإسناد، يقول رضي الدّين الاسترآبادي (ت٦٨٦هـ): (الاستثناء المفرّغ يجيء في جميع معمولات الفعل، وفي المبتدأ والخبر ... ويقع بعد (إلا) الملحقات بالمفعول: الحال، نحو: ما جاء زيد إلَّا راكباً، والتّمييز، نحو: ما امتلأ الإناء إلا ماءً) [٣].

ومفهوم القول هذا واقعي في بنية القصر إنشاءً، وقد مرّ [٤] بنا قول السّكاكيّ (ت٦٢٦هـ): عندما قال: (اعلم أنّ القصر كما يجري بين: المبتدأ والخبر فيقصر المبتدأ تارةً على الخبر والخبر على المبتدأ أخرى، يجري بين الفعل والفاعل، وبين الفاعل والمفعول وبين المفعولين، وبين الحال وذي الحال وبين كل طرفين...) [٥].

فالنفي والاستثناء [٦] هما اللذان يوجهان الجملة في بحر دلالتها، وتغيير وظائف

١ - شرح المفصّل؛ ابن يعيش:٨٧/٢.
٢ - ينظر: معاني النحو: ٢/ ٦٨٠.
٣ - شرح الرضي على الكافية: ٢/ ١٣٥.
٤ - ينظر: في جدلية البنية القصرية: ٢٦٦.
٥ - مفتاح العلوم: ١٣٨.
٦ - سواء كان النفي بـ(ما) أو (لا)، أو غيرها من حروف النفي، والاستثناء بـ(إلا)، أو (غير)، وكذا أدوات الاستثناء الأخرى. ينظر: معترك الأقران؛ السيوطي:١٠٨/٣، وهمع الهوامع: ٢٥١/٢.

عناصرها ابتغاء الوصول إلى ساحل بنيتها في أسلوب القصر. جاء في الطّراز: (اعلم أن (ما) و(إلا) إذا تركبا في الكلام فإنّهما يفيدان الحصر لا محالة، إمّا في الأسماء، وإمّا في الصفات...) [١].

لقد كانت مرجعية البلاغيّين في اصطفاء الاستثناء المفرّغ دون سواه من أمرين؛ الأوّل: التأمل الذّهني لأصول القاعدة الاستثنائية، وضرورة (النّظرة في عناصر التركيب واكتمالها أو غيابها، إذ مع كل واحدة من الحالتين يتحرك النّاتج حركة مغايرة للأخرى) [٢]. والثاني: ملاحظة الصّياغة الأسلوبية في تفعيل أداة النّفي في المقدّر المحذوف (المستثنى منه)، وربط ذلك التفاعل في أداة الاستثناء للإخراج، قال سعد الدّين التفتازاني (ت٧٩٢هـ): (ووجه إفادة القصر.. أنَّ النّفي في الاستثناء المفرّغ .. يتوجّه إلى مقدّر هو المستثنى منه؛ لأنَّ (إلَّا) للإخراج، والإخراج يقتضي مخرجاً منه عاماً ليتناول المستثنى وغيره فيتحقّق الإخراج، ولئلا يلزم التَّخصيص من غير مخصّص) [٣].

ومعنى هذا: أنَّ النفي يتسلّط على ذلك الغائب المقدّر بالتقدير المعنويّ لا الصّناعيّ، بالدَّلالة المفهوميَّة لا المنطوقيَّة، والمستثنى دليل عليه، إذ إنَّه لا يصحّ حذفه إلا لدليل، وهو المستثنى، لأنّه يعرف أن المقدّر متعدّد من جنسه [٤] - لنقض دلالة الإثبات عند المتلّقي مفهوماً، ومن ثمَّ يأتي المتكلّم باستعمال الاستثناء؛ لتأكيد ردّ الإنكار بدلالة المنطوق التّعبيريّ.

فآليَّة صناعة الحديث الدَّلاليّ في بنية القصر - هنا - تستند إلى فرضيّة (حضور المتكلّم والمتلقّي على صعيد واحد، فإذا قلنا: (ما جاءني إلا محمّد، يكون قصد المتكلّم

١ - الطراز؛ للعلوي: ٣٠٤.
٢ - البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٧٥.
٣ - المطوّل: ٤٠٣.
٤ - ينظر: شرح الكافية؛ رضي الدين الاسترآبادي:١٣٤/٢.

اختصـاص (محمّد) بالمجيء والنفي عن غيره وهذا القصد يتوجّه بفاعليته إلى المتلقّي لا لأنَّ بـه حاجـةً إلى أن يعلم أنّ (محمداً) قد جاءك ولكن لأنَّ به حاجةً إلى أن يعلم أنَّه لم يجيء إليك غيره) [١].

لقـد نظـر البلاغيّون إلى المسـتثنى منه المقدّر في الاسـتثناء المفرّغ نظرة وجوده في الصّناعـة النّحويّـة لتحقيـق معنى القصر، لذا اشـترطوا فيه كونه عامّاً، مناسـباً للمسـتثنى، موافقـاً له في إعرابه قال السّـيوطيّ (ت٩١١هـ): (لابدّ أن يكون عامّاً؛ لأنّ الإخراج لا يكون إلَّا من عام، ولابدّ أن يكون مناسـباً للمسـتثنى في جنسه، مثل: ما قام إلَّا زيد، أي: أحدٌ، وما أكلت إلا تمراً، أي: مأكولاً. ولابدّ أن يوافقه في صفته، أي: إعرابـه، وحينئـذ يجـب القصر إذا أوجب منه شيء بـإلَّا ضرورة ببقاء ما عداه على صفة الانتفاء) [٢].

فمفهـوم الخفـاء ونفيـه التَّقديري، ودلالة منطـوق التَّركيب، وإثبـات حكمه، هذه كلّها جعلت البلاغيّين يقتصرون على بيان الوجه في النّفي والاستثناء المفرّغ على القصر دون سواه من أساليب الاستثناء، جاء في حاشية الدّسوقي (لذا اُقتصِرَ على بيان الوجه في النّفي والاستثناء المفرّغ دون غيره؛ لأنّ إفادة التّقديم له لا يدركه إلَّا صاحب الذّوق، وإفادة طريق العطف وكذلك طريق النّفي والاسـتثناء إذا كان المسـتثنى منه مذكوراً بين {كذا} وكذا إفادة إنّما له لكونه بمعنى (ما، وإلَّا) فما بقي الخفاء إلا في الاسـتثناء المفرّغ لعدم ذكر المسـتثنى منه) [٣] في دلالته المفهوميَّة.

إنَّ عمليَّة التّحليل الدلاليّ في أسلوب القصـر البلاغيّ في النّفي والاستثناء - مرجعها آليـة توافـر القرائن، وهي: اختصاص (إلَّا) بالحـصر، وموقعيّة المقصور عليه (صفة، وذاتـاً)، وترتيبه في ذلك القالب البلاغيّ، وبعْدهُ الفنّي.

١ - البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٦٩-٢٧٠.
٢ - الإتقان في علوم القرآن: ١٠٨/٣. وينظر: مفتاح العلوم: ١٤٣، ومعترك الأقران: ١٣٧/١.
٣ - حاشية الدسوقي؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢٣٠/٢.

وقد أكّد البلاغيّون أنّ مكوّن بنية القصر التّشكيليّة في الصّياغة - أعني المقصور عليه - هو الرّكن الثّاني من بنية الاستثناء، وهو المستثنى الواقع بعد (إلَّا) مباشرة، يقول البابرتي (ت٧٨٦هـ): (ففي الاستثناء يؤخّر المقصور عليه مع أداة الاستثناء، فإن كان القصر على الفاعل يؤخّر، نحو: ما ضرب عمراً إلا زيدٌ. وإن كان المفعول فكذلك تقول: ما ضرب زيد إلَّا عمراً) [١]، وعلى ذلك يكون قياس البواقي من سائر المعمولات [٢].

وعلّة ذلك ما للأداة من أثر دلاليّ في معنى الاختصاص بما يليها، جاء في الطّراز: (وإنّما كان الحصر مختصّاً بإلَّا، ولم يكن حاصلاً قبلها، لانّ الحصر من أثر «إلَّا» وأثر الحرف لا يحصل إلَّا بعده، ولا يكون حاصلاً قبله... فالحصر إنّما يتناول ما بعد « إلَّا « كما قررناه، فعلى هذا يكون اعتبار المسائل في الأسماء والصّفات في الحصر...) [٣].

كما أنّ عناصر الجملة الإسناديّة قد تتحرّك في داخل السّلوك التّركيبيّ بتقديم بعض مكوناتها أو تأخيرها، وهي في حلّة أسلوبيّة القصر بالنّفي والاستثناء، وهو الأمر الَّذي يعطيها طابعاً دلاليّاً ممزوجاً بين وضعية القصر القانونيّة، وذوقيته؛ فالأخير: من دلالة التّقديم، وعمل الحس الفنيّ، والأولى: في إشارية الوضع في النّفي والاستثناء بعد تحديد المقصور عليه وهو ما يلي الأداة، تقدّم بها أم تأخّر، وإن كان على قلّة عند أغلب البلاغيّين [٤].

وسلوك التّعبير البلاغيّ في النّفي والاستثناء يتوزّع بين إدراك المنشئ، وحالة المتلقّي الخطابيّة: في موضع الجهل [٥] والإنكار والشّك، أو ما ينزل هذه المنزلة، قال

١ - شرح التلخيص؛ البابرتي: ٣٤٠. وينظر: المطوّل؛ التفتازاني: ٤٠١، وشروح التلخيص: ٢٢٥/٢.
٢ - ينظر: المطوّل: ٤٠٢.
٣ - الطراز؛ العلوي: ٣٠٤. وينظر: الأصول في النّحو؛ ابن السراج: ٢٢٣/٢.
٤ - ينظر: المطوّل: ٤٠٢، وشروح التلخيص: ٢/ ٢٢٥.
٥ - قال أبو يعقوب المغربي: ((اشتراط الجهل لابد منه في سائر الطرق ولكن المراد بالجهل هنا أن يكون من شأنه أن لا يزول إلا بالتأكيد...)). مواهب الفتاح؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢١٤/٢.

عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ): (وأمّا الخبر بالنّفي والإثبات، نحو: «ما هذا إلا كذا، وإن هذا إلا كذا » فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشكّ فيه...) [١]. وقال الرّازي (ت٦٠٦هـ): إنَّ (نحو قولهم: ما هو إلا كذاب، وإن هو إلا كذاب إنما يستعمل في الأمر الذي ينكره المخاطب أو ما ينزل هذه المنزلة وإن كان كذلك فلا يصحّ استعمال هذه العبارة في الأمر الظّاهر فلا تقول للرجل الذي ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم: ما هو إلا أخوك .. مثال الأول: إذا رأيت شبحاً من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه غير زيد ويجد في إنكار أنه هو...)[٢]. ومثال الثاني: وهو الذي يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول (لاعتبار مناسب، نحو: قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [٣] فإنه خطاب للصحابة، وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، لأنّه نزّل استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته، لأنه كلّ رسول لابدّ من موته، فمن استبعد موته فكأنّه استبعد رسالته) [٤]، ولذلك استعمل في طريق القصر بالنّفي والاستثناء المفرّغ لقوته، وشدة تأكيده[٥].

وجملة الأمر أنّ النّفي والاستثناء يعتمدان على إدراك المنشئ، واعتقاده أنّ المخاطبَ مخطئٌ، منكر، ومصر على ذلك، يقول السكاكي (ت٦٣٦هـ): (ما من موضع يأتي فيه النفي والاستثناء إلا والمخاطب عند المتكلم مرتكب للخطأ من إصرار، إمّا تحقيقاً إذا خرج الكلام على مقتضى الظّاهر وإمّا تقديراً، إذا خرج الكلام لا على مقتضى الظاهر...) [٦].

---

١ - دلائل الإعجاز: ٢٥٥-٢٥٦.
٢ - نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ١٨٢.
٣ - سورة آل عمران: ١٤٤.
٤ - الإتقان في علوم القرآن: ١٠٩/٢. وينظر: شروح التلخيص: ٢/ ٢١٦.
٥ - ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ٥٤/٣.
٦ - مفتاح العلوم: ١٤٢. وينظر: دلائل الإعجاز: ٢٥٧، والإشارات والتنبيهات؛ الجرجاني: ٧٩.

وبغيـة اقتناص دلالة القـصر، ومعناه الجدليّ، على تنوّعاته الأسـلوبيّة، وأبوابه الخطابيّـة في قـصر الموصوف على الصّفة، والعكـس، في الحقيقيّ منه، والإضافيّ...، في نصـوص عاليـــة (الصَّحِيفَة السَّـجَّادِيَّة)، أجدني ملزماً ببيـان التّراكيب اللُّغويَّة الّتـي جاءت على ذاتها، في هذا الأسـلوب (النّفي والاسـتثناء)؛ انطلاقـاً منها لقراءة تحليليّـة في الاسـتكناه، والنَّسـج المعـرفيّ، وصـولاً لفهمٍ أوسـع في كيفيـة تكوينها التَّركيبّـي، وبعدها القصدي.

إنَّ في الصَّحِيفَة السَّـجادِيَّة اسـتثناءً مفرغاً تستوفيه أغلب مبادئ المواضعة اللُّغويَّة والأصوليَّة، واللّطائف الفنيَّة الّتي التـزم بـها البلاغيون فـي التَّحليل الجماليّ لأساليب التّعبـير في البنية القصرية، فضلاً عَن أخـرى في مرجعيات التّكوين العبادي،... وليس هذا بالعجيب في نصّ احتوى من معاني الحياة، وسرّ ارتباطها بعالم الخلود، ومحاكاته بالطّلـب، والدعوة الصّادقة، لاسـتبصار نور الحقيقـة بالإيمان، في مواقف كثيرة منها بين النّفي والإثبات، وجدلية الحوار الثّنائيّ القائمة في التّركيب القصريّ...

إنَّ أهمِّيَّـة الأسـلوبين (النّفي والاسـتثناء) في الصَّحِيفَة السَّـجادِيَّة، تشّـع بما لكلّ منهما من نفحة روح دلاليَّة، ومهجة وحي عاطفيَّة، وجانب من فكرٍ في صراع النّقض وعكسـه؛ لبناء هندسة الأسلوب الحصري. وليس أحدهما أفضل من الآخر في التّكوين الدّلاليّ، والإنشاء المعنويّ، فـــي الاحتماليّة والتّصوّر، بل كلاهما يتفاعلان؛ لإنتاج ذلك التّركيب ونسجه، ويمتزجان في أهدافهما؛ لتصديـر الأغراض الّتي يبعثها، ويزخر بها الأسـلوبُ القصري في تضاعيف نصوص الصَّحِيفَة السَّـجادِيَّة.

وقـد جـاء على أنماط وأشـكال كثـيرة -على فرضية تنحّـي غيره، وهو غَـيْرُ قليل؛ للدّراسـة والبحث -مع ملاحظة السّـمة التّراكميّة الإبداعيّة، والأسـلوبيّة الدّلاليّة فيها، الّتي كَانَ ينسجها الإمام زين العابدين «عليه السلام» بأنفاسٍ كلّها نفحات عشقٍ، وإرهاصات متيّمٍ ربانيّ، ويحوكها بخيط من لؤلؤ صفاء حبِّه الإلهي، ويعزفُ بها على أوتارِ عبير

نفسه، في جوٍّ يسبح فِيْهِ بياقوت إيمانه، وزمرد ولهه وهيامه؛ طلباً لحاجة في غفرانِ ذنبٍ، أو كفرانِ خطيئةٍ، في الافتراض الوجودي بالتصوّر... أو لإظهار ضعفٍ وافتقار، وذلّ واستحقار لنفسه، وهو في الحضرة القدسيّة، أو لحبٍّ، وقربٍ في مناجاته لربّه،... ألا نسمعه «عليه السلام» يقول: (أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلى قُرْبِكَ، وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِواكَ وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قآئِداً إِلى رِضْوانِكَ، وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذآئِداً عَنْ عِصْيانِكَ،...) [١].

لقد أفضت القراءة الاستقرائيّة في التّتبع لأساليب بنية القصر في النّفي والاستثناء، وأنماطها التّركيبيّة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، عن استعمال متعدد لأدوات النّفي الصّريح، وشبهه: من (الاستفهام، والنّهي)، ومميزاتها في التَّركيب اللُّغويّ مع أدوات الاستثناء المفرّغ الذي استُعمل في (١٣٩) تسعة وثلاثين ومائة موضع [٢]، فكان النّفي الضّمنيّ، والسّياقيّ أكثر منهما الصّريح، إذ جاء في (١١٦) ستة عشر ومائة موضعٍ، مع أدوات الاستثناء، على التوالي مع (إلَّا) في (٨٥) خمسة وثمانين موضعاً منه، ومع (غَيْر) في (٢٣) ثلاثة وعشرين موضعاً، ومع (سوى) في (٧) سبعة مواضع، ومع (دون)، بالمماثلة والقياس الدّلالي في أحد معانيها على (غَيْر) في موضع واحد.

وبأدواته (النّفي الصريح) المختصّة: مع (إلَّا) في (١١) بـ(لم) في (٨)، وبـ(ليس) في (٣) مواضع، ومع (غير) بـ(لم) في (١)، ومع (سوى) بـ(لم) في (١)، وبـ(ليس) في (١) أيضاً.

وبغير المختصّة مع (إلَّا) بـ(لا) في (٧٤)، ومع (غير) في (٢٢)، ومع (سِوى) في (٥)، ومع (دون) في (١). ولكل منها مع (ما) في (١) ليس دون.

---

١ - ينظر: الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة؛ آ: مناجاة المحبين: ٢٧٠.

٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٢٠، ٢٢، ٤٠، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥٣، ٥٥، ٥٩، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ١١٣، ١١٨، ١٢٦، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨، آ: ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٦.

أمّـا الضّمنيّ فمع (إلَّا) في (١٥) بـــالاستفهام بـ(هل) في (١٣)، وبالنّهي بـ(لا) في (٢)، والسّـياقيّ في (٤). ومع (غير) في (٣) بـ(كيف)، و(لا)، والسّـياقيّ في (١)، لكلّ منها، ومع (سِـوى) بـ(كيف)، و(لا)، والسّياقيّ في (١) لكلّ أيضاً.

وسـيأتي في التّراكيب الّتي سـأبدؤها بنسـيج البنيّة الإسـنادية في المسـند والمسـند إليـه، بنوعيتهـا: الفعليّة والاسـميّة؛ لاختلافهـا البنيويّ والدّلاليّ، ومـــن ثمّ المكمّلات، بأساليب البنية القصـرية، وأنماطها، بالنّفي الصّريح وأدواته المختصّة تارةً، وسواها تـارة أخـرى؛ شـارعاً بالأخير؛ لشـيوعه، ومـن بعدُ، بالأقـل منها مـع (إلَّا)؛ بوصفها الأداة المحوريـة في التّركيب، وبؤرة تكوينه الـدّلاليّ مع دوال الجملة الأخرى،.. روابط ومؤسســات، عمداً ومقيّدات.

أنماط التركيب القصريّ بأدوات النّفي الصّريح غير المختصّة (لا،..) مع (إلَّا،..):

- (لا) مع (إلا) في بنية التّركيب القصريّ

لسـت أريـد، هاهنا، أن أخـوض في تفاصيل عمل هـذه الأدوات، وإهمالها النَّحويّ، وأثرهـا الإعرابيّ في الحركات رفعاً ونصباً، وإفرادها أو تركيبها الأصوليّ، بل بقدر ما يتعلّق الأمر بالمعنى الدَّلاليّ الَّذي تؤدّيه في البنى التّركيبة حين التشّـكيل.

إنّ البنـاء الأسـلوبي لأي تركيـب مـن تراكيب الجمـل، لا يتأتّى إلا مـن خلال ذلك التّفاعل الوظيفيّ والدّلاليّ، مع الانسجام بين أنواع الكَلِم على اختلافها في داخل السّلوك الإسـناديّ؛ لإعطائهِ الصّبغة الإبداعيّة والسّـمة الانفراديّة بمزاياه الجماليّة بمسـتوى تطبيقه في السّياق.

وحـين كان طريـق القـصر - هنا - يمتـزج ببابين هما: النفي الاسـتثناء، أصبحت دراسـة دوال كلّ منهما (عموماً) مهمةً؛ للكشـف عن واقع تركيبهـا الدّلاليّ، ومنحاها الأسلوبيّ الأدائيّ.

إنّ أدوات النّفي في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة تتفاعل بما تؤديه من معنى وظيفيّ ودلاليّ في معنى الرّد والإنكار مع فكرة الإخراج بـ(إلَّا)، في خلق جدليّة البنية القصريّة.

فالحرف (لا) حرف النّفي غير المختصّ على تعدده الوظيفي في الدّخول على الأسماء والأفعال، وأنماطه التّركيبيّة غير القليلة [١] قد شكّل مع (إلا) في داخل شبكة الإسناد الفعليّ بالصّياغة، شكّل تراكيب وطرقاً، تظهر مدى تكوينه الأسلوبي، وقدرة إنشاء معناه الدّلاليّ الجدليّ في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة

فقد جاء هذا الاقتران التّشكيليّ (لا + إلَّا)، في البنية القصرية في حصر الصفة بالموصوف، باختصاص مكونات الجملة وعناصر نظم تأليفها في الإسناد الاسمي، والفعلي بين المسند والمسند إليه، ومقيدات الإسناد (تقديماً وتأخيراً) كذلك على الأنماط الآتية:

- (لا)، و (إلَّا): في الإسناد الفعليّ، قصر المسند إليه (الفاعل) على الفعل

وهذا اللون له حضور في مساحة تمتد في (٢٤) أربعة وعشرين موضعاً، منها قوله «عليه السلام»:

- (لاَ يُجيرُ يا إلهي إلَّا رَبٌّ عَلَى مَرْبُوبٍ، وَلاَ يُؤْمِن إلَّا غالِبٌ عَلَى مَغْلُوبٍ، وَلاَ يُعِينُ إلَّا طالِبٌ عَلَى مَطْلُوبٍ، وَبِيَدِكَ يَا إلهي جَمِيعُ ذلِكَ السَّبَبِ، وَإلَيْكَ الْمَفَرُّ وَالْمَهْرَبُ) [٢].

وقوله «عليه السلام» في مناجاة المفتقرين:

- (إلهي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، وَفَقْرِي لا يُغْنِيهِ إلَّا عَطْفُكَ وَإحْسانُكَ، وَرَوْعَتِي لا يُسَكِّنُهَا إلَّا أَمانُكَ، وَذِلَّتِي لا يُعِزُّها إلَّا سُلْطانُكَ، وَأُمْنِيَّتِي لا يُبَلِّغُنِيها إلَّا فَضْلُكَ، وَخَلَّتِي لا يَسُدُّها إلَّا طَوْلُكَ، وَحاجَتِي لا يَقْضِيها غَيْرُكَ، وَكَرْبِي لاَ يُفَرِّجُهُ

١ - ينظر: الأنموذج في النحو؛ الزمخشري: ١٠٢، ومغني اللبيب؛ ابن هشام الأنصاري: ١/ ٣١٣، وأسلوبا النفي والاستفهام؛ خليل عمايرة:٦٩.
٢ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة:٨٩.

سِـوى رَحْمَتِـكَ، وَضُرِّي لا يَكْشِـفُهُ غَيْرُ رَأْفَتِـكَ، وَغُلَّتِي لا يُبَرِّدُهـا إلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لا يُطْفِيهـا إلَّا لِقـآؤُكَ، وَشَـوْقِي إلَيْكَ لا يَبُلُّهُ إلَّا النَّظَـرُ إلى وَجْهِكَ، وَقَرارِي لا يَقِرُّ دُونَ دُنُوِّي مِنْكَ، وَلَهْفَتِي لاَ يَرُدُّها إلَّا رَوْحُكَ، وَسُـقمِي لا يَشْـفيهِ إلَّا طِبُّكَ، وَغَمِّي لا يُزِيلُهُ إلَّا قُرْبُـكَ، وَجُرْحِـي لا يُبْرِئُـهُ إلَّا صَفْحُكَ، وَرَيْـنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْـواسُ صَـدْرِي لا يُزِيحُهُ إلَّا أَمْرُكَ...) [١].

إنّ نظـرة تحليليّة في جزئيـات الخطاب الدّعائيّ إلى إجمالهـا، وفي مجريات النّصّ، وأصول خلفياته الواقعيّة بوصفها من سُـبُل إنشـاء تركيبهِ، وهيكلة أسـلوبه، ونظم مواده وعناصره في مستواه السّطحيّ وتأليفه؛ نتيجة لمستواه الفكريّ العميق وبنيته، تُعـربُ عـن كيفية تمثّلَها النّصّ العبادي بكليتـه بأصولها المعرفيّة؛ في إنتاجية القصر، وهـدف اختصاص الصّفة بالموصوف، وقصرهـا عليه قصراً فوق الحقيقة التّحقيقيّة، بصـــرف النّظـر عن التّجاوز، وإهمال غيرية الموصـوف (الله) عزّ وجلّ، من الممكنات من خلقه، بالنّفي العام تارةً، ومؤكّدات الإثبات الدّلالي تارةً أخرى، في حقل مؤسسات الإسـناد (المسـند والمسـند إليه)، بملاحظة جهة الخطاب الضّروريّة، والاختيار الأمثل لرسـائله التّعبيريّـة على الوعـي والإدراك المرتكز على الاعتقاد بربّه، سـبحانه، وعلمه بحالاتـه النّفسـيّة الإنسـانيّة بمدارك الإيمـان اليقينيّ بعـزّ الرّبوبيّـة، وذلّ العبوديّة والاحتياج، والنقـص الدّائم؛ إنَّه من الممكنات...

والنّصـوص المصطفـاة في أنماطها -هنا وهناك في غيرها - يمثل ظهورها سـطوع شـمس في ربيع سـياقها، وخيوطهـا التّركيبية الذّهبيّـة المعنى، اللؤلؤيّـة الموقف ذاتاً وموضوعاً، المرجانيّة النّظم والتأليف،.. وهي على ذلك من الرّؤى التّحليليّة في جوانبها المتعددة، ما يقتضينا موضوعها القصر عدم الخوض إلَّا فيما هو دلالته ومعناه، تركيباً وأسلوباً، قصداً ودلالةً.

١ - المصدر نفسه: ٣٧٢.

وهلْ لنا بعدُ إلَّا التّساؤل عن كيفيّة ذلك السّطوع الَّذي يؤدي في بعضٍ من جوانبهِ من الظّهور والتّمثل بالدّوال الّتي تشعّ منه ما يعكس على عين القراءة، فيطفئ نورَها، ويجعلها غيرَ قادرةٍ على رؤية التّحليل، عاجزةً عن الإدراك لسطوع دلالته.

لنبدأ، إذن، من النّصّ نفسه في رسم موضوعه، وهيكليّة البنية القصرية عينها بمعناها الدّلاليّ، وصراع أهدافه في النّفي والإثبات، واعتماد حكم فيه مع عدميّة إغفال نقيضه في المفهوم الَّذي يدلّ عليه التّركيب، ثمّ من التّركيب نفسه في داخله من مفرداته وعناصره في نسجه وتكوينه وتفسير وحداته كلاً وما لها من مدى على رسم لون فنّي في لوحة معنى أسلوبه المركّب، والتّحولات البنيوية الّتي تصيبها في التّقديم والتّأخير.

إنّ القالب الأسلوب الَّذي احتضن بنية القصر - هنا في النّصوص - يجري على منوال واحد في التّركيب في النّص الأوّل: (لاَ يُجيرُ يا إلهي إلَّا رَبٌّ عَلَى مَرْبُوبٍ،...)، وفي أمثلة الثّاني: (إلهِي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ،...). فالبناء الأسلوبي بـ(لا)، مع (إلَّا) يتراكم في جميع جمل النّصّ من جهة المعنى والمبنى، وإن تباين في اختيار موادّ معجمه الّتي حيكت منه، ورسُمِت به.

وكلّ هذه العناصر الكلميّة، الأدوات مدخولات الجملة مع مؤسسات الإسناد بمعناها المعجمي، والتّلاحم اللغوي الدّلالي، وظيفة وأداءً، في معنى المفرد منها خاضع للجدليّة والحوار في النّفي والإثبات، في ذلك السّياق الدّعائي.

ولنسلّط الضّوء على ترسيمات النّصّ بموضوعه ودلالة حصره، فهو يبدأ من موقف الذّاتيّة الانفراديّة الّتي يبثها المنشئ (الدّاعي) في حالاته الإنسانيّة، وبالخضوع والتّذلل مع انسجاميّة التّسلسل الفكري، إلى الموقف الموضوعي بالطّلب والإنشاء بطريقة الحوار الإخباري مع المتلقّي - على الافتراض - (المدعو (الله) عزّ وجلّ)؛ إنَّهُ هو مورد الكمال المطلق، إنَّهُ هو المطلوب منه دون سواه، والدّاعي هو الطّالب الشّاعر بالحاجة والنّقص،... وهكذا، بالكثافة الطّلبيّة،

وتكوينها الدّلاليّ ففي النّصّ الثّاني، التّسلسل الفكريّ والعاطفي بالحاجة في المخطط التصوّري يكون هكذا:

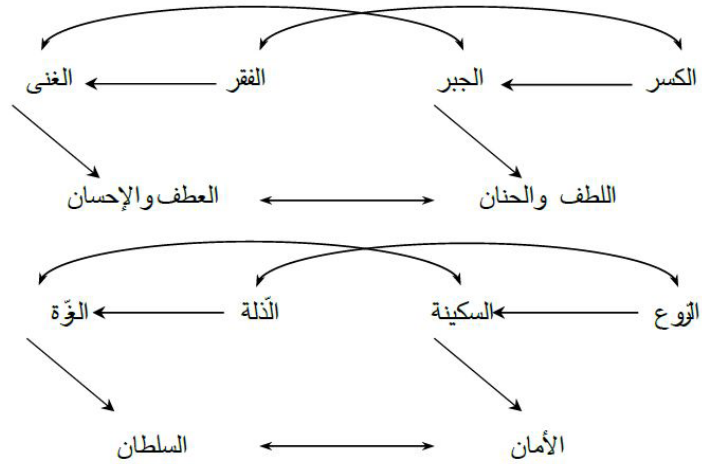


((حاجة الإنسان ونقصه .. .. .. .. × .. .. .. الكمال المطلق "الفيض الرّباني"))

فهذه التّناقضات متسلسلة الفكرة، متسقة في التبتل والطّلب (الكسر، الفقر ــ الروع، والذلة)، فيأتي: (اللطف والإحسان ــ الأمان والسّلطان)، وكل ذلك بالأمينة الطّلبية (وَأُمْنِيَّتِي لا يُبَلِّغُنِيهَا إِلَّا فَضْلُكَ) الّتي ليست كبيرة على فضل الله سبحانه بـ(الأمنية ــ بلاغها ــ فضله تعالى).

وهكذا البقية أيضاً، بالأسلوب القصري نفسه في مواده الدّاخليّة:

(الخلة ــ سدها ــ طولك). (الغلة ــ بردها ــ وصلك).

(اللوعة ــ انطفاؤها ــ لقاؤك). (الشّوق ــ بله (سقيه) ــ كرامة وجهك).

(اللهفة ــ ردها ــ روحك). (السقم ــ شفاؤه ــ طبك).

(الغم ــ إزالته ــ قربك). (الجرح ــ براءته ــ صفحك).

(رين القلب ــ جلاؤه ــ عفوك). (وسواس الصدر ــ إزاحته ــ أمرك).

فعموم هذا النسيج المؤدى عبارة عن قصر في تكوينه الدّاخلي بتناقضاته وتقابلاته وجدليته التي تفصح عن معنًى بفكرة وتزيله بدلالة آخر بوساطة التّوجه على القوي المقتدر عليه سبحانه.

وهـذا البناء الدّاخلي يؤيـده بمزيد من التّعضيد والدلالة تركيبـه الخارجي بالنّفي بـ(لا)، والاسـتدراك بـ(إلَّا) في أسـلوبه، وهـدف دلالته، في إظهـار الحاجة بالاعتراف والتّوسـل والخضوع للكمال المطلق.

وبالتّناسـب الـدّلالي، والاختيار الأمثل القائم على التّأمـل في انتخاب بنًى متنوعة لا يمكن إلا أن تتسق مع مفردات التّركيب - هنا - كانسجام دلالة الفعل مع فاعله الدّلالي، وعمله في ذلك التّشـكيل الضّدّي التّقابلي الَّذي يصرخ بالإثبات، ويوحي بكلّ ما أمكنه بالعدم في خطابه وبنيته القصريَّة.

فالنّـصّ بكليته إذن، يتفجّر فنّاً من داخله، ويفيض إبداعاً من على جوانبه؛ وابتغاء البيـان، لنرتقـي بلطفٍ المسـتوى السّـطحي منه في هيأتـه اللغويـة بالصّياغة، ودلالة منطوق تركيبه بالغرض، وفحوى مفهومه بالهدف، ولنأخذ جملة ما من النصّ الأوّل، والثّاني في منحاها الأسلوبي في داخل نسيج النّصّ بوصفها عينة كاشفة عن غيرها من الّتي اكتنفها في سـياقه العبادي، وإن كانت كل منها عينة نفسـها لا يعبر سواها عنها، ولا ترتضي بعدُ، النيابة والتّمثيل،..

قولـه «عليه السلام» مـن النّـصّ الأول: (لاَ يُجـيرُ يا إلهـي إلَّا رَبٌّ عَلَى مَرْبُـوب،...)، ومن الثّانـي: (إلهـي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، ... وَلَوْعَتِي لا يُطْفِيها إلَّا لِقاؤُكَ،... وَرَيْـنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْـواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُـهُ إلَّا أَمْرُكَ،...).

تبـدأ الأمثلـة بالنّفـي بـــ(لا) دعامـــة الأسـلوب القـصري الأولـــى في دلالتهـا الوضعيّـة، و(لا) هذه - على تنوعهـا الوظيفي والأدائي - في قراءات علماء العربية

أصل أدوات النفي [١]، وأقدمها [٢]، وهي حرف غير مختصّ؛ لدخوله على الأسماء، فتنفي جنسها، وعلى الأفعال، فتنفي حدثها، وأكثر ما تدخل على الأخير، ولاسّيما الفعل المضارع، لتخلصه للاستقبال [٣]، قال سيبويه (ت١٨٠هـ): (وإذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه (لا يفعل)، وإذا قال (ليفعلن) فنفيه (لا يفعل) كأنه قال: (والله ليفعلنّ) فقلت: والله لا يفعل) [٤].

والحقّ أنّ جهتها الزّمنيّة تُحدَد من قبل السّياق الَّذي تكون فيه كالماضي، والحال، والمستقبل والمطلق [٥].

والحرف (لا) في تلكم النّصوص المختارة حرف نفي ليس للحدث فحسب، أقول: بل لنفي جنسه (حدث الفعل)، ومعناه في نفسه على الإطلاق، في دلالة زمنيّة ليست محصورة في جهة معينة، لكن غير مقيدة، أي: في زمن مطلق: في الماضي والحاضر والمستقبل من غير انقطاع؛ لأنّ إجارة المربوب محصورة في الرّب دون غيره، وليست في زّمنيّة بعينها في السّياق، مع إطلاقية الزّمن في صيغة (يفعل، المضارع) بذلك الاستعمال (لا يُجِيرُ)، والتّركيز على جنسيّة الحدث.

وكذا (جبر كسر النّفس) - كونه حقيقة من الحقائق - مقصور على عطفه وحنانه،... وانطفاء اللوعة على لقائه، وجلاء رين القلب، وإزاحة وسواس الصّدر على عفوه وأمره (جلّ وعلا)، ليس سواه على فرض المقارنة بالمستثنى منه المحذوف بقياس الفارق - الذي لا يكون كما سيأتي -، غير مقيّد في جهة زمنيّة معينة بل هو مطلق في دلالة إطلاقه.

---

١ - بنظر: الجنى الداني في حروف المعاني؛ المرادي: ٢٩٠، والبرهان في علوم القرآن؛ الزركشي: ٢/ ٣٩٣.
٢ - ينظر: التطور النحوي؛ برجستراسر: ١٧.
٣ - ينظر: شرح المفصل؛ ابن يعيش:١٠٨/٨.
٤ - كتاب سيبويه: ١/ ٤٦. وينظر: شرح المفصّل؛ ابن يعيش: ١٠٨/٨.
٥ - ينظر: الطراز؛ العلوي:٣٠١، ومعاني النحو: ٥٨٠/٤، وما بعدها، وأساليب النفي في القرآن الكريم؛ ماهر البقري: ٢٤.

وأشـير أنّ (لا) هاهنـا قد دخلت عـلى الفعل المضارع (يجير، يجـبر، يطفي، يجلو، يزيح،...)، وهذا شأوها في جميع النّصوص الّتي جاءت في أسلوبيّة القصر في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة باستعمال (إلَّا)، وغيرها من أدوات الاستثناء المفرّغ، ولم تأتِ في غير صيغة (يفعل)، إلا قليلاً جداً، وليس هذا بالأمر الاعتباطي؛ إنّ له امتداداً دّلاليّاً، وهدفاً متوخّى في قصد الاستعمال، كما سيأتي.

إنّ القـصر في النّصـوص ذه على تنوعاته الخطابيّة هـو قصر صّفة على موصوف، كما تقدم، في حصر جهات الإسناد الفعليّة من المنشئ (العبد الدّاعي) بصفته الإنسانية في فاعلها الحقيقيّ المدعو (الله) تعالى بحسـب الحال، وواقع الأمر أصلاً.

لكـن قبـل ذلك، هل لنا أن نفهم كيف كان في مسـتواه العميق، وبنيته الدّاخليّة من دلالة تركيبه إلى تركيب دلالته، في مجموعة من التّحولات وصلت به إلى هذا المسـتوى مـن الفكـر والإفصاح عنـه بالتّركيب الذي يدلّ عليه بمنطوقـهِ، في بعض من مجريات تحليـل أحـد الباحثـين [1] ؟. كي نشـاهد مدى اسـتقامة بنية التّركيبين في مسـتواهما السّطحي والعميق؟، لنأمـل ذلك.

ونعود إلى التّركيب الأسلوبي، فالتّركيب في المثال الأوّل قبل أن يكون في بنيته القصرية بالصّياغة الوضعيّة كان في أصل الخطاب على الآتي: (يجير ربّ على مربوب). وفي الأمثلة الأخرى (يجبرُ كسري لطفُك، يطفئ لوعتي لقاؤُك، يجلو رينَ قلبي عفوُك، يزيحُ وسواس صدري أمرُك)، في شكلها الإخباري الموافق للطلب الإنشائي؛ لغرض الدّعاء والمناجاة...

وفي البنية العميقة لأسلوب القصر لها كالآتي، في النّص الثّاني (مثلاً):

ـ يجبر كسري أنت (لطفك سبحانه)، والنّاس (أو الإنسان) بالصّفة..

---

١ ـ ينظـر: البلاغـة العربيـة قـراءة أخـرى؛ محمـد عبـد المطلـب: ٢٦١. إذ اعتمد على فكـرة البنية العميقة والسّـطحيَّة في توجيـه الخطاب البلاغيّ.

ـ يجبر كسري الناسُ (المخلوق) أهمهم (الله) بلطفه سبحانه.

ـ المجبـر لكسري لطفـك يـا الله ،...

وفـي الأخير تأتي الصّياغة الأسلوبيّة لسطح التّركيب هكـذا:

ـ (لا يجـبُر كـسري إلَّا لطفُك، لا يطفيء لوعتي إلا لقـاؤُك، لا يجلو رينَ قلبي، ويزيحُ وسواسَ صدري إلا عفوُك وأمرُك). ـ على فرض إغفال التّقديم الَّذي ليس على نية التّأخير.

إنَّ البنية العميقة هنا بتحولاتها المجرّدة في مستواها الفكريّ، وبالحركة الذّهنيّة ـ تستحضر الموصوف الآخر الغائب؛ للقياس مع الحاضر في المستوى الأوّل؛ وللاشتراك بفاعليـة الإسـناد، وحملـه على (النـاس أو الإنسـان مع «الله» سـبحانه)، ثـم ترتقي بالموصـوف الحـاضر (اللـه) درجة مـن الأهميّة على من سـواه (النّاس) في المسـتوى الثّانـي، بعـد ذلك تأتي عمليّة الاسـتئثار بالصّفة (الجـبر،...)، والاختصاص بالفاعلية (الله) بغياب غيره نفياً بالمفهوم من الموصوفين للوصول إلى المستوى الأخير من البنية السّـطحيّة بالصّياغة الأسلوبيَّة في شكلها القصريّ.

والنّاتـج المحصّـل مـن ذلـك أمـران، الأوّل: إثبات الصّفـة لموصوفهـا منطوقاً من التّركيـب، والثّاني: نفيها عـن غيره مفهوماً بدلالته الظّاهريـة. أي: اختصاص الصّفة بموصوفهـا الحـاضر دون غيره من الغائبين بالقياس إليه سـبحانه بحسـب الحقيقة والحال الواقعي.

وهنا يأتي الإشـكال، بسـؤال هل يجوز ذلك في نفس الدّاعـي ومعتقده الإيماني؟، وكيـف تكـون المقارنة بالقياس بغيره من الممكنات (النّاس) سـبحانه، وهو (المنشـئ الدّاعـي) يعلـمُ أنَّـه (ليسَ كمثلـهِ شيءٌ)؟. لغرض قـصر صفات لا يمكـن أن تكون في الحقيقة إلا محصورة به تعالى، ولا سيّما إذا أخذنا الأمثلة الأخرى الّتي في النّصّ الثّاني بنظر الاحتسـاب: (وَغُلَّتِي لا يُبَرِّدُها إلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتِي لا يُطْفِيها إلَّا لِقآؤُكَ، وَشَـوقِي

إِلَيْكَ لا يَبُلُّهُ إِلَّا النَّظَرُ إلى وَجْهِكَ،... وَلَهْفَتِي لاَ يَرُدُّها إِلَّا رَوْحُكَ، وَسُقمِي لا يَشْفيهِ إِلَّا طِبُّكَ، وَغَمِّي لا يُزِيلُهُ إِلَّا قُرْبُكَ، وَجُرْحِي لا يُبْرِئُهُ إِلَّا صَفْحُكَ، وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إِلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُهُ إِلَّا أَمْرُكَ..)، هل باستطاعة غير (البارئ الرحيم) أن يفعل ذلك حتى أنفيه عنه، وأنا العبد الحقير (الدّاعي)، أو أقارنه بالله سبحانه؛ لأجعل ذهني متعلقاً به في دلالة المفهوم،...؟!.

قد يكون ذلك في سياقات غير أدعية الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، أَمَا والأمر بهذه النّصوص الرّبانية المسحة، النّبوية العبقة، فلا يكون ذلك إلا بمخامرة الشّكّ، والرّيبة...

وبرهان ذلك أمور عديدة، إنَّ استعمال حرف النَّفي (لا) في سياقهِ مع صيغة الفعل المضارع (يفعل)، (يجبر، يطفئ، يجلو، يزيح،...)، الحركيّة ليس في حضوره الزّمني الآني، وبلحظة السّياق عند الدّاعي، في حالة العبادة (الطّلب) وقع أم لم يقع، بل هو في جهة زمنيّة غير مختصّة، مطلقة، كما تقدم، وهل تكون هذه الديناميكيّة الفعلية الحدثية، وقيمومة ذلك في (يفعل) من غير (الله) المقصور عليه (سبحانه وتعالى) في ذلك الإطلاق الحدثي الزّمني، أيتّصفُ بذلك سواه من المخلوقات بالأمر، حاشاه من الاقتران بخلقه تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

إنَّ تكوين التَّناقض الدَّلاليّ في توظيف الأدوات (لا) مع (إلَّا)، في الاستعمال، يشكّل محور الجدل الفكريّ، وبؤرة التّوجيهِ الخطابّي في أسلوبيّة القصر في هذه النّصوص، وفي إشكاليّة ما هو المنفي المقدّر الذي تسلّطت عليه (لا) فيها، في قوله «عليه السلام»: (وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إِلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُهُ إِلَّا أَمْرُكَ...)، فنفت نسبة الإسناد والحكم؟. أ هو شيء عامّ في مجموعة من التّصورات الذّهنيّة الافتراضية عند المتكلِّم؟، وكيف ينسجم جنسها مع وجود المستثنى (الله)، (عَفْوُكَ، أَمْرُكَ)، وعمليّة الإخراج الّتي تؤديها الأداة (إلَّا)، في اقتضائها مخرجاً ومخرجاً منه موافقاً له في جنسه ونوعه وصفته؛ لتتشكّل العمليّة الدّلاليّة في التّخصيص البلاغيّ.

قـد يكون الأمـر في القراءة باحتمالين، الأوّل: أنّ المنفي المقدّر هنا هُم النّاس قاطبةً الَّذيـن يسـتطيعون فعل بعض الأشـياء الماديّة مثـل: (جبر الكـسر ومعالجة المريض، ومسـاعدة المحتاج ماديّاً ومعنويّاً)، بالمفهوم الَّذي تكشف عنه البنية العميقة، وبدلالة التّركيب السّـطحيّ، في مقابل إثبات اختصاصه (الله) سبحانه بذلك الوصف بالمنطوق بوصفه من نوعيات الأشياء...

والاحتمـال الثّانـي في القراءة: أنّ المنفي هو ما لا يمكـن أن يتصور عند الدّعاء، مـا ليـس له وجود في الاعتبارات، وإذا ما انعدم فـلا يبقى إلَّا الإثبات في اختصاص الصّفـة بالموصوف (اللـه) وحصرها فيه مع توكيده في نفـس الدّاعي الَّذي لا يريد أن يـشركَ غـير المدعـو (تعالى) بدعوتـه ومناجاته، وهو «عليه السلام» الَّـذي يقول: (أَنْتَ الْمَخْصُـوصُ قَبْـلَ كُلِّ مَدْعُـوٍّ بِدَعْوَتِي لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِـي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِـي، وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي..) [1].

ثـمّ أنّ (إلا) مـع مدخولهـا المقصـور عليـه (اللـه) (لطفه، وعفـوه، وأمره،...) تنبئنـا بدلالـة الوضـع والمعنى، وبدلالة الموقف العبـادي: أنَّه لا يجـوز حمل ذَلِكَ الاتّصـاف والاختصـاص بـه إلا عليه (تعالى) أمّـا المخرج منه (المنفـي المقدّر)، فلا يكـون في قبالـه، بـلْ إنَّه (سـبحانَه) المقصـور عليه- المسـتثنى، (لطفـك، وعفوك، وأمـرك،...) ليسَ بشيءٍ من الممكنات حتّى يُقاس ويُقارن به غيره من الأشـياء، ولا يـدلّ (المسـتثنى) عـلى المنفـي المقدّر البتـة؛ لأنّه ليس جـزءاً في عمومـه، وفرداً من نوعياتـه؛ ولـذا كان لا بدّ مـن خروجه عن حيزيّة النّفي بـ(لا)، ودخوله في عموم العموميـات الّتـي ليـس لها وجود إلَّا في الافـتراض الذّهنيّ.

١ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ١٢١.

وكما في التّخطيط الآتي الذي يبيّن القراءة في الاحتمالين:

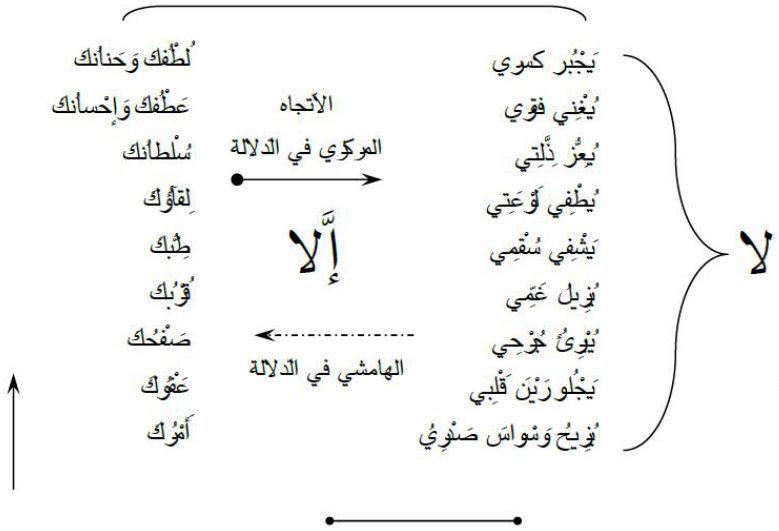


ففي البنية العميقة تكون النّصوص هكذا، في الاحتمال الأخير:

لا ----- ← { } إلّا (المستثنى)، المقصور عليه = البنية القصوّية.

النّفـي بـ(لا) مسـلّط على (مجموعة خالية) ليسـت بشيء مـن الممكن أن تكون من جنسـه، أي: ما لَيْسَ فِي الوجود من الممكنات المخلوقة ما يمكن المقارنة به (سـبحانه)، فِي بعدها الإيماني بسياق الدّعاء، واستعمال موادّ أسلوبه، ومفردات تركيبه بالصّياغة، واتّجاه دلالته المركزيّة بالإثبات.

وأمّـا مخطـط القراءة الأخـرى، الاحتمال الأوّل: في أنّ النّفي مجموعة من الأشـياء الممكنة، كما يأتي:

(لا) مسلّطة على حكم الإسناد؛ لنفي مجموعة من الأشياء بالمفهوم الدّلالي، واتجاه مركزية الدّلالة هكـذا:

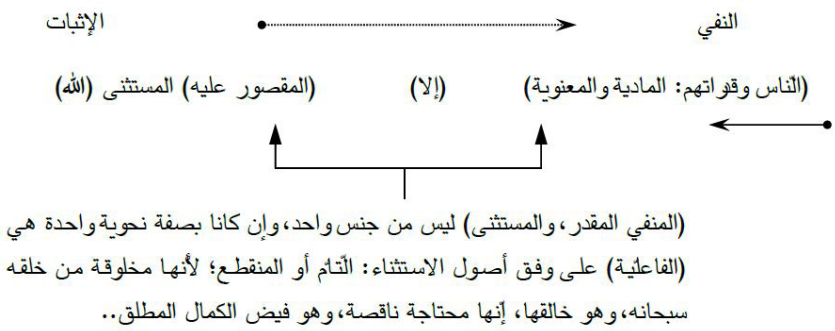


وبـكلا الاحتمالـين في القراءة في مسـتوى التّركيبين: العميق، ودليله السّـطحي، في الأصول الأسلوبيّة لبنية القصر في النّصوص المختارة - تكون (لا) فيها مطلقة في نفي الحدث (يَجْبُر كسري، يُغْنِي فقري، يُعِزُّ ذِلَّتِي، يُطْفِي لَوْعَتِي، يَشْفِي سُقْمِي، يُزِيلُ غَمِّي، يُبْرِئُ جُرْحِي، يَجْلُو رَيْنَ قَلْبِي، يُزِيحُ وَسْواسَ صَدْرِيُ..)، بمطلق زمنيات الوجود من غير جهة ما فيه، وفي حركة الفعل المتغيّرة بالصّيغة المتجددة (يفعل)، المضارع، في جدل وصراع من وجود إلى عدم، وهكذا في: (الكسر × الجبر)، (الفقـــر × الغنى)، (الذّلّ × العزّ)، (اللوعة × انطفاؤها)، (السّـقم × الشّـفاء)، (الغم × الإزالة)، (الجرح × برؤه)، (تقلبات القلب والنفس في «رين القلـــب»، و«وســواس الصّـدر» × جلائه، وإزاحته)، وفاعلها المقصور عليه (البارئ - عزّ جلّ) الواجب الكمال؛ بالوجوب- سبحانه.

ثـمّ أنّ (إلّا) هنـا غـير مخرجة للمسـتثنى المقصور عليـه (الله)، عزَّ وجـلَّ (لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، عَطْفُكَ وَإحْسـانُكَ، سُـلْطانُكَ، لِقاؤُكَ، طِبُّكَ قُرْبُكَ، صَفْحُكَ، عَفْوُكَ، أَمْرُكَ) من عموم نوعيات المستثنى منه، (المنفي المقدّر بـ(لا) بالمفهوم الذّهني المفترض؛ لأنّه بارئها ومصورها سبحانه، ممّا يؤدي إلى نقضٍ في قاعدة اقتضاء الإخراج الدّلاليّ الّتي تمثّلها أداة الاسـتثناء (إلّا)، أمّ الباب في أصول أسلوب القصر، والتّخصيص البلاغيّ.

ولكي نكون على بعدٍ من مستوى الإحاطة بفكرة النّصّ، وتسلسل موضوع بناء أسلوبه القصري- ونحن في إطار لوحة فن القراءة المتقدمة في الاحتمالات – فلنفترض، جدلاً، أنّ بعض مرجعيات الأحكام الّتي تضمنها الإسناد في بعض من جمل النّصّ الثّاني قد تكون من قدر استطاعة النّاس، وقدراتهم المادية والمعنوية، فمثلاً - في الوجود الدّنيويّ - نسمع مقولةً بأبعادها: (أنا عبد فقير، محتاج، مكسور النفس، ذليل، مريض،...)، بتركيبها، ومنحاها الاعتيادي في أسلوب عموم الأدبيات وسلوكها، نجدُ الإجابة عنه بالذّاتيّة الفرديّة، أو الموضوعيّة الجماعيّة، فيعمل صاحب القول عملاً يساعد نفسه، ويسعى ليرفع فقره، ويجبر كسره، ويعزّ ذلّته بذلك المحصول (المال، والسّلطان، والجاه، والبنين،...)، ويداوي جراحه ومرضه بالعلاج والمراجعة. أو قد يكون ذلك بمساعدة الآخرين من النّاس بني نوعه له، وإعانته على ذلك، وهذا واقع منفذّ من الممكن مشاهدته عياناً.

ومن تلك الخُطى نبدأُ، ونضعُ الحافرَ على الحافرِ في تأملات استفهاميّة، هل يمكن لنا، وللناس جميعاً القيام بذلك، وهم بمعزل عن عالم الملكوت ؟ والإمام «عليه السلام» يقول: (لاَ يُجيرُ يا إلهي إلَّا رَبٌّ عَلَى مَرْبُوب، وَلاَ يُؤْمِنُ إلَّا غالِبٌ عَلَى مَغْلُوب، وَلاَ يُعِينُ إلَّا طالِبٌ عَلَى مَطْلُوب، وَبِيَدِكَ يَا إلهي جَمِيعُ ذلكَ السَّبَب، وَإلَيْكَ الْمَفَرُّ وَالْمَهْرَبُ،... أَللَّهُمَّ إنَّكَ إنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ، أَوْ مَنَعْتَنِي فَضْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ أَوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبَبَكَ لَمْ أَجِدِ السَّبِيلَ إلَى شَيْء مِنْ أَمَلِي غَيْرَكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ؛ فَإنِّي عَبْدُكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لاَ أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكَ، مَاض فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ سُلْطَانِكَ، وَلاَ أَسْتَطِيعُ مُجَاوَزَةَ قُدْرَتِكَ، وَلاَ أَسْتَمِيلُ هَوَاكَ، وَلاَ أَبْلُغُ رِضَاكَ، وَلاَ أَنَالُ مَا عِنْدَكَ إلَّا بِطَاعَتِكَ وَبِفَضْل رَحْمَتِكَ. إلهي أَصْبَحْتُ وَأَمْسَيْتُ عَبْداً دَاخِراً لَكَ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إلَّا بِكَ أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَى نَفْسِي وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي وَقِلَّةِ حِيْلَتِي فَأَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَتَمِّمْ لِي مَا آتَيْتَنِي؛ فَإنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ الضَّعِيفُ الضَّرِيرُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمَهِينُ الْفَقِيرُ

الْخَائِفُ الْمُسْتَجِيرُ...)[١]. أ يكون لنا ذلك القدر من الاستطاعة والقوة بمعزل عن دلالة خطاب النّصّ ومعناه الواقعي؟!...

إنَّ المقولة الافتراضية: أنا فقير محتاج،... الّتي تمثّلها إشعاع النّصّ (في نصوص التّحليل المصطفاة)، بالبيان والإفصاح في بعض من جوانبه تخطّ حواراً متناقضاً في جدل عمقها النّفسي الباطنيّ، وواقعها الحيويّ الخارجيّ المعاش. ولو تأمّلنا واقعنا الدّنيوي، لكان شاهداً وبرهاناً على ضعفنا، وعدم قدرتنا - دوننا النّصّ في أعلاه - في جميع حالاتنا، إلا بالإعانة الإلهيّة، يقول الإمام زين العابدين «عليه السلام»: (اللَّهمَّ وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ مَهِينٍ ابْتَدَأْتَنَا، فَلاَ حَوْلَ لَنَا إِلَّا بِقُوَّتِكَ وَلا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِقوَّتِكَ، ولا قُوَّةَ لنا إِلَّا بِعَوْنِكَ...) [٢].

أمّا الواقع النّفسي، فهيأته وصراعه الجدلي التّناقضي، يصرخ باحتياجنا وفقرنا ونقصنا الدائم له (سبحانه)، من فقر نفسي إلى غنًى، ومن غنى إلى فقرٍ، ومن كسرٍ نفسي إلى جبرٍ، ومن خوف وورع إلى سكون واطمئنان، وبالعكس، ومن ذّلة إلى عزّة، ومن حاجة وخلة إلى سّدّ وقضاء، ومن حرقة الغلّة إلى بردها، وبالعكس، ومن حرارة اللوعة إلى انطفائها، وتجددها وبالعكس، ومن الشّوق إلى برد اللقاء، ومن مرارة السّقم إلى حلاوة الشّفاء، ومن رين القلب إلى صفائه، وبالعكس، وهكذا في حركة مستمرة وجدل باطني متجدد، نتيجته الإقبال بالطّلب والدّعاء (لله) سبحانه المعين عليه وحده.

وكلا الواقعين الباطني النّفسي، والخارجي المعاش، يعبر بافتخار عن تبعيته وعبوديته، وسببه إلى خالقه (الله) سبحانه (المقصور عليه المستثنى)، بعد (إلَّا) الَّذي لا يُتصور القياس به (حاشاه تعالى)، في تضرع وخضوع، ورجاء، وتبتل وطلب وخشوع.

١ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ٨٩.
٢ - المصدر نفسه: ٤٧.

وهذا كلُّهُ في ظرفية أصول ميدان المستثنى منه المقدّر بالتّصور المنفي بـ(لا)، بدلالة الالتزام المفهوم من وظائف مفردات التّركيب، وأوشاجها في منحاه التّأليفيّ.

وإذا ما دخلنا في حيزية المستثنى (المقصور عليه) بتكوينه الأسلوبيّ (الموصوف)، وموضوع الإضافة فيه، واتّصافه بحكم الإسناد على جهة حقيقة الحال، نجده على خلاف مجريات قاعدة النّحوي في الإضافة، ودلالة القصر البلاغي؛ ببراهين المعتقد، وفكرة الاعتقاد.

إذ إنَّه مِن المعلوم أنَّ الإضافة [1] نسبة تقييديّة جزئيّة بين شيئين، بإضافة شيء إلى شيء آخر؛ لقصد التّعريف أو التّخصيص النّحويّ، إضافةً ملكية، نحو: هذا كتاب عليّ، من إضافة الشّيء إلى صاحبه أو مالكه. أو إضافةً بيانيّة، مثل هذا خاتم ذهبٍ من إضافة الشّيء إلى جنسه العام، أو غيرها.

والإضافة - المركّب الجزئي - في كلّ من المستثنى المخاطب (الله، بصفاته) سبحانه (المقصور عليه)، والمستثنى منه المحذوف؛ لتفريغ الاستثناء في (النّص الثّاني): (إلهي كَسْري لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ،... وَلَوْعَتِي لا يُطْفِيها إلَّا لِقاؤُكَ،... وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُهُ إلَّا أَمْرُكَ،...)، ليستا على نسق واحد بالوضع النَّحويّ التَّصوُّريّ والدَّلاليّ.

فقوله «عليه السلام»: في إضافة (المقصور عليه): (لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، عَفْوُكَ، أَمْرُكَ)، ليست من إضافة الشّيء (النكرة) إلى آخر على سبيل المغايرة في الملكية، أو البيانيّة؛ لغرض التّعريف، أو التخصيص - اللهم إلَّا بالوضع اللُّغويّ - وما نحن فيه إرادة الإضافة المعنوية في الحقيقة؛ لأنّها هي الغاية من النّسبة القصديّة التّقييديّة في الإضافة.

---

١ - ينظر: شرح المفصل؛ ابن يعش: ٢/ ١٢١، وشرح ابن الناظم: ٢٧٢، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٤٣، وهمع الهوامع؛ السيوطي: ٢/ ٥٠٠، وحاشية الصبان: ٢/ ٣٥٦، وحاشية الخضري: ٢/٣.

ولـو جزّأنـا المركّب الإضافي، لرأينا صدق تصوّر الأمر، فالمسـتثنى: (عَفْوُكَ)، مثلاً، يتألّف من: (عفو) المضاف، و(كاف الخطاب) المضاف إليه. ونتسـاءل هل بين المضاف والمضاف إليه إسناد قيدي، أي: نسبة شيء مغاير إلى شيء آخر؛ لغرض تعريف المضاف (العفـو)؛ لأنّـه نكرة بالمضاف إليه (كاف) الخطاب؛ لمعرفتـه بجهة الخطاب، أو لبيان أنّ الملكية والاختصاص بتقدير حرف (اللام)، أي: (العفو لك)، أو البيانية من إضافة بعضٍ الشّيء إلى جنسهِ العامّ، على تقدير الحرف (مِن)، أي: (العفو منك) ؟.

إنّ أصول الفكر الاعتقادي تأبى ذلك، ولا ترتضيه، بسبب مـن أنّ الإضافة تقتضي التّشريك بين شـيئين - كما تقدّم - متغايرين معنًى ودلالةً، وتلتزم أنّ المضاف (عفو) نكرة فتعرفه، أو تخصصه بحسـب الإضافة، وهذا يسـتدعي نقصان المضاف (عفو)، واحتياجـه، وكمال المضاف إليه (الكاف الخطاب)، وفيضه.

إنَّ جهة الاثنينيَّة الّتي تقتضيها الإضافة مرفوضة على الإطلاق عند المنشئ - لأنَّه عالم بقوله وقصده - مع رسوخ الاعتقاد بأنَّ صفات البارئ سبحانه وتعالى، (اللطيف، الغني، العفو، الماحي، الشّـافي، الآمر،..) الّتي اشـتق منها الفعل بدلالته الديناميكيّة، كلّها أعرف المعارف، فكيفَ تُعرّف بأدناها من المعرِّفات، وهي الإضافة ؟. وأنّها عين ذاته (جلّ وعلاّ)، فكيف تختلف ؟. (نعم هي مختلفة في معانيها ومفاهيمها لا في حقائقها ووجوداتها)[١]. وكفى بقول سيد الموحدين شهادة صدقٍ على ذلك قـال: (ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود،...)، إلى أنّ قال: (وكمال توحيدهِ الإخلاصُ له، وكمال الإخلاص نفي الصّفات عنه لشهادة كلّ صفةٍ أنّها غيرُ الموصوفِ، وشهادة كلّ موصوفٍ أنَّهُ غيرُ الصّفةِ) [٢].

ثـمّ إنَّ الإضافـة إذا مـا قورنت ببقية المعارف، في بنيتها المعرِّفـة، وقصدها الدّلاليّ، فإنّها أقرب ما تكون شبهاً بالتّعريف بـ(أل)، فتكون للعهد والجنس [٣]. وحين نستحضر

١ - عقائد الإماميّة؛ محمد رضا المظفر: ٦١.
٢ - نهج البلاغة: خ:١: ١/ ٢٤.
٣ - ينظـر: شرح الكافيـة؛ رضي الديـن الاسـترآبادي: ١/ ٢٩٨، ومعانـي النحـو؛ فاضـل

ما تقدم في التحليل الاحتمالي من عدميّة إفادتها (الإضافة) شيئاً في التّعريف في معنى الملكية أو البيان مع جهات الخطاب الدّلاليّ عِنْدَ المتلقي في بعده الثّاني (على فرض أنَّه المتكلِّم) نجدها تدلّ على معانٍ ودلالاتٍ متوخاة في بنية التّأليف الجزئيّ، كالدّلالة على العهد في جميع آفاقه في الذكري؛ لأنه قد سبقها ذكر في الملفوظ الدّعائي (إلهي) المذكور (رينُ قلبي لا يجلوهُ إلَّا عفوُك) (عفو) مدخول الإضافة، و(إلهي) عينه وذاته عفوُك، ولطفك،...)، والذهني؛ لأن المتلقي (الَّذي هو المخاطب المتكلم في بعده الثاني (الدّاعي) يعرفه معرفةَ صدق ويقين (عفوُك، وطبُك، ولطفُك،...) معهودة عنده «عليه السلام» بحسب شبكة الخطاب العموديّة لا الأفقية، لمعرفة البارئ سبحانه بذلك، والحضوري؛ وآيته جوّ العبادة، وسياق الدّعآء (سُبْحَانَكَ أَنْتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوى. سُبْحَانَكَ مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوى. سُبْحَانَكَ حاضِرُ كُلِّ مَلأ) [١]، لا على سبيل الحضور الملموس العيني - حاشاه سبحانه من ذلك - وإنّما على المشاهدة الرّوحيّة الإيمانيّة القلبيّة؛ لأنّه - سبحانه (لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان) [٢].

وهذا العهد بنوعياته كافةً، يتأطّر بلوحة التّبجيل والتّعظيم، والكمال المطلق، في الاختصاص لا على سبيل الجحد بشهادة الخطاب الدّعائي، وسياق الخضوع، ورهبانيّة العبادة (أَنْتَ الْمُسَبَّحُ فِي كُلِّ مَكان، وَالْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمان، وَالْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوان، وَالْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسان، وَالْمُعَظَّمُ فِي كُلِّ جَنان، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّة بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ راحَة بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُور بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغل بِغَيْرِ طاعَتِكَ) [٣].

وبعد هذه الإشراقات وأضواء دلالاتها في المستثنى، واستنشاق عبير شذاها في القراءة، ورشف ضربها في التّحليل، نلتفت إلى خلفيات المستثنى منه على دلالة استغراق أفراد جنسه، ونتعجب بسؤال مشوب باستنكار: هل تكون الإضافة فيه (المستثنى منه

---

السامرائي: ٤/ ١١٩.

١ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ٢٣١.

٢ - نهج البلاغة: خ: ١٨٠: ٤٢/١

٣ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة؛آ: مناجاة الذاكرين: ٢٦٧-٢٧٧.

المحذوف بـ(لا)، كالإضافة في (المقصور عليه) على (المقصور) حكم الإسناد؟. اعتقد أنّ الجواب يستحي من الظّهور، ويخجل حياءً من النّطق بعبارة واحدة هي: (لا)؛ لأنّ مَن سواه تعالى (مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ، مُخْتَلِفُ الْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ) [١]. بطبيعة الحال خالق مع مخلوق،...

ومن بناء المرجعيّات المتقدِّمة، وفرض الاحتمالات مع طرح (مسح) بنية المستثنى منه المقدّر، المنفي بـ(لا)، بوصفها مجموعة خالية، (ليس لها أيّ ملحظ وجودي - افتراضي، أو واقعي، وهذا الأخير أبعد)، مع سلوكيّة الإضافة في الموصوف (المدعو، المخاطب)، وكينونتها الدّلاليّة في التّركيب الجزئي - تتجلّى جدلية عقدية في عمليّة التّشكيل البنائيّ للإسناد النّحوي، ولبنية القصر البلاغيّ، باتّصاف حكمه بفاعله الدّلالي، واختصاصه به، وقصره عليه، ليس على نفي غيره (المستثنى منه)؛ لعدمية وجوده أصلاً، وليس على باب قصر الصّفة على موصوفها كأنّه لا موصوف لها سواه مما يقدح بأصول الأسلوب القصري البلاغيّ، ويزحزح ثوابت مقولة: إثبات الحكم لشيء ونفي عداه، بالسّبب الّذي تقدم من البِنَى الاعتقاديّة، إذ إنّ هذا يستلزم قصر الصّفة على صاحبها الأوحد، أي: قصر الشّيء على نفسه، وبعبارة أصرح: قصر (هو على هو) ({النّفي} لا هو إلا هو {الإثبات}).

وهذا الطّرح الاحتمالي في الدّلالة، تقودنا نتيجتُهُ إلى القول: إنّ نوعية أسلوب القصر في قصدية حصر الصّفة بموصوفها إثباتاً بالمنطوق، ونفي غيره من الذّوات بالمفهوم، ليست صريحة المعنى، بيّنة الموقف في الصَّحِيفَة السَّجادِيَّة؛ لأنّه يؤدي إِلَى خرم وحدة التّوحيد الحقيقية بالاثنينية في صفاته الجماليّة الكماليّة [٢]، وهذا غير جائز، (سبحانه وتعالى عمّا يصفون)، والله تعالى العالم.

فجمل النَّصّ: (إلهي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إِلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، وَفَقْرِي لا يُغْنِيهِ إِلَّا عَطْفُكَ وَإِحْسانُكَ، وَرَوْعَتِي لا يُسَكِّنُهَا إِلَّا أَمانُكَ، وَذِلَّتِي لا يُعِزُّها إِلَّا سُلْطانُكَ، وَأُمْنِيَّتِي

١ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة: ١١٨.
٢ - ينظر: شرح الباب الحادي عشر؛ الحلي: ٢٩.

لا يُبَلِّغُنيها إلَّا فَضْلُكَ، وَخَلَّتي لا يَسُدُّها إلَّا طَوْلُكَ، وَحاجَتي لا يَقْضيها غَيْرُكَ، وَكَرْبي لاَ يُفَرِّجُهُ سِوى رَحْمَتِكَ، وَضُرِّي لا يَكْشِفُهُ غَيْرُ رَأْفَتِكَ، وَغُلَّتي لا يُبَرِّدُها إلَّا وَصْلُكَ، وَلَوْعَتي لا يُطْفيها إلَّا لِقاؤُكَ، وَشَوْقي إلَيْكَ لا يَبُلُّهُ إلَّا النَّظَرُ إلَى وَجْهِكَ، وَقَراري لا يَقِرُّ دُونَ دُنُوِّي مِنْكَ، وَلَهْفَتي لاَ يَرُدُّها إلَّا رَوْحُكَ، وَسُقْمي لا يَشْفيهِ إلَّا طِبُّكَ، وَغَمِّي لا يُزيلُهُ إلَّا قُرْبُكَ، وَجُرْحي لا يُبْرِئُهُ إلَّا صَفْحُكَ، وَرَيْنُ قَلْبي لا يَجْلُوهُ إلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْواسُ صَدْري لا يُزيحُهُ إلَّا أَمْرُكَ...) [1].

إذن، في ذَلِكَ التّقديـر - هي (أعني: جمل النَّص المتقدّم) عبارة عَن رسـائل تمجيد في تنزيهه، وأناشـيد خطاب في توحيده سـبحانه، بقالب أسلوبيّ قصريّ في سياق نظم دعائيّ،... لننظر إلَى الرّسـم هذا وما يكوّنه من تلك الجوانب...

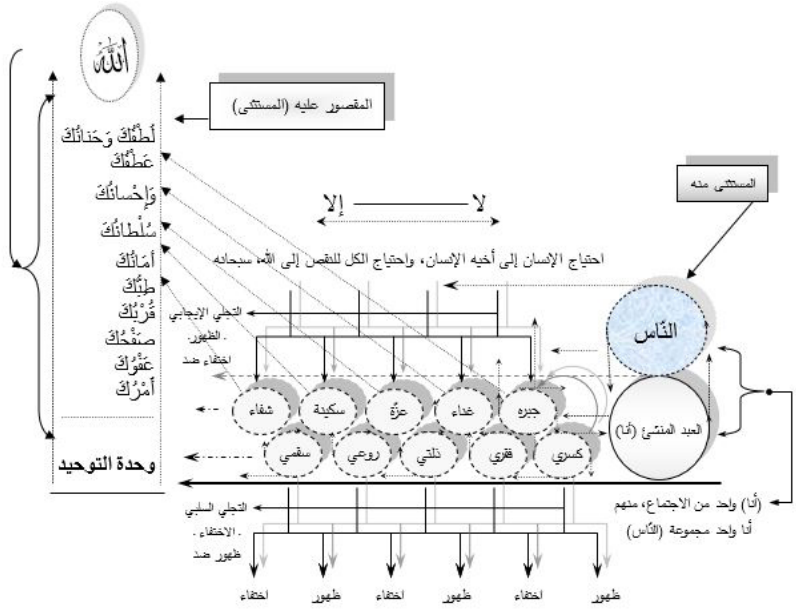


وبعدُ، لا بدّ لي من القول: إنَّ مسالك القراءة التَّحليليَّة - الآنفة الذّكر - لنسيج النّصوص المختارة، كانت تسير على هدي عتبات قصديات المنشئ؛ بوعي اختياره في بناء أسلوبيَّة القصر

١ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة:٣٧٢.

حسب حال الخطاب الدُّعائيّة، وسياق الموقف العباديّ، مع رؤية شفافة لمدارك المتلقّي من قريب أو بعيد، في بعضٍ من تشخيص أبعادهِ الدّلاليّة، في شبكة التَّلقِّي الافتراضيّة وجدليتها الدّاخليّة والخارجيّة مع بنية التّركيب الحصري، بصراحة لفظه، ومستواها العميق، في رصد الهدف الغائيّ من الاستعمال المعرفيّ لهذا الطّريق (النّفي والاستثناء)، بنوعيات أبوابه الخطابيّة، وتشكيلات الصّياغة الدّاخلية في قصر الصّفة (المقصور، في الإسنادي) على الموصوف (المقصور عليه). (الفعل مع مفعوله على الفاعل).

أقول: سنركّز - هاهنا، في القراءة والتّحليل - على المتلقّي نفسه، ونولي عنايةً أكثر بمدارك فكره، وبناء وعيه، بوصفه الجانب الآخر في الصّياغة الأدبيَّة من العمليَّة الإبداعيَّة، وحلقة من حلقات تفسير النَّصّ الدَّلاليّ، ومعرفة أبعادهِ الفنية الخطابيَّة.

إنَّ استبصار جهة الخطاب الدّلاليّ في ما ورائيات النّصوص في الصَّحِيفَة السَّجادِيَّة- تطرح مجموعة من الرؤى الاحتماليّة، وعلامات الاستفهام؛ بملاحظة المتلقِّي (المدعو، (الله)، أو (المتكلم)، أو(عموم الإنسانية - المجتمع)؛ في: إشكالية طرح البنية الخبرية بجدلها في النَّفي والإثبات في سياق الدّعاء والطّلب، بأسلوب القصر؟، في غرض المتكلّم (المنشئ) بهدف إظهار باقة من زهور الدّلالات؟، في الأمر الدّاعي، والحال المقتضية لإيراد النّصّ على مقتضاه الإبلاغيّ؟، في أنّ المغزى هو النّفي بمفهوم الأولوية على حدّ تعبير الأصوليّين[1]؟، في أنّ هامشية الدّلالة ترتكز على جانب واحد من طرفي الجدل، هو الإثبات؟، في: أنّ المخاطب شاكٌ منكرٌ، ومصرّ على إنكار أحكام المتكلم (الدّاعي) في الإسناد؟، في علم المنشئ بحالة المخاطب المعرفيّة، في المشاركة، وعدم التّعيين، وعكسيّة الحكم، فيأتي النّصّ بقصره، وبحسب الحالة المدركة: إفراداً، أو تعييناً، أو قلباً، بحسب الاعتقاد؟.

بدءاً قبل أن أمحو العلامات الاستفهاميَّة بالقراءات الاحتمالية، لا بدّ من بيان ماهيّة شبكة التَّلقِّي، جهة الخطاب القائمة على الإدراك الواقعي، والوعي الكليّ، من مراجعها

١ - ينظر: أصول الفقه؛ محمد رضا المظفر:١٠٩/٢.

التّنفيذيَّة، وخطوط تلك الشّبكة، وأبعادها المعرفيَّة في فضائها السّياقيّ (رحاب الدعاء)؛ مدخلاً لحركة التَّحليل الدَّلاليّ، في جماليات البنية القصريَّة في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة.

إنَّ في قنوات التَّعبير بأساليب الحصر في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، تتجلَّى مصفوفة شفافة ترتسم بعنوان شبكة التَّلقِّي الخطابيَّة، يكشف عنها النّصّ نفسه؛ بالتّأمّل البصير في شبكة تركيبه الكلمي، وهيكلة أسلوبه الفنّي، تتألّف من خطين عريضين، في بعدين أساسيين: الأوّل: الخطّ العمودي في بعده الفوقي (مجازاً)، (جهة الخطاب - الرّبّ المعبود سبحانه)، والثاني: الخطّ الأفقي في بعده (الدّاخلي) الذّاتي. وهذا البعد الثّاني على خطّين أيضاً:

أ ـ المتكلِّم نفسه هُوَ (المتلقّي)، متجرّداً، (الشّخص الثّاني فِيْهِ، الضمير).

ب ـ امتداد ذَلِكَ على مساحة الأفق الموضوعي في الصّفة الإنسانيّة (المجتمع)، وتمثّل النّصّ واقعياً فِيْهِ.

ومحور هذه الشّبكة هُوَ المتكلم (المنشئ) نفسه، وبصيرته وقدراته الاختيارية هي ملاك الاستعمال لأساليب التركيب القصري في تكوينها الجدليّ، وبعدها المعنويّ، وهدفها القصديّ. هكذا...

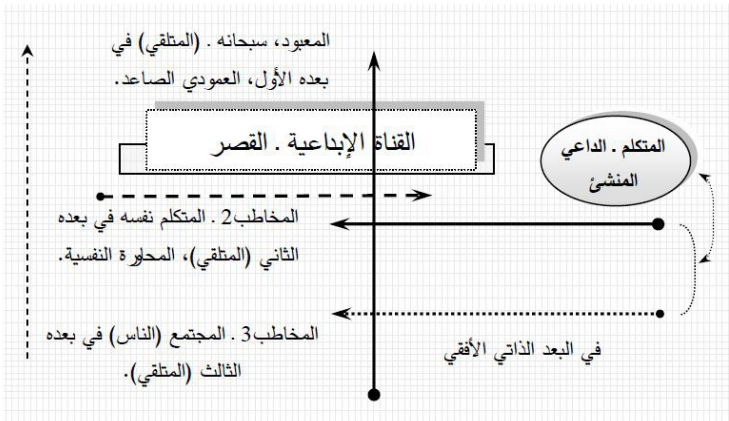

ولو سلّطنا ضوء الملاحظة على خطّ من خطوط هذه الشّبكة الافتراضيّة في بعده المعرفي- لكشف ألواناً من الدّلالة، والتّوجيه في رسم لوحة جمال الخطاب الدّعائي - داخلياً، وخارجياً، نفياً وإثباتاً، في نحت بنية القصر البلاغي؛ بإزميل الوعي والاختيار الأمثل، ونفث فيها من الرّوح الدّلاليّ الأكمل.

ففي البعد الأوّل، العموديّ -على سطوع نوره، وشذا عرفه - لا نجد أيّ لون من ألوان لوحة القصر في بابه النّوعي الإضافيّ، بل أنّ هذا البعد يحطّم هذا الباب تحطيماً؛ ذلك أنّ المتلقي (المدعو (الله) جلّ جلاله)، ليس فيه -على الافتراض- أية حال من شكّ، (حاشاه) - في نسبة الحكم الإسنادي، فيكون القصر إفرادياً في اختصاص المقصور بالمقصور عليه، بمعنى أنّ المخاطب (المدعو)، في تصور المنشئ، يعتقد أنّ المستثنى منه (النّاس في العموم)، المحذوف بـ(لا) بالالتزام المفهومي، يشترك معه، (مع المقصور عليه، المخاطب) في خاصيّة الأفعال ومصادرها، كـ(الإجارة، والأمان، والإعانة)، (صفات الله سبحانه، «ذاته») في الأوّل من المثالين، من قوله «عليه السلام»، المثال الأوّل: (لاَ يُجِيُر يا إلهي إلَّا رَبٌّ عَلَى مَرْبُوب، وَلاَ يُؤْمِنُ إلَّا غالِبٌ عَلَى مَغْلُوب، وَلاَ يُعِينُ إلَّا طالِبٌ عَلَى مَطْلُوب، وَبِيَدِكَ يَا إلهي جَمِيعُ ذلِكَ السَّبَب، وَإلَيْكَ الْمَفَرُّ وَالْمَهْرَبُ)، و(جبر الكسر، وإطفاء اللوعة، وإجلاء رين القلب، وإزاحة وسواس الصّدر)، في الثاني من قوله «عليه السلام»: (إلهي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ،.. وَلَوْعَتِي لا يُطْفِيها إلَّا لِقاؤُكَ،.. وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُهُ إلَّا أَمْرُكَ،...)، الّتي في الإسناد مقصورة عليه (المدعو الله - تعالى) بفعل المنشئ (الدّاعي) مختصّة به منفيّة عن كلّ ما سواه، قصراً حقيقياً؛ بحسب الحقيقة وواقع الأمر، أو حقيقياً ادّعائيّاً، بمعنى أنّ غير المدعو ليس معتدّاً به، ولا يلتفت إليه، مبالغةً وتجوزاً في (الإجارة، والأمان، والإعانة، وسواها) بأسبابها الدّنيويّة، فيأتي القصر بالصّياغة؛ قاطعاً للشّركة بين الموصوفين (النّاس)، والمخاطب (المدعو، الجليل - سبحانه) إفرادياً، فيكون القصد على الافتراض - هكذا (أنت المجير، أنت الأمين، أنت المعين لا الناسُ).

أو: (إنّما المجير، المعين، الأمين أنت). أو: (ما المجير، المعين، الأمين إلّا أنت)، فيطمئن المخاطبُ بالاً، ويستقرُّ نفساً، من قبيل البيان، والمدح الثّناء؛ إنّ هَذَا لا يكون في جهة الخطاب، في حقّه سبحانه وتعالى.

أو أنَّه (المخاطب) - في الاحتمال - متردّداً في الأحكام الإسناديّة، أهي له، أم لموصوف آخر، قادر على تلك الأفعال في الصّفات (المقصور)؟، فيأتي (الدّاعي) بالقصر ببنيته؛ ليثبت الحكم ويقرره؛ تعيينياً له بالصّياغة الّتي تعمل على ذلك (التّعبير الفني) في أسلوبه.

أو أنَّه (المتلقّي) يعتقد أنّ غيره من (النّاس) يفعل ذلك بالقدرة والاستطاعة الَّذي هو عليها، دون ذاته، فيأتي (المنشئ، الدّاعي)؛ لعلمه بذلك، بالأسلوب القصري؛ ليزيل حكمَ المخاطب، ويثبت له آخر مكانه؛ قلبياً مع توكيده.

إنّ المنشئ الدّاعي - على علمه اللدُنّي؛ إنَّهُ إمام - يعلم علمَ اليقين أنَّه سبحانه لا يُقاس به غيره من الممكنات من خلقه، بل لا تخطر بخلده «عليه السلام» الفكرة. وهذه التنوّعات الأسلوبيّة في دلالة الإفرادي والتعييني والقلبي في البناء القصري، هي من ملاحظات حالة المدعو - على احتمال وجودها، وإدراك المنشئ لها - مع المقايسة بغيره، وقد تقدّم بطلان ذلك بالدّلالة اللُّغويَّة والعقليّة، فكيف يكون القصر بذلك التّنويع الدّلاليّ، في ساحة قدسه (جلّ وعلا)، وهو يعلم «عليه السلام» أنَّه (سبحانه) يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور، ويدعوه بصفاته بـ(ذاته)، (أَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ، وَيا جابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ،أَنْ تَهَبَ لِي مُوبِقاتِ الْجَرآئِرِ، وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فاضِحاتِ السَّرآئِرِ،...) [1]، و: (أَللَّهُمَّ يا مَلاَذَ اللائِذِينَ،... وَيا مُنْجِيَ الْهالِكِينَ،... وَيا راحِمَ الْمَساكِينِ،... وَيا كَنْزَ الْمُفْتَقِرِينَ وَيا جابِرَ الْمُنْكَسِرِينَ،... وَيا مُجِيرَ الْخآئِفِينَ،... ) [2].

١ - الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة؛ آ: ٢٥٤.
٢ - المصدر نفسه: ٢٧٨.

فهذا البعد في شبكة التَّلقِّي، إذن، يرفض نظرية القصر البلاغيّ، ويخلخل ثوابتها الأسلوبيّة، في قصر الإفراد، والتّعيين، والقلب، ويوصد بابه من دون منفذ، على الإطلاق..

لكن قد يكون بعض من هذه التّنوعات في نصوص الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة، بيد أنَّه ليس في هذا الخطّ من شبكة التَّلقِّي، بل ممكن في الذّاتي الأفقي (المتكلّم، المتلقّي)، منها، والموضوعي (المجتمع)، كما سيأتي.

ويطرح هذا الخطّ بعدُ، أيضاً، إشكاليّة الغرض الَّذي استعمل في هذا الأسلوب (النّفي والاستثناء)، دون غيره من الأساليب القصريّة كالعطف، واستعمال (إنّما)، والتّقديم...، إذ إنّ المخاطب (الله)، في مجالات الغرض هذا، منكر مصرّ على عدميّة الإسناد الحكمي، في الأمثلة النّصيّة، وأيضاً قوله «عليه السلام»: (أَللَّهُمَّ لَيْسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إِلَّا حِلْمُكَ، وَلاَ يَرُدُّ سَخَطَكَ إِلَّا عَفْوُكَ، وَلاَ يُجِيرُ مِنْ عِقَابِكَ إِلَّا رَحْمَتُكَ، وَلاَ يُنْجِيْنِي مِنْكَ إِلَّا التَّضَرعُ إِلَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ)، مثلاً، وغيرها كثيرٌ، فيأتي القصر بفاعليته الأسلوبيّة، وصياغة نوعياته الدّلاليّة، سواء أكان على سياق مقتضى الظّاهر، أم على خارج مقتضاه، ليرفع منه هذا الإصرار، ويرد الإنكار - حاشاه سبحانه من أصل ذلك التّصور الافتراضي.

هذا البعدُ، إذن، ينسفُ جدل الفكر في غرض التّعبير بأسلوب الحصر، وينتج على أساسه القول: إنّ الأساليب الفنيّة في التّعبير الجمالي، كلّها في دلالة مواد تركيبها فحسب، وصورها الأسلوبيّة ليست بمعناها العرفيّ البلاغيّ، بل في بلاغة مداها العبادي الرّهباني، في سياق (العبودية في الحضرة الرّبانيّة).

ويطرح أيضاً، إشكالية جدل البنيّة الخطابيّة: الخبريّة بشهادة طرفيها في النّفي والإثبات، من دون الإنشائيّة، في السّياق بقرينة الطّلب العبادي، الّذي يحكم بسلوك التّعبير الإنشائي منه بالنّداء، والأمر، والنّهي، والاستفهام...، فتكون جمل النّصوص - على المفترض - على معانيها الأدائية بعنوانها: اللّهمّ اجبر كسري بلطفك، أو: يا

لطيـف، أو (يا جَابِرَ العَظمِ الكَسِـيرِ)، أو لا تكّسر نفسي، أو: هل تعينني؟، أو يا معين أعنّـي (وَأَعِنِّـي يَا خَيْرَ مَنِ اسْـتُعِينَ بِهِ) [١]. أو: (يا غَنِيَّ الأغْنيـاء، هَا نَحَنُ عِبادُكَ، وَأَنَا أَفْقَر الفقراء إلَيْكَ فَأَجْبُرْ فاقَتَنا بِوُسْعِكَ،...) [٢] أو: يا شافي، اشفي سقمي،... وهكـذا.

مـا الهـدف، إذن، من ولوج هذا الأسـلوب الخبري بهيأة الجـدل التّناقضي بضدياته المتنازعة؟، أيتخيل الدّاعي (العبد) المنشئ، أنّ المدعو (الله) سبحانه، المخاطب غير عارفٍ بالخبر، أو أنَّه (العبد) يعلم أنَّه سبحانه يعلم، بيد أنَّه (المنشئ) يريد أن ينشر خبر معرفته له، من نوعي الأسلوب الخبري: دلالة فائدة الخبر، أو لازمه، وأنماطه التّعبيرية الأخرى من أضربه الطّلبي- هنا- أو الإنكاري، في مجريات أصول الأسلوب الدلاليّ.

إنّ هـذا البُعد لا يسـير والنّظرِ البلاغيّ بمرجعياته التّنفيذيّـة، ويُعرب عن أنّ الغرضَ القصدي من كلّ ذلك التّعبير بفنّياته، وسحر جماله، بحقائقهِ وسرّ بيانه، أنّ مجموعة من العوامـل اجتمعت؛ وأدّت الإنتاج الحـصري، لإظهار مزيد من التّعبير في الضّعف وعمقه، والفقر وأساسـه، وديمومة الحاجة والفاقة، والنّقص الإنسـاني الدّائم، والاعتراف بذلك؛ لشـمول مزيد من اللطف والحنان، والاسترحام، والإقبال، والعطف والإحسان.

دوننـا عنـوان المناجـاة في النّـص الثّانـي (مناجـاة المفتقرين)، فعنوانهـا بوصفه المعنـون هو الباعث للإفصاح بذلك الأسـلوب من مركز الدّلالة فيه، إلى هامشـها الَّذي تحـوّل جدلاً، في ربـوع جوانبه إلى مركزها، وأوليات منشـأها.

ولكي نسـتوفي ألوان الطّيف الدّلاليّ في أبعاد هـذا الخطّ العمودي (الصّاعِد)، حقّها مـن القراءة والتّأويل، نطـرح التّفاعل الاحتمالي بين بعدي الخطاب في شـبكة التلقي: (الفوقي، الأفقي)، (الرّب، والعبد)، (المتكلم، والمخاطب) على ساحل بنية القصر بجانبها السّـطحي، ومسـتواه العميق؛ لاكتناه عمق المعنى الدّلاليّ، والهدف القصدي في موارد

١ - المصدر نفسه: ١٠٣.
٢ - المصدر نفسه: ٤٩.

مفهـوم سـبرتْ غورَه المعنـوي دلالةُ الأولويّة مـن فحوى الخطـاب الموافق للمنطوق بالنّـصّ إلى دليلـه، المخالفة لتركيب مفهوم الجملة، بوسـاطة الإعانة والافتراض؛ بياناً لمفهوم التّركيب القصري بأسـلوبه الفني، وملاك الاسـتعمال فيه في روح الدّعاء.

وبطريق أوضح سنسـتعير مفهوم الأولوية [1] من نوعي موافقة الدّلالة المفهوميّة للمنطـوق (المسـاواة، والأولويـة) في الحكم، جدلاً، ونسـتعملها في عـدم الموافقة، أي: المخالفة للمنطوق بدليل الخطاب، بمفهوم أولى وأعلى قوة من المفهوم الدّلاليّ المستوعب مـن التّركيب، في محل النّطق بالجملة القصريّة.

ونتمـم ذلـك من خلال ملحظـين: الأوّل: قيـاسيّ في الاتّخاذ، في جميـع أصول الفنّ البلاغيّ، أي إجراءات الخطاب الأسـلوبي لبنية القصر (العودة إليه). والثّاني: السّياق الإيماني، ونُسك العبادة في الدعاء، ونهج سبيل أدبيات الحب الإلهي في التّعبير بأساليبه الخطابيّـة، بين العبد وسـيده ..، بـين الحبيب ومحبوبـه...، بطرح مفهـوم الأولويّة، والتّركيـز على جانب (المنفي) من جدل التّعبير في المفهوم فحسـب.

نعود لنستحضر النّصوص في شبكة تلقّيها، من النّصّ الأول مثلاً: (لاَ يُجيرُ يا إلهي

---

١ - تقسـم الدّلالـة عِنْـدَ الأصوليّين على نوعين؛ دلالة المنطوق: وهي ما يـدلّ عليه اللفظ في محل النّطق، وتسـمّى دلالـة النّـصّ أو العبـارة، ودلالـة المفهوم: وهـي ما يدلّ عليـه النّـصّ لَيْسَ فِي محـلّ النّطق، والأخـيرة - وهـي مطلبنـا - على أقسـام: موافقـة: وهي مـا كَانَ الحكم فيهـا موافقاً لِلمنطوق، سـلباً أو إيجابـاً، وتسـمّى بـ(فحـوى الخطـاب أو لحنـه) بحسـب ثبوت الحكـم، وهي أيضاً عـلى نوعين: ما كَانَ فِيْـهِ المفهـوم أولى وأعـلى فِي الدلالـة من المنطوق، وتسـمَى دلالة مفهوم الأولويـة. والثاني: ما كَانَ فِيْـهِ المفهـوم مسـاوياً للمنطـوق في قوة الدلالـة. أما مفهوم المخالفة، وتسـمّى دليل الخطـاب: فهي ما كَانَ الحكـم فِيْـهِ مخالفـاً لحكم المَنطوق سـلباً أو إيجابـاً. ينظر: الإتقـان؛ السـيوطي: ٥٩/٣، وأصول الفقـه؛ محمـد رضـا المظفـر: ١٠٩/١، ومفتاح الأصـول إِلَى علم الأصـول؛ أحمد البهـادلي:٣١٠/١، وما بعدهـا، والتّصور اللغـوي عِنْدَ الأصوليّين؛ أحمد عبـد الغفّار: ١٣٧.

ومـن هنـا يجـدر بنا التنبيـه بالقول: إن مفهـوم الأولوية قد اسـتعرناه من دلالة مفهـوم الموافقة، وليـس العكـس أي: مـن المخالفـة لأنّها ليسـت مِنْهَا، فصـار من متممـات دلالة المخالفـة التي تُراد مـن البنيـة القصريـة في أصـل الفكر البلاغـي، وهُوَ الأمـر الذي تقـع فِيْـهِ المفارقة؛ لبيـان الدّلالة، والغـرض المحتمـل فِي التّعبـير، كَمَـا تقدم.

إلَّا رَبٌّ عَـلى مَرْبُـوب،...)، ومـن الثّاني: (إلهي كَـسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُـكَ وَحَنانُكَ،... وَلَوْعَتِـي لا يُطْفِيهـا إلَّا لِقـآؤُكَ،... وَرَيْنُ قَلْبِي لا يَجْلُوهُ إلَّا عَفْوُكَ، وَوَسْـواسُ صَدْرِي لا يُزِيحُهُ إلَّا أَمْرُكَ،...). ونسـتضيء بنورها في الدّلالة، فالتّراكيب أسـلوبها يدلّ على أنّ قصد المتكلّم (الداعي) أمران: إثبات الحكم في الاختصاص بالمنطوق في البناء السّطحي، ونفيه عمّا عداه في المفهوم، المسـتوى العميق منه.

إنّ المخاطـب (المتلقّي) يعلم، بيد أنّ إرادة أحد طرفي التّعبير بجدل البنية القصرية، أعنـي: (النّفـي) منهـا بالدّلالة المفهوميّة هي أولى وأفضل، وأجمل وأحسـن في سـياق الخطاب الدّعائي، مما يؤدي؛ ترسـيخاً لذلك المعنى الدّلالي، تحوّل المتكلم إلى متلقٍ ثانٍ بطابـع الحوار النّفسي والمخاطبة الوجدانية؛ ليفهم منهُ (من المتلقي)، أي: من نفسـه، بالمحاورة الافتراضيّة: إذا كنت تعلم أيُّها العبد أنَّه (سـبحانه) كذلك في جميع صفاته، إذن، فانـفِ جميع الَّذي لا يسـتطيع فعل شيء منهـا، وارتكز عليه في التّوخّي، وانطلق منه إلى الإثبات؛ فهذا أولى، وأحسـن، بمفهوم الدّلالة الأولويّة.

ومن ثمّ يعود (المتلّقي) مرة أخرى إلى طبيعته الذّاتية في الخطاب (متكلّماً)؛ لغرض الاستمسـاك بالهـدف الغائي، وهو التّركيز على المنفي المقصـود مفهوماً بالعبارة، أي: تصبـح دلالـة النّفي من الجملة بمفهوم الأولويّـة - أقوى من دلالة الإثبات في الغرض البلاغيّ للاسـتعمال الأسـلوبيّ، وقصده المعنوي بنفي جميع ما خلافه، والتّركيز على الإثبات عن طريق غير مباشر من خلال المفهوم من الخطاب إلى المنطوق، أي: من داخل البنيـة إلى خارجهـا، وليس العكس؛ لأنه يقود بالضرورة جدلاً، وآلياً إليه (إلى الإثبات) عـن طريـق (النّفي)، أي: يقود إلى فاعله الأصلي بالإسـناد، وإثبـات المثبت بالقوة بعد نفـي مـا عداه، والتّركيز على المنفي، ثم بَعْدُ، الإثبـات، أي: أنّ الإثباتَ بـ(النّفي) يؤدي إلى الإثبـات عـن طريق ضده بطريق غير مباشر هـو (النّفي) الَّذي هو أولى وأكثر قوة في الدّلالة من الإثبات في رحاب المتلقي (المعبود سـبحانه) في دلالة الملفوظة بالجملة.

ذلك أنّ ملاك التّعبير من كلّ جوانب ذلك الخطاب، وأطرافه المتشابكة - هو الإخلاص بالدّعوة حين الطّلب والتّضرع، في رحاب ذلك الجو القدسيّ، الأمر الَّذي يجعل النّفي أولى بالأخذ الدّلالي، وأقوى بمفهوم الأولوية من الإثبات، وإن كان مقصوداً لذاته، مدلولاً عليه بصراحة تركيب أسلوبه. فالنفي إذن، أقوى أداءً في الهدف، والبعد الدّلالي من معنى الإثبات.

وفي ذلك من التّفاعل الدّلاليّ ما يكشفه، ويُعرب عنه مركز الدّلالة وهامشها في السّياق، فمركز المعنى يستقرّ مرةً في النّفي ودلالة ظهوره، وهامش الدّلالة في الإثبات، ومرة أخرى في الإثبات، وهامشها في النّفي؛ وصولاً إِلَى مركز الدّلالة فِي هامشه، وهامشها فِي مركزه، جدلاً فِي الأخذ والعطاء المتبادل أروع ما فِيْهِ سرّ بيانه بإشعاع أنواره. وكما فِي المخطط الآتي:

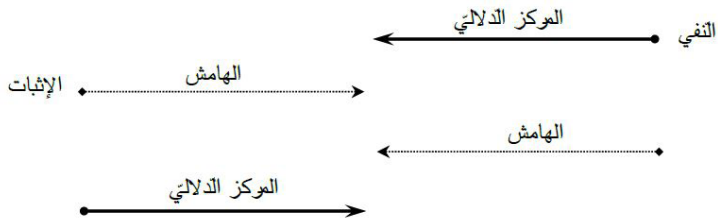


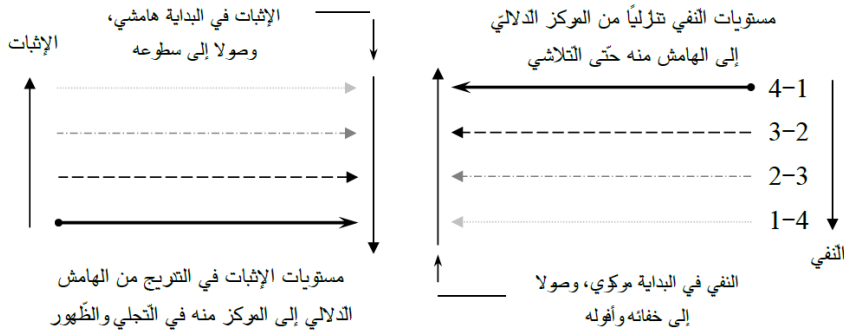

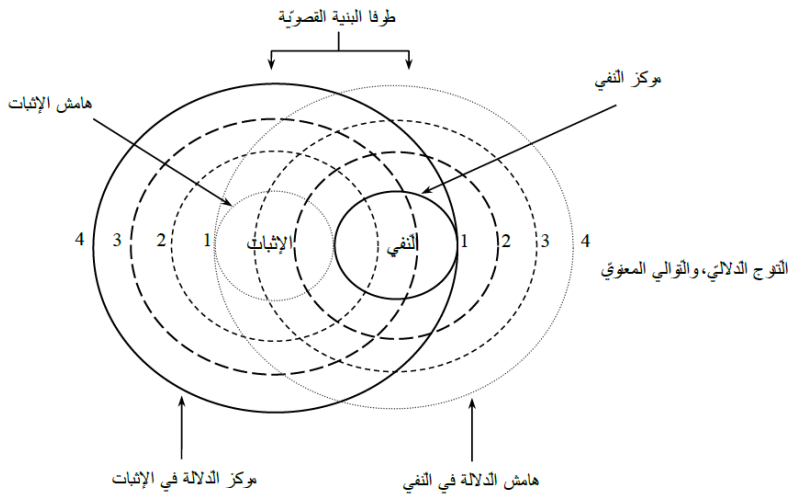


فالنفي هنا يكفي في الدلالة والقصد، لأنّه نفي للفعل (الحدث) بمعناه الاسمي في المصدرية، أي: نفي صفة من صفاته تعالى عَن المخلوق ... ثمّ أنّ المقصور عليه متوقّع الإسناد؛ لأنّه لَيْسَ لغيره (عزّ وجلّ).

وهبْ أن ذَلِكَ حاصل في حصول الإعانة...، والأمان...، بأسبابها، لَكِن يتجلّى السّؤال بالاستنكار، هل يكون ذَلِكَ بالخروج عَن ملكوته وملكه سبحانه...؟!.

وعلى ذَلِكَ يتقرر لنا أمر التّركيز على الذّات المتّصفة بهذه الصّفات عَن طريق غَيْر مباشر (في النفي) من المفهوم، ثمّ التأكيد على سبيل الحقيقة التحقيقية، بطبيعة الحال وواقع الأمر؛ زيادةً في الطّلب والاستعطاف الرّبّاني، ذَلِكَ أن غيره سبحانه، لَيْسَ في خلَده «عليه السلام»، وهذا أشدّ في خصوصية الإخلاص العبادي...

أو قد يكون ذَلِكَ من قبيل معرفة العبد (المنشيء) بالإجراءات الخطابية في الاعتيادي الذي هُوَ عليها مع بني نوعه (الإنسان)، وقصد اتّخاذ أسلوبه الأدبي في التّحاور والإنشاء، فيسير على مقتضاه، ويجري على تمثيل أصول الفكر البلاغي فِيْهِ، واتباع السنن اللغويّة ونسيج طرائق التّراكيب الدلاليّة في البنية القصرية؛ لأنه قد

عَرِف - وهو ما ترسّخ في المعتقد، وأصل المبدأ في المأثور ـ أنّ البارئ سبحانه يحب أن يرى عبده، ويسمع منه نجواه ودعواه، - لا لشيء إلَّا لذات الإنسان نفسه - وهو في حضرة الإيمان الذي يمتلكه؛ فيقصد إليه متوجهاً، حال متكلّم آخر - لا على سبيل المقايسة - العبد مع سيده، على ما يستلزم ذَلِكَ، ورأفة السّيد به أو خوف العبد منه، أو حسن ظنّه به، أو محبته له،...

أو برؤية الحبّ والعشق: حبيب مع حبيبه، بالقول: (فَأَنْتَ لاَ غَيْرُكَ مُرادِي، وَلَكَ لا لِسواكَ سَهَرِي وَسُهادِي، وَلِقاؤُكَ قُرَّةُ عَيْني، وَوَصْلُكَ مُنى نَفْسي، وَإِلَيْكَ شَوْقِي، وَفي مَحَبَّتِكَ وَلَهِي، وَإِلى هَواكَ صَبابَتِي، وَرِضاكَ بُغْيَتي، وَرُؤْيَتُكَ حاجَتِي، وَجِوارُكَ طَلَبِي، وَقُرْبُكَ غايَةُ سُؤْلِي، وَفي مُناجَاتِكَ رَوْحِي وَراحَتِي، وَعِنْدَكَ دَواءُ عِلَّتِي، وَشِفاءُ غُلَّتِي، وَبَرْدُ لَوْعَتِي، وَكَشْفُ كُرْبَتِي. فَكُنْ أَنِيْسِي فِي وَحْشَتِي، وَمُقِيلَ عَثْرَتِي، وَغافِرَ زَلَّتِي، وَقابِلَ تَوْبَتِي، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي، وَوَلِيَّ عِصْمَتِي، وَمُغْنِيَ فاقَتِي، وَلا تَقْطَعْنِي عَنْكَ، وَلا تُبْعِدْنِي مِنْكَ يا نَعِيمِي وَجَنَّتِي، وَيا دُنْيايَ وَآخِرَتِي،..) [1].

وما يتطلّب وحالة الشعور العميقة التي في الوجدان بَين سويداء القلوب؛ فتأتي عقد الأساليب بلآلئ دلالتها، وصفاء معانيها، فيكون الجدل التناقضي في النّفي والإثبات - على ذَلِكَ - واحد في تلكم التعابير، وليس لأحدهما فضل مزية، أو درجة أقوى في الدلالة على الآخر؛ لأن كلاً منهما متوخى، وهما يسيران جنباً إلى جنب على محالة الامتزاج، في تناقض، في هدف العبير وقصد المرمى، ورؤية الإخلاص الدعائي، من داعٍ (المنشئ، عليه السلام) عارف بربّه، بين طرفي الخوف والرجاء، منه سبحانه جلّ شأنه.

وإذا ما رأينا الخطّ العمودي، وترسيمات الصعود، ونظرة المتكلّم إليه في ذه الاحتكالية، والتأويل بالجدل، تبقى أشياء تتعلق بالخطّ الثاني (الإنسان مع الإنسان،

١ - الصحيفة السجادية: أ: مناجاة المريدين: ٢٦٧ - ٢٦٨.

إليه)، في الامتداد الأفقي منه الذاتي مع نفسه، بوصفه - كَمَا تقدم - شخصاً ثانياً، يتحاور معه، وتتعيين أساليبه على مقتضيات حالته، ووزان فكره، فتكون بذلك مجريات العدل الخطابي في بنية أسلبة القصر الدلالي بكل مشجراتها، أصولاً وفروعاً.

وبحرف آخر، ومن منطلق التساؤل، أيريد الدّاعي (المنشئ) أن ينفي عَن نفسه (المتلقّي)، صفة المعرفة والعلم فينزّل منزلة المنكر الشاكّ، ليأتي التركيب في أسلوبه بمقتضاه؛ وتقويمه في الصياغة الإبداعية،.. فتكون المتنوعات الدّلالية في: الإفرادي، والقلبي والتّعييني،...؟!. والجواب جدلاً، قد يكون بالإيجاب؛ فنفس الإنسان، الاعتيادي، قد تكون في بعض من حالاته كَذَلِكَ، في ميدان- لا يكون غيره- قصر الصّفة على الموصوف قصراً على التّحقيق الواقعي.

ومن هنالك يرتبط هَذَا البعد الأفقي بالموضوعي منه في الصفة الإنسانية، والعموم الاجتماعي (البعد الثالث)، فتكون تراكيب البنية القصرية في الصّحفية السّجّادية، بالوصف رسالةً تعليمية معرفية إرشادية، يوجهها الإمام «عليه السلام» إلَى النوع الإنساني في المجتمع؛ للنسج على منوالها في أدب الدعاء؛ فترتسم نجوماً يُهتدى بها في الحضور، متأصّلة في الاعتقاد، وتنتشر في سياقها الواقعي، وتتمثّل في مواقفها العملية؛ فيُدرك المجتمع ذاته،.. بالتّوجه إلَى مكونه وخالقه سبحانه.

وبملحظ الخليط الاجتماعي ذَلِكَ، تتألّف مجموعة من التأويلات في أصول النفي والإثبات وجدلية التناقض المعطى في جملة القصر الدّلالي.

والحاصل بالجملة، قد توجّه القراءة إلَى أبعد ممّا هي عليه أفقيات التَّعبير الفني، وقوائمه التكوينية في الإفهام، كونها اختلاجات نفسية من داعٍ أحب ما قضى عليه القدر الإلهي أن يطوف في هذه القدسيات بالاختيار والوعي، فينسج تراكيب مع قصد إنشائياتها الدَّلاليَّة.

أو أنّ قضية الدّعاء هي الأمر والملاك الأكبر في الابتعاد عَن التفرد الذاتي والاستكبار من مفهوم قوله «عليه السلام»: (وَقُلْتَ: ادْعُونِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [١]، فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْبَاراً، وَتَوَعَّدْتَ عَلَى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ،..) [٢]. وتقرير مسألة الذّل والفقر والاحتياج والعبودية التي كَانَ بها آدم بوصفه الإنساني.

وعلى ذَلِكَ يمكن أن تتقرر طائفة مسالك التّوجيه الدّلالي، وتأويل جدل المنطوق اللفظي وصياغته الإبداعية في ذَلِكَ الاكتناف السِّياقيّ، ومقام الحضرة القدسية وبهاء الملكوت الربّاني من داعٍ كالإمام زين العابدين «عليه السلام» شعر ما شعر من خالقه، وأدرك ما هُوَ عليه في إنسانيته بالتأمّل الطبيعي، وبالقياس إِلَى ما نحن، الإنسان الاعتيادي، عليه.

وإذا جئنا مرة أخرى إِلَى نسيج النّصّ نفسه - عود على بدء - نجد أنّ قنوات التّعبير القصري المتقدّمة في النّصوص المصطفاة، نجدها تحدونا إِلَى جدليّة المقارنة في المخالفة بَين التّراكيب الأخرى، وقد تقدّم جزء مِنْهَا في بعض مجريات التأويل في بناء الجملة القصرية ومكوناتها وموادّها الكلمية من الخارج في أسلوبها الحصري، في ما يحقّقه هَذَا الطّريق دون سواه من الطرائق الأخرى (كالعطف، والقصر بإنّما،...) من نتائج دلالية متوخّاة في أصالة يقين المنشئ.

أقول، بعد ذَلِكَ: لننظر إِلَى بنية الجملة القصرية من الدّاخل عمداً ومؤسسات، مقيّدات ومكملات، نجد أنّ التّفاعل الوظيفي والدّلالي في كلّ عنصر منها ينادي بذوقية المنشئ، وحاكمية الأدب الفريد والاختيار الدّقيق لمجرى تعبيره في السّياق القدسي.

وهو الأمر الذي يتناغم والأصل المعياري في بنية القصر البلاغي، فكلاهما (المعياري والذوقي) يجريان لإنشاء دلالة مداه الحصري، ومبتغاه القصدي، وكل

١ - سورة غافر: ٦٠.
٢ - الصحيفة السجادية: ١٧٣.

منهما يعطي للآخر ما هو مناسب في فردية الصياغة من التحولات الداخلية في التقديم والتأخير في بنية الإسناد، ومخصصات نسبته من المقييدات وغيرها...، فقوله «عليه السلام»: (إلهِي كَسْرِي لا يَجْبُرُهُ إلَّا لُطْفُكَ وَحَنانُكَ، وَفَقْرِي لا يُغْنِيهِ إلَّا عَطْفُكَ وَإحْسانُكَ،...)[١]. المتقدّم يتجلّى فيه عبق الذوق الأدبي بمنحاه الفكري في تقديم ما حقّه التأخير، أقصد المبتدأ بمعناه الدّلالي في المفعولية: (كسري، وفقري،... وأعني به: الضّمير العائد المرتبط بالفعل: يجبره، يغنيه، أي: يجبر كسري، يغني فقري...)، على الفاعل (لطفك، عطفك...)، في أسلوبية القصر...؛ للمعاني الآنفة الذكر... في القصر الحقيقي التّحقيقي.

وليس لي بعد ما مضى إلا أن أقدم الأنماط التركيبية الأخرى التي وردت في الصحيفة السجّادية، تاركاً المجال فيها، وقراءة تأويلها في المقاربة لأمر آخر،... مع عدم إغفال نوعية الأداة التي في التركيب والانسجام الدلالي الحاصل فيه، وما تضفي على دائرة الإسناد (الفعلي، أو الاسمي) من أنوار معنوية في أسلوبية القصر، وجدليته بنيته البلاغية...

من مكملات الإسناد الفعلي، في قصر المفعول به على الفاعل، نحو قوله «عليه السلام»:

ـ (... وَلاَ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي إلَّا إيَّاكَ إنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) [٢].

ـ (وَحَتَّى لاَ تَعِيَ بُطُونُنَا إلَّا مَا أَحْلَلْتَ، وَلا تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إلَّا بِمَا مَثَّلْتَ وَلا نَتَكَلَّفَ إلَّا ما يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ، وَلاَ نَتَعَاطَى إلَّا الَّذِي يَقِيْ مِنْ عِقَابِكَ،...) [٣].

ـ (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لاَ أَرْجُو إلَّا فَضْلَهُ، وَلاَ أَخْشَى إلَّا عَدْلَهُ، وَلا أَعْتَمِدُ إلَّا قَوْلَهُ، وَلا أَتَمَسَّكُ إلَّا بِحَبْلِهِ) [٤].

---

١ ـ الصحيفة السجادية: ٣٧٢.
٢ ـ الصحيفة السجادية: ٥٥
٣ ـ المصدر نفسه: ١٦٧.
٤ ـ المصدر نفسه: أ: ٣٤٥.

وفي شبه الجملة (في الجارّ والمجرور، وفي الظّرف)، قوله «عليه السلام»:

ـ (وَلاَ أَنَالُ مَا عِنْدَكَ إلَّا بِطَاعَتِكَ وَبِفَضْل رَحْمَتِكَ) [١].

ـ (فَلا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إلَّا بِذِكْراكَ، وَلا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إلَّا عِنْدَ رُؤْياكَ، أَنْتَ الْمُسَبَّحُ فِي كُلِّ مَكان، وَالْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمان،...) [٢].

ومع نائب الفاعل، قوله «عليه السلام»:

ـ (حَمْداً لاَ يَنْبَغِي إلَّا لَكَ، وَلاَ يُتَقَرَّبُ بِهِ إلَّا إلَيْكَ،...) [٣].

وفي الإسناد الاسمي، لا النافية للجنس مع (إلا)، وذلك في قوله «عليه السلام»:

ـ (فَإنَّا بِكَ وَلَكَ، وَلا وَسِيلَةَ لَنا إلَيْكَ إلَّا أَنْتَ) [٤].

ـ (أنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لاَ إلهَ إلَّا أَنْتَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْم، رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ...) [٥].

وفي النّافية في التّقديم والتأخير، قوله «عليه السلام»:

ـ (لَيْسَ لَنَا مِنَ الأمْرِ إلَّا مَا قَضَيْتَ وَلا مِنَ الْخَيْرِ إلا مَا أَعْطَيْتَ) [٦].

ـ (إلهي لَيْسَ لِي وَسِيلَةٌ إلَيْكَ إلَّا عَواطِفُ رَأفَتِكَ، وَلا لِي ذَرِيعَةٌ إلَيْكَ إلَّا عَوارِفُ رَحْمَتِكَ، وَشَفاعَةُ نَبِيِّكَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ،...) [٧].

---

١ ـ المصدر نفسه: ٩٠.
٢ ـ المصدر نفسه: أ: ٢٧٦.
٣ ـ الصحيفة السجادية: ١٨٨.
٤ ـ المصدر نفسه: أ: مناجاة المطيعين: ٢٦٥ـ ٢٦٦.
٥ ـ المصدر نفسه: ٤٢.
٦ ـ المصدر نفسه: ٤٠.
٧ ـ المصدر نفسه: ٢٧٠.

في تكرير (لا) مع (إلَّا)، قوله «عليه السلام»:

ـ (إلهي لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِقُدْرَتِكَ، وَلا نَجاةَ لِي مِنْ مَكارِهِ الدُّنْيا إلَّا بِعِصْمَتِكَ،...) [١].

وفي الجار والمجرور، قوله «عليه السلام»:

ـ (اللَّهـمَّ وَإنَّـكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَـا، وَمِنْ مَهِين ابْتَدَأْتَنَا، فَلاَ حَوْلَ لَنَـا إلَّا بِقُوَّتِكَ وَلا قُوَّةَ لَنَـا إلَّا بِقوَّتِكَ، ولاقُوَّةَ لنا إلَّا بِعَوْنِكَ) [٢].

(ما) مع (إلَّا) في السّياق الاسمي حسب، قوله «عليه السلام»:

ـ (وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إلَّا فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه،...) [٣].

أما أدوات النفي المختصّة، فكما يأتي، (لَم) مع (إلَّا):

مـن المعلـوم أنّ (لَم) حرف نفي لا يدخـل إلَّا على الفعل المضارع [٤]، وقد ورد اقترانـه في الصحيفـة السـجّادية في سـبعة مواضع، ففي قصر المسـند على المسـند إليه، قوله «عليه السلام»:

ـ (فَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي، وَقَلَّتْ حِيلَتِي، وَاشْـتَدَّتْ حَالِي، وَأَيِسْـت مِمَّا عِنْدَ خَلْقِكَ فَلَمْ يَبْقَ لِي إلَّا رَجـآؤُكَ عَلَيَّ) [٥].

وفي قصر الإسناد على المفعول به الثاني، قوله «عليه السلام»:

١ ـ المصدر نفسه: أ: ٢٥٦.
٢ ـ المصدر نفسه: ٤٨.
٣ ـ المصدر نفسه: ٨٥.
٤ ـ ينظر: الجنى الداني: ٢٦٦، وهمع الهوامع: ٢٤١/٢.
٥ ـ المصدر نفسه: ٢٣٧.

ـ (لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إلَّا وُسْعاً، وَ لَمْ يُجَشِّمْنَا إلَّا يُسْراً،...) [١].

وفي الجار والمجرور، قوله «عليه السلام»:

ـ (وَهَبْ لِي الثِّقَةَ لأقِرَّ مَعَهَا بِأَنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْرِ إلَّا بِالْخِيَرَةِ) [٢].

ـ (فَإنِّي لَمْ أُصِبْ خَيْراً قَطُّ إلَّا مِنْكَ،...) [٣].

(لَيْسَ) مع (إلَّا):

مما هو راسخ في أصل الفكر النّحويّ أنّ (ليس) فعلاً ماضياً ناقصاً يدخل على الجملة الاسميّة، ويفيد النّفي، أي: نفي اتّصاف المسند بالمسند إليه في الحال [٤]، على حين نجدها قد وردت في الصّحيفة السّجّاديّة في موردين، في سياق إسناد فعليّ، وكأنّها حرف نفي، مجرد من فعليته، وذلك في قوله «عليه السلام»:

ـ (أللَّهُمَّ لَيْسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إلَّا حِلْمُكَ، وَلاَ يَرُدُّ سَخَطَكَ إلَّا عَفْوُكَ، وَلاَ يُجِيرُ مِنْ عِقَابِكَ إلَّا رَحْمَتُكَ، وَلاَ يُنْجِيْنِي مِنْكَ إلَّا التَّضَرُّعُ إلَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ) [٥].

وفي دخولها على الإسناد الاسمي، فضلاً عن التّقديم والتأخير في موردين أيضاً، لقصر المسند على المسند إليه في أصالة الحقيقة دون غيرها، وذلك في قوله «عليه السلام»:

ـ (لَيْسَ لَنَا مِنَ الأمْرِ إلَّا مَا قَضَيْتَ وَلا مِنَ الْخَيْرِ إلا مَا أَعْطَيْتَ) [٦].

---

١ ـ المصدر نفسه: ٢٢

٢ ـ الصحيفة السجادية: ١٣٩.

٣ ـ المصدر نفسه: ٢٠٤.

٤ ـ ينظر: شرح جمل الزجاجي؛ ابن عصفور:٣٢٦/١، والجنى الداني:٤٩٤، ومغني اللبيب:٣٨٦/١، وهمع الهوامع:٤٢٢/١.

٥ ـ الصحيفة السجادية: ٢٠٦. وينظر: المصدر نفسه: ٢٣٩.

٦ ـ المصدر نفسه: ٤٠.

أمّا استعمال (غير)، فقد جاء على الأنماط الأسلوبية الآتية:

(لا) مع (غير):

في واحد وعشرين موضعاً، أغلبه في النّفي الضّمني، أمّا في الصّريح، في القصر على الفاعل فنحو قوله «عليه السلام»:

ـ (وَلاَ تَشْغَلْنِي بِمَا لاَ أُدْرِكُهُ إلَّا بِكَ عَمَّا لا يُرْضِيْكَ عَنِّي غَيْرُهُ، وَانْزَعْ مِنْ قَلْبِي حُبَّ دُنْيَا دَنِيَّة تَنْهى عَمَّا عِنْدَكَ، وَتَصُدُّ عَنِ ابْتِغَآءِ الْوَسِيلَةِ إلَيْكَ،...) [١].

وفي نائب الفاعل قوله «عليه السلام»:

ـ (حَتَّى لا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ وَلاَ تُعَفَّرَ لاَحَد مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ) [٢].

وفي المفعول به قوله «عليه السلام»:

ـ (فَإنِّي لا أَرْجُو لِدَفْعِ ذلِكَ غَيْرَكَ، وَلا أَعْتَمِدُ فِيهِ إلَّا عَلَيْكَ) [٣].

وفي المفعول الأوّل:

ـ (وَلا أَرى لِكَسْرِي غَيْرَكَ جابِراً،...) [٤].

أمَّا (لم) مع (غير)، فلم يرد هذا إلا في مورد واحد - قوله «عليه السلام»:

ـ (أَللَّهُمَّ إنَّكَ إنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الْكَرِيْمَ، أَوْ مَنَعْتَنِي فَضْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ أَوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبَبَكَ لَمْ أَجِدِ السَّبِيلَ إلَى شَيْء مِنْ أَمَلِي غَيْرَكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ; فَإنِّي عَبْدُكَ،...) [٥].

---

١ ـ المصدر نفسه: ١٩٧.
٢ ـ المصدر نفسه: ١١٣.
٣ ـ المصدر نفسه: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، وينظر: المصدر نفسه: ٢١٩.
٤ ـ الصّحيفة السّجّادية: أ: مناجاة التائبين: ٢٥٣.
٥ ـ المصدر نفسه: ٩٠.

أمّـا (مـا، وليس مـع غير)، فقد خلت نصوص الصحيفة السـجّاديّة، في الاسـتثناء، المفرّغ منه.

وفي استعمال (سوى)، في أحد معانيها، كما هو الآتي:

(لا) مع (سوى)، في قصر المسند (الفعل) على المسند إليه، في التقديم والتأخير، قوله «عليه السلام»:

ـ (وَكَرْبِي لاَ يُفَرِّجُهُ سِوى رَحْمَتِكَ، وَضُرِّي لا يَكْشِفُهُ غَيْرُ رَأْفَتِكَ،...) [١].

وفي المفعول به قوله «عليه السلام»:

ـ (فَلاَ أَدْعُو سِوَاكَ، وَلاَ أَرْجُو غَيْرَكَ، لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ،...) [٢].
ـ (وَلاَ أَرْجُو لأمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ سِوَاكَ) [٣].

وفي (ليس) مع (سوى) ففي قوله «عليه السلام»:

ـ (لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ، وَلا لِذَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ، حَاشَاكَ...) [٤].. وقوله «عليه السلام»:

ـ (وَلَسْتُ أَعْرِفُ سِواكَ مَوْلًى بِالإحْسانِ مَوْصُوفاً...) [٥].

أمّا تشكيل (لم مع سوى)، فلم يجئ في نصوص الصّحيفة السجّاديَّة.

وفي اسـتعمال النّفـي الضمنـي، ففي (هل) الاسـتفهامية الاسـتنكارية مع (إلا) في التّركيب الفعلي وقصر الفعل الواقع على المفعول من الفاعل، قصر صفة على موصوف على حقّ الحقيقة وتمثيل الأمر الإنسـاني، في دعائه «عليه السلام» في التذلّل:

---

١ ـ المصدر نفسه: أ: مناجاة المفتقرين: ٢٧٢.
٢ ـ المصدر نفسه: ٢١٩.
٣ ـ المصدر نفسه: ٢٠٤.
٤ ـ المصدر نفسه: ٥٥
٥ ـ المصدر نفسه: أ: مناجاة الراجين: ٢٥٩.

ـ (مَـوْلايَ مَـوْلايَ، أَنْتَ الْمَـوْلَى، وَأَنَا الْعَبْدُ، وَهَلْ يَرْحَـمُ الْعَبْدَ إِلَّا الْمَوْلى،.. مَوْلايَ مَـوْلايَ، أَنْـتَ الْخَالِـقُ، وَأَنَـا الْمَخْلُـوقُ، وَهَلْ يَرْحَـمُ الْمَخْلُـوقَ إِلَّا الْخَالِـقُ... مَوْلايَ مَـوْلايَ، أَنْـتَ الْباقِي وَأَنَـا الْفَانِي،... مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْـتَ الْغَنِيُّ وَأَنَـا الْفَقِيرُ، وَهَلْ يَرْحَـمُ الْفَقِـيرَ إِلَّا الْغَنِيُّ. مَـوْلايَ مَوْلايَ،... مَوْلايَ مَوْلايَ، أَنْتَ الْمَالِـك وَأَنَا الْمَمْلُوكَ، وَهَـلْ يَرْحَمُ الْمَمْلُـوكَ إِلَّا الْمالِكُ) [١].

مع ملاحظة السّمة التّراكمية والنّصية للأسلوب القصري في الهندسة والبناء، ففي كلّ جملة فكرة وتناقض في النّفي والاسـتثناء الشـكلي في الصّياغة، فضلاً عن التقابل الموضوعي بين العبد وربه،...

فالإمـام، هنـا، في هذه الجمل القصرية يسـتعمل الأسـلوب الاسـتفهاميّ ذا الدلالة الإنكاريـة في البنية القصرية، للمقدمات الراسـخة في المعتقد الإيماني، (مولاي مولاي، أنت... أنا)، هذا من جانب، ومن آخر التّكوين الداخلي في التصورات الإنشائية في الطّلب الاستفهامي الذي لا يكون له جواب إلا المتقدم من التركيب الإخباري الأولي الذي يُراد منـه الـدّول دلالياً إلى الثّاني في الجدل الإنكاري بصيغة الاسـتفهام، أي أنَّه ينطلق من الأوّل إلى الثانـي بأسـاليب ومن الثانـي إلى الأول بالدلالة مع مراعـاة الجانب الفكري الـذي تتخـذه الأداة (هل) مـا تفعله في التصـور [٢] الداخلي للوصـول إلى التّصديق في الواقـع الخارجـي، هكذا: (هل يرحم العبد إلا المـولى) في التّصور الافتراضي مع نكران الجـواب؛ لأنه حاصل بالحقيقة. و(أنت المولى وأنـا العبد)، الجواب الواقعي،...

(لا) الناهية مع (غير)، وذلك في قوله «عليه السلام»:

ـ (..وَلاَ تَسْتَبْدِلْ بِيَ غَيْرِي،...) [٣]. في المفعول به. وقوله «عليه السلام» في الجار والمجرور:

١ ـ الصّحيفة السجادية: أ: ٢٤٠-٢٤١.
٢ ـ ينظر: مفتاح العلوم: ١٨٠، وشروح التلخيص: ٢٥٤/٢.
٣ ـ الصحيفة السجّادية: ٤٧.

ـ (وَلاَ تَشْغَلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ،...) [١]. وفي استعمال (دون) على أحد معانيها [٢]، قوله «عليه السلام»:

ـ (حَتَّى لا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ وَلاَ تُعَفَّرَ لأَحَد مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ) [٣].

وفي استعمال (كيف) في الاستفهام الإنكاري مع (غير)، ومع (سوى)، ففي قوله «عليه السلام»:

ـ (كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ؟! وَكَيْفَ أُؤَمِّلُ سِوَاكَ وَالْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَكَ؟!) [٤].

فالاستعمال، هنا، يتولّد منه الانطلاق الدّلالي من الإنكاري في الاستفهام البلاغيّ عن الحال إلى نوعية الوحدة الّتي انسجمت معها في التركيب أعني: (غير، وسوى)، وما يضفي عليه القصد في المغايرة التي تعرب عنها (غير) عند الاستثناء [٥]، وما يعطي احتمالية الدّلالة والتوسع المعنوي، في استعمالها هاهنا؛ لان دونها لا يمكن التعبير به عن المعنى المقصود في الجمل الدعائية.

## النّفي السياقي:

في ظنّي أنّ صناعة المعنى الدَّلاليّ تتوزّع على جميع الأنظمة اللُّغويَّة بمستواه الوظيفي، ومن ثم تأتي الكلمة المفردة بمعناها المعجميّ (وما يكون لمجموع هذين المعنيين مضافاً إليهما القرينة الاجتماعية الكبرى.. «المقام» ) [٦] يتكوّن المعنى الدَّلاليّ الذي تمثّله الجملة. ذلك لأنّ الكلام لا يكون مفيداً لغرضه الذي أنشئ له ما لم يكن حال كلّ من المتكلّم والمخاطب ملحوظاً [٧]، مع المناسبة في السّياق الواقعي، وأهمية ركائزه الحالية والمقالية.

---

١ ـ المصدر نفسه: ١٤٢.
٢ ـ ينظر: أساليب النفي في القرآن الكريم؛ أحمد البقري: ٢٥٧.
٣ ـ الصّحيفة السجّادية: ١١٣.
٤ ـ المصدر نفسه: أ: ٢٥٩ـ٢٦٠.
٥ ـ ينظر: شرح الرضي على الكافية:١٧٠/٢. ، وحاشية الخضري:٤٧١/١.
٦ ـ اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨٢. وينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة؛ نايف خرما: ١٢٣، وعلم الدلالة؛ احمد مختار عمر: ٦٨.
٧ ـ ينظر: السّياق في الفكر اللغوي عند العرب: ١١٨، واللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٩.

وفي الصحيفة السـجّادية اسـتعمال لمفردات وموادّ لغوية تضمنت بمعجمها دلالة النّفي وانسجمت مع الأدوات الأخرى (غير وإلا)، وقامت عليه بنية الأسلوب القصري، فأدّت دلالاتها المقصـود، وذلك في قوله «عليه السلام»:

ـ (خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَضَاعَ الْمُلِمُّونَ إِلَّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُـونَ إِلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ،...) [١].

ـ (أَبَيْتَ يَا مَوْلاَيَ إِلَّا إِحْسَـاناً وَامْتِنَاناً وَتَطـوُّلاً وَإِنْعَاماً، وَأَبَيْتُ إِلَّا تَقَحُّماً لِحُرُماتِكَ، وَتَعَدِّياً لِحُـدُودِكَ، وَغَفْلَةً عَـنْ وَعِيدِكَ) [٢].

فالمـوادّ (خـاب، خسر، ضاع، أجـدب) في الجمل الأول، فيها مـن دلالة المفهوم في العـدم والنّفـي المعنـوي، في الإدراك، زيـادة عـلى معانيهـا المعجميـة المفـردة، وهـذا يؤدّي بالبداهـة إلى تكوين بنية القـصر بالنفي والاسـتثناء، وتوخي حصر خيبـة الوافديـن، وخسران المتعرضين وضياع الملمين، وإجـداب المنتجعين على غير اللـه (كاف الخطاب) سـبحانه؛ قـصراً فوق الحقيقـة التحقيقية؛ بشـهادة الحال، وبرهان الواقع.

وفي الجملـة الثانيـة نجـد مـادّة (أبيت) على معنـاه المقصـود في حتمية الوصف الإلهـي سـبحانه، والإنسـاني عـلى ذنبه في النفـي، وبمعناه (لا يريد) [٣]، ما شـكّل مـن الاعـتراف بالقصر الحقيقي والارتكاز على الأداة (إلا)، ما لا يؤصّله إلا تعبيره، ولا يكوّنـه غـير صريح لفظه؛ لارتشـاف مفهومه المخالـف، وضرب بلاغة جدله في التَّجدّد والحدوث.

---

١ ـ الصحيفة السجّادية: ٤٦.
٢ ـ المصدر نفسه: ٢١٤.
٣ ـ ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٥٨، وشرح التسهيل: ١٩٣/٢.

# قائمة المصادر والمراجع


١. القُرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن الشّافعيّ، ت ٩١١ هـ)، حقق أصوله، ووثق نصوصه: طه عبد رؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د. ت).

٣. الأدوات النّحوية وتعدد معانيها الوظيفية؛ د. أبو السّعود حسن الشّاذلي، ط١، دار المعرفة الإسكندرية، ١٩٨٩م.

٤. أساليب النفي في القران الكريم؛ تأليف: د. أحمد ماهر البقري، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.

٥. الاستغناء في أحكام الاستثناء؛ القرافي (شهاب الدين أحمد بن أدريس بن عبد الرحمن، ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦. أسرار العربيّة؛ أبو بركات الأنباري؛ (عبد الرّحمن مُحَمّد بن أبي سعيد، ت ٥٧٧هـ)، تح: مُحَمّد بهجت البيطار، مطبعة التّرقيّ، دمشق، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م.

٧. أسلوبا النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة، جامعة اليرموك، (د، ت).

٨. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة؛ الجرجاني (ركن الدين محمد بن علي، ت ٧٢٩هـ)، علق عليه، ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٩. أصول الفقه؛ الشيخ محمد رضا المظفر، ط٢، بغداد، ١٩٧١م.
١٠. الأصول في النحو؛ ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي، ت ٣١٦هـ)، تح: د. عبد الحسين الفتلي، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١١. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة؛ نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، العدد:٩، الكويت،١٩٧٨.
١٢. أمالي ابن الحاجب، ابن الحاجب (عمر بن عثمان، ت ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قداره، دار عمار، عمان – الأردن، دار الجيل، بيروت – لبنان، (د، ت).
١٣. الأنموذج في النحو؛ الزمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت ٥٣٨ هـ)، ط١، دار الافاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م.
١٤. البرهان في علوم القرآن؛ الزركشيّ (بدر الدين مُحمّد بن عبد الله، ت ٧٩٤هـ)، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، دار الكُتُب العلميّة، بيروت-لبنان،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١٥. البلاغة العربية قراءة أخرى؛ د. مُحمّد عبد المطلب، الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، مصر، ١٩٩٧م.
١٦. التّصور اللغوي عِنْدَ الأصوليين؛ د. السيد أحمد عبد الغفار، ط١، دار المعرفة الجامعة، ١٩٨١م.
١٧. التطور النّحوي للغة العربية؛ محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية في سنة ١٩٢٩م المستشرق الألماني برجستراسر، أخرجه وصححه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرياض، مطبعة المجد، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
١٨. الجنى الداني في حروف المعاني؛ المرادي (الحسن بن القاسم المرادي، ت ٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٢م.
١٩. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك؛ الخضري، شرحها وعلق عليها، تركي فرحان المصطفى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٥م.
٢٠. حاشية الصّبان على شرح الأشمونيّ على ألفية ابن مالك، الصّبان (مُحَمّد

بـن عـليّ، ت ١٢٠٥هـ)، تح: مُحَمّد بـن الجميل، ط: ١، مكتبـة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢١. دراسـات في الأدوات النحوية؛ د. مصطفـى النحاس، ط١، شركة الربيعان للنشر والتوزيع مطابع دار القدس، الكويت، ١٩٧٩م.

٢٢. دلائـل الإعجـاز في علم المعاني، عبد القاهـر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن، ت ٤٧٤هـ)، تح: السّيّد مُحمّد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

٢٣. شرح ابـن عقيـل عـلى ألفية ابن مالك، ابـن عقيل( بهاء الدين عبـد الله بن عقيل، ت ٧٦٩هـ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، دار الفكر، دمشـق، ١٩٨٥م.

٢٤. شرح ابـن الناظـم على ألفية ابن مالك، ابـن النّاظم (أبو عبد الله بدر الدين مُحَمّد بن مُحَمّد بن مالك، ت ٦٨٦هـ)، تح: مُحَمّد باسل عيون السود، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٥. شرح الأشـموني عـلى ألفيـة ابـن مالـك، الأشـموني (نـور الدين علي بـن محمد الأشـموني، ت ٩٠٠هـ)، تح: مُحَمّد بـن الجميل، ط: ١، مكتبـة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٦. شرح الباب الحادي عشر؛ الحلي (حسن بن يوسف بن علي بن المطهر، ت ٧٢٦هـ)، مـع شرحـه النافع يوم الحشر، لمقداد بن عبد الله السـيوري، (ت ٨٢٦هـ)، تمدن الإسلامي، إيران.

٢٧. شرح التّسـهيل، ابن مالك (أبو عبد الله مُحمّد جمال الدين، ٦٠٠- ٦٧٢هـ)، تح: عبد الرحمن السّـيّد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.

٢٨. شرح التصريح على التوضيح؛ الأزهري (خالد بن عبد الله، ت ٩٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د. ت).

٢٩. شرح التّلخيـص للقزوينـيّ، البابرتـيّ (أكمل الدين مُحَمّد بـن مُحَمّد بن محمود بن أحمد، ت ٧٨٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. مُحَمّد مصطفى رمضان صوفيه، ط١،

المنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيريّة العربيّة اللّيبيَّة الشّعبيّة الاشتراكيّة، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م.

٣٠. شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير): ابن عصفور الإشبيلي، ت ٦٦٩هـ، قدم له ووضع حواشيه: فوّاز الشعّار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣١. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب؛ ابن هشام الأنصاري (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تح: عبد الغني الدقر، ط١، دمشق، ١٩٨٤م.

٣٢. شرح الكافية في النّحو، لابن الحاجب (جمال الدّين أبي عمرو عثمان بن عمر، ت ٦٤٦هـ)، شرحه رضيّ الدين الاسترآبادي (مُحمّد بن الحسن، ت٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٣. شرح اللمحة البدرية في علم قواعد اللغة العربية، ابن هشام الأنصاري (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق: د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، بغداد، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٣٤. شرح المفصّل للزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، ابن يعيش (أبو البقاء موفق الدين بن عليّ، ت ٦٤٣هـ)، عالم الكُتُب، بيروت، (د، ت).

٣٥. شروح التلخيص، مجموعة من الشّروح على تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، ت ٧٣٩هـ، وهي: عروس الأفراح، بهاء الدّين السبكي، ومواهب الفتاح؛ أبو يعقوب المغربي، والمختصر لسعد الدين التّفتازاني، وحاشية الدسوقي على شرح المختصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، (د، ت).

٣٦. الصحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة؛ الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٥هـ)، تحقيق أميل يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٣٧. الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، ط١، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣٨. الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (عليهما

السّلام)، تحقيق وتنسيق: علي أنصاريان، ط١، دمشق، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٣٩. الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ابن حمزة العلويّ اليمنيّ (يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم، ت ٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: مُحَمّد عبد السلام شاهين؛ ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٤٠. علم الدلالة؛ أحمد مختار عمر، ط ٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
٤١. عقائد الإماميّة؛ الشيخ محمد رضا المظفر، ط١، مؤسسة الإمام الحسين، قم، إيران، ١٩٩٩م.
٤٢. في جدلية البنية القصرية في الصّحيفة السجّادية، دراسة في مستوى التركيب الدلالي لأسلوب القصر البلاغي، عماد جبار كاظم، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، تصدرها جامعة واسط، مج:٢، العدد:٣، شوال ١٤٢٧هـ، تشرين الثاني ٢٠٠٦م.
٤٣. في النحو العربيّ، (قواعد وتدريبات)، د. عبد الحميد مصطفى السّيّد، لطيفة إبراهيم النّجّار، ط١، دار القلم للنّشر والتّوزيع، دولة الإمارات العربيّة المتحدة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٤٤. القاموس المحيط؛ الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشافعي، ت ٨١٧ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٤٥. كتاب سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السّلام مُحمّد هارون، ط٣، الناشر مكتبة الخانجي، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤٦. اللباب في علل البناء والإعراب؛ العكبري (أبو البقاء محب الدين، ت ٦١٦هـ)، تح: غازي مختار طليمات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.
٤٧. لسان العرب (معجم)، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين مُحمّد بن مكرم، ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت – لبنان، (د، ت).
٤٨. اللغَة العربية؛ معناها ومبناها، د. تمّام حسّان، ط٢، الهيأة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٩م.
٤٩. المرتجل؛ ابن الخشاب (أبو محمد عبد الله بن أحمد ت٥٦٧هـ)، تحقيق: علي

حيدر، دمشق، ١٩٧٢م.

٥٠. المطالع السعيدة في شرح الفريدة في النحو والصرف والخط، السّيوطيّ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: نبهان ياسين حسين، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.

٥١. المطوّل، شرح تلخيص المفتاح، التفتازاني ( سعد الدين مسعود بن عمر ت ٧٩٢هـ)، تح: عبد الحسين الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.

٥٢. معاني النحو، د. فاضل السّامرائيّ، ج:١، ج: ٢، وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، جامعة بغداد، بيت الحكمة، مطبعة التعليم العاليّ في الموصل، ١٩٨٦-١٩٨٧م.

٥٣. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السّيوطيّ (أبو الفضل جلال الدّين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ)، ط١، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدّين، دار الكُتُب العلميّة بيرو ت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٥٤. مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريّ (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تحقيق وتعليق: د. مازن المبارك، د. مُحَمّد علي حمد الله، ط: ١، مؤسسة الصّادق، تهران.

٥٥. مفتاح الأصول إِلَى علم الأصول؛ أحمد كاظم البهادلي، ط١، شركة حسام للطباعة، بغداد، ١٩٩٤م.

٥٦. مفتاح العلوم، السّكاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م.

٥٧. مفردات ألفاظ القرآن؛ العلامة الرّاغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٥٨. • المقتصد في شرح الإيضاح؛ الجرجاني (عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٤هـ)، تح: كاظم بحر المرجان، ط١، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

٥٩. المقرب؛ ابن عصفور (علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، ت ٦٦٩هـ)، د. عبد

الستار الجواري، و: عبد الله الجبوري، ط٢، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧١م.

٦٠. النحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، ط٤، دار المعارف، مصر، (د.ت).

٦١. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ، تح: د. محمد بركات حمدي، د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن ١٩٨٥م.

٦٢. نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي الموسوي، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق وشرح: الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١ دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.

٦٣. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السّيوطيّ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة (د، ت).

# أسلوبيَّة التَّكوين القصريّ بفاعليّة (إنّما) [١] دراسة إبستيمولوجية في دلالة البنية القصريّة في الصَّحيفة السَّجَّاديَّة

## المقدّمة

### بسم الله الرّحمن الرحيم

الحمـدُ لله ربّ العالمينَ، والصلاةُ والسـلام على سـيّد الأنام محمّـد وآله الطّاهرين الكرام،وبعـدُ:

قد نقترب من الحقيقةِ وبعض شـيئيّاتها، وقد لا،... ونحن نسـير في افتنانٍ خاصٍّ لقنوات تعبيرٍ استنشقت من رحيق العبادة، وتكوّنت عبـر سياقات الحضور الإيمانيّ، بأفقيات القصد الإبلاغي في الأدب الدّعائيّ.

وهذه مقاربة في التَّوجيه الدَّلاليّ والتَّحليل المعنويّ لمبادئ رؤية الأسلوب القصريّ، وجماليـات فنّه في الصَّحيفة السَّـجَّاديَّة، قد حدّدت سـياقات الأسـلوب فـي مقاماته الخطابيَّـة الافتراضيّـة، تبعاً لمنهج قائم على قراءةٍ تأمّـلٍ في مقولة المرجعيّات المعرفيّة لإبسـتيمولوجيّة الخطاب المعـرفيّ الإبداعيّ.

فاعليَّة (إنَّما) في البنية القصريَّة:

١ - بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الإنسانية. العدد: ١٢، سنة: ٢٠٠٩م.

يعمل الاستعمال القصديّ للحرف (إنّما) على تنفيذ النّاتج الحصريّ، وإنشاء دلالته التّقييديّة بالتّفاعل الوظيفيّ في الجملة، ويضفي على تركيبها السّمة الأسلوبيّة بالمواضعة الجماليّة الّتي اتّفق عليها البلاغيّون. فهي - وأعني هذه السبيل - القالب الأسلوبيّ الثّالث الّذي أثمره الاستقراء والتّتبع لرصد التّركيب الدّلاليّ الفنيّ والجمالي.

ولنا في البدء القول؛ بياناً: إنّ الحرف (إنّما)، عبارة عن أداة مركّبة من حرفين: (إنَّ) المشّددة الثّقيلة المؤكّدة للنسبة الإسناديّة في الإثبات، و(ما) الزائدة، أو الكافّة في عرف النَّحويّين [١]، وقد كان من هذه الملازمة بين جزأيها أن تُحدث تغييراً في الوظيفة الّتي كانت تؤدّيها (إنّ) منفردةً؛ لأنّ الكلمتين قبل التّركيب كانَ لكلٍّ منهما معنًى على حدةٍ، ولما رُكِبَتا أصبح لهما معنًى جديد، إذ تغيّرت دلالتهما على التّوكيد من كونهِ توكيداً مخفّفاً إلى توكيد مشدّد [٢].

على أنّ في دلالة التّركيب الحرفيّ وسِمة الكفّ الّتي احتوتها (ما) - مذاهبَ وآراءً [٣].

لقد صبغ الخلاف النّحويّ في (ما) من (إنّما) توجيهات البلاغيّين، وعدّها من أساليب القصر [٤]، في كونها اسماً مبهماً بمنزلة ضمير الشّأن، أو حرفاً زائداً كافّاً لما قبله عن العمل،

١ - ينظر: كتاب سيبويه: ١٣٨/٢، ومعاني الحروف؛ الرماني: ٨٩، والأزهية في علم الحروف؛ الهروي: ٨٦، والمقتصد في شرح الإيضاح؛ الجرجاني:١/ ٤٦٨، وشرح المفصّل؛ ابن يعيش:٥٤/٨، و:١٣١/٨، وما بعدها، وشرح جمل الزجاجي؛ ابن عصفور:٤٣٢/١، وشرح التسهيل؛ ابن مالك:٤١٩/١، والمغني في النحو؛ منصور اليمني:٢١١/٣وما بعدها، وشرح الكافية؛ الرضي: ٢٧٦/٤، وشرح ابن الناظم:١٢٤، والجنى الداني؛ المرادي:٣٩٥، وارتشاف الضرب؛ أبو حيان الأندلسي: ١٢٨٤/٣، ومغني اللبيب؛ ابن هشام الأنصاري:٤٠٣/١، وأوضح المسالك؛ ابن هشام الأنصاري: ٣١٠/١-٣١٣، وشرح شذور الذهب؛ ابن هشام الأنصاري: ٢٧٩، وشرح الأشموني:٤٤٣/١، والأشباه والنظائر؛ السيوطي:١٤٢/٤، ما بعدها، وهمع الهوامع:٥١٨/١-٥٢١، وحاشية الصّبّان على شرح الأشموني:٤٤٣/١.

٢ - التراكيب النّحوية؛ عبد الفتاح لاشين: ١١٢.

٣ - ينظر: ارتشاف الضرب؛ أبو حيان الأندلسي: ١٢٨٤/٣، ومغني اللبيب؛ ابن هشام الأنصاري: ٤٠٣/١، وعروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص):١٩٢/٢، وهمع الهوامع :٥٢١/١، وحاشية الصّبّان: ٤٤٣/١.

٤ - ينظر: دلائل الإعجاز؛ عبد القاهر الجرجاني:٢٥٢، والإيضاح في علوم البلاغة؛ القزويني:

أو بقائها على معناها الحرفيّ في النّفي، واتّفاق الجمهور على وظيفتها في إلغاء عمل (إنّ)، وزال اختصاصها بالأسماء، وتهيئتها في الدّخول على الجمل الفعليّة [١].

وهو الأمر الّذي يفسح لها حرية الأداء الوظيفي في الأسلوب، يقول السيوطي (ت٩١١هـ): («ما» المذكورة زائدة كافّة عن العمل، مهيأة لدخول هذه الأحرف على الجمل، هذا هو الرأي المعروف، وزعم ابن دُرُستويه، وبعض الكوفيّين أنّها نكرة مبهمة بمنزلة ضمير المجهول لما فيها من التّفخيم، والجملة الّتي بعدها في موضع الخبر، ومفسّرة لها كالّتي بعد ضمير الشأن، ورد بأنّها لو كانت كذلك لاستعملت مع جميع النواسخ كضمير الشّأن.

وزعم أبو علي الفارسي: أنها نافية، واستدلّ بأنّها أفادت معها الحصر نحو: ﴿إِنَّمَا اللَّـهُ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [٢] كإفادة النفي والإثبات بـ (إلا) وما ذكره من إفادتها الحصر قول الأكثرين، وأنكره طائفة يسيرة منهم: أبو حيان...) [٣].

فاتّفاق جمهور النّحويّين في إعرابها، والبلاغيّين في أسلوبها على إفادتها الحصر، ودلالتها عليه، وإنّها كافّة ليس غير ذلك. وكونها ضمير شأن أو ما بمنزلته عند بعض القدامى على وجاهته وتأييده في الدّراسات الحديثة عند الجواري [٤]، مثلاً - فيه نظرٌ؛ بمقاييس النّحويّين.

---

١٢١/١، وشروح التلخيص: ١٩١/٢، والطّراز؛ العلوي: ٢٩٨، والإتّقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ١٠٩/٣.

١ - ينظر: شرح المفصّل؛ ابن يعيش: ١٣١/٨، وشرح جمل الزجّاجي؛ ابن عصفور: ٤٣٢/١، والمغني في النحو؛ اليمني: ٢١٢/٣، وشرح الكافية؛ الرضي: ٢٧٦/٤، وارتشاف الضرب؛ أبو حيان الأندلسي: ١٢٨٤/٣، ومغني اللبيب؛ ابن هشام الأنصاري: ٤٠٣/١، وهمع الهوامع: ٥٢١/١.

٢ - سورة النساء: ١٧١.

٣ - همع الهوامع :٥٢١/١. قال أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ): (( (ما) من (إنما) لم تغير شيئاً من مدلولها الّذي كان قبل لحوق (ما) خلافاً لمن ادّعى أنها أفادت الحصر فيما دخلت عليه (إنّما) )) ارتشاف الضرب؛: ١٢٨٥/٣، وينظر: الجنى الداني؛ المرادي: ٣٩٥، ومغني اللبيب؛ ابن هشام الأنصاري: ٤٠٤/١.

٤ - ينظر: نحو المعاني؛ عبد الستار الجواري: ١٣٤.

أمّا زعم [١] أبي علي الفارسي، وبعض الأصوليّين والبيانيّين، واستدلاله بمقياس التّمثيل في أفادتها الحصر من أنّها نافية، فهو منطلق من معنى القصر، ومفهومهِ المعنويّ في الإثبات، والنّفي الّتي تقوم عليها جدليّة البنية القصريّة في الاستعمال الحرفيّ لـ (إنّما)؛ بوصفها كلمة واحدة أُفرِغَت في قالب جديد، هو معناها الوضعي في التّركيب.

بيد أنَّه الاتّفاق والإجماع في دلالتها على القصر، فهي ليست - أعني: (ما) - للنفي، فقد جاء في حاشية الصّبّان: (إنّ ما هذه نافية أصالة لكن انسلخ عنها النّفي بعد التّركيب فصارت زائدة بدليل عدم ذكر منفيها) [٢].

وفي المسألة، أيضاً، رأي آخر، يقول بهاء الدين السّبكي (ت٧٧٣هـ): («ما» كافة... إذ لو كانت باقية على النّفي لما كان حرف النفي معها محذوفاً والحقّ في ذلك أن الإمام (يعني: أبا علي الفارسي) لم يرد إلا أن (ما) أصلها إذا لم تكن شيئاً من الأقسام المعروفة النّفي، و(إن) وضعها الإثبات والطالب إنّ الحرفين إذا ركبا وصارا لمعنى آخر يلاحظ في المعنى التركيبي معنى كلّ واحد منفرداً، فلمّا كانت (ما) التي ليست لشيء من الأقسام المعروفة في الأصل النفي، و(إنّ) للإثبات قصد عند التركيب المحافظة عليهما، فلم يكن تواردهما على شيء واحد ولم يكن حرف النفي للمذكور فتعيّن عكسه...)، إلى أن قال: (وقول النّحاة إنّ (ما) كافّة لا ينافي هذا لأنّ الكفّ حكم لفظي لا ينافي أن يقارنه حكم معنوي...) [٣]. وهو النّفي بالمفهوم لا بدلالة اللفظ، وفصاحة التّركيب في المنطوق.

إنّ مرجعيَّة السُّبكي في توجيه المسألة تقوم على قوام التَّركيب في المنطوق، ودلالته المفهومية الإضافية، فـ (ما) عنده كافّة، والكفّ: لفظيّ ومعنويّ، فالأوّل: يخرج (إنّ)

١ - أنكر ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) معنى نسبة الرأي: "(ما) نافية من (إنّما)"، لأبي علي الفارسي، فقال: ((لم يقل الفارسي لا في الشيرازيات ولا في غيرها، ولا قاله نحويّ غيره، وإنّما قال في الشيرازيات: إنّ العرب عاملوا إنّما معاملة النّفي وإلا ...)) مغني اللبيب: ٤٠٧/١.
٢ - حاشية الصّبّان على شرح الأشموني:٤٤٣/١.
٣ - عروس الأفراح؛ السبكي (ضمن شروح التلخيص): ٢/ ١٩٣.

من اختصاصها بالّذي دخلت عليه بالمعني الصّناعي النّحويّ، وحريتها في الدّخول على الجمل عموماً. أمّا الثّاني، فهو المفهوم الإضافي الّذي تدلّ عليه (ما) لا بصراحة التّركيب الحرفيّ، وإنّما بدلالة الأسلوب الكلّيّ على النّفي في المفهوم.

ومن هنا ندرك علّة الاختلاف في (ما) من (إنّما)، وإفادة القصر بها، وإثبات الجمهور له، وعدمه عند بعضهم، وقول الإفادة بالمنطوق أو بالمفهوم[١]؛ ذلك أنّ الجملة وتركيبها في بنية أسلوب القصر تستدعي وجود (قضيتن إثباتا ونفياً فالتّحقيق أنّ القصر لا يسّمى منطوقاً ولا مفهوماً بل كلّه منطوقاً .. وتارة بعضه منطوقاً وبعضه مفهوماً فإن كان بـ (إنّما)، فهو إثبات للمذكور بالمنطوق ونفي لغيره بالمفهوم نحو: إنّما زيد قائم، فإثبات القيام لزيد منطوق، ونفيه عن غيره مفهوم...)[٢].

فالأداة (إنّما) تحقّق دلالتين عند تنفيذ سلوكها التّركيبيّ في الخطاب، وهي الدّلالة الظّاهرية أو الّتي نفهمها من المنطوق التّركيبي، والأخرى الدّلالة الباطنية أو المفهومية، الّتي توحي بها الجملة، وتشير إليها بقرائن السّياق والأحوال المقاميّة؛ ذلك أنّ نظم التّراكيب من جهة الدّلالة والمعنى على ضربين، كما يقول عبد القاهر الجرجاني: (ضربٌ أنتَ تصلُ منه إلى الغرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه ... وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحده ولكنْ يدلُّك اللفظُ على معناه الذي يقتضيه موضوعُهُ في اللغّة ثُمَّ تجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تصلُ بها إلى الغرضِ...) [٣].

والضّرب الثاني: في بعضٍ من التّحليل - في تصوّري - هو الدّلالة المفهوميّة الّتي يبعثها الأسلوب القصريّ في (إنّما)، ليست على إطلاقها؛ لأنّها على أنواع، والمقصود منها دلالة المخالفة الّتي تعني: كون الحكم فيها مخالفاً للحكم الموجود في المنطوق [٤].

١ - المصدر نفسه: ١٩٢/٢-١٩٣.
٢ - المصدر نفسه: ٢٠٥/٢.
٣ - دلائل الإعجاز: ٢٠٢.
٤ - ينظر: الإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ٥٩/٣، وأصول الفقه؛ محمد رضا المظفر: ١٠٩/١، ومفتاح الأصول إلى علم الأصول؛ أحمد البهادلي: ٣١٠/١، وما بعدها، والتّصوّر

وقد استند الجمهور في إثبات القصر لـ (إنّما) إلى جملة من أمور: لفظيّة ودلاليّة[١]- تقدّم ذكر بعضها - ومنها: تضّمنها معنى (ما وإلّا)، وقـراءة النّصب في قولهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [٢]، قال السيوطي (ت٩١١هـ): (استدل مثبتوه بأمور منها: بالنصب؛ ومعناه: ما حرم عليكم إلا الميتة؛ لأنّه المطابق في المعنى لقراءة الرفع، فإنّها للقصر، فكذا قراءة النّصب، والأصل استواء معنى القراءتين) [٣]. ومنها: أنّ (إنّ) للإثبات و(ما) للنفي، فلا بدّ من أن يحصل القصر، للجمع بين النّفي والإثبات لكن تعقّب بأنّ (ما) كافّة، لا نافية، وقد تقدّم تفسير بهاء الدين السُبكيّ لذلك، ورأيه في دلالة الكفّ الصناعيّ والمعنويّ لـ(ما). ومنها: أنّ (إنّ) لتأكيد الإسناد و(ما) كذلك، فاجتمع تأكيدان، فأفادا القصر؛ (لأنّ القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد) [٤]، ورُدّ بأنّه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر، لأفاد في نحو: إنّ زيداً لقائم، وأُجيب بأنَّ المراد أنَّه لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان إلا للحصر، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ [سورة الأحقاف:٢٣]، و﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة هود:٣٣]. ومنها: صحّة انفصال الضّمير بعدها كقولنا: إنّما يذهب زيد، وكقول الفرزدق [٥]:

أَنَا الذَّائِدُ الحَامِي الذِّمَارَ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِم أَنَا أَوْ مِثْلِي [الطويل]

لقد رصد البلاغيّون جمالية أساليب (إنّما) الخطابية ومواطن استعمالها، وسياقات

---

اللغوي عِنْدَ الأصوليّين؛ أحمد عبد الغفار: ١٣٧، والبحث النّحويّ عند الأصوليّين؛ مصطفى جمال الدين: ٢٧٦.

١ - ينظر: مفتاح العلوم؛ السكاكي: ٤٠٢-٤٠٣، والتبيان؛ ابن الزملكاني: ٦٤، والإشارات والتنبيهات؛ الجرجاني: ٨٠، والطّراز؛ العلوي: ٢٩٨، والإيضاح في علوم البلاغة؛ القزويني: ١٢١/١، وشروح التلخيص: ١٩١/٢، والجنى الداني؛ المرادي: ٤٩٦، والأشباه والنظائر؛ السيوطي: ١٤٢/٤-١٤٥، والإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي: ١٠٩/٣.

٢ - سورة النّحل: ١١٥.

٣ - الإتّقان في علوم القرآن؛ السيوطي:١٠٩/٣.

٤ - الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني: ١٢٢/١.

٥ - ديوان الفرزدق: ١٥٣/٢.

الاقتضاء الدّلاليّ الّذي تنفّذ فيه، في إدراك حالة المتلقّي بمعرفة الأمور وتعقلّها، وعلاقتها الدّلاليّة بين عناصر البنية القصريَّة، والتّركيب المكاني لعنصريّ التّخصيص في تشكيلات التّراكيب، فضلاً عن الفروق الأسلوبيّة بين كلّ طريق وأخرى، والمزايا الدّلاليّة الّتي تشّع بها عنها، وعلى أصل القانون البلاغيّ، أو الخروج عنه بالتّأويل لمقاربة الأسس التّوجيهيّة في مقولة مقتضى الظّاهر أو على خلاف مقتضى ذلك [١].

فهذا شيخ البلاغيّين عبد القاهر الجرجاني يذكر (أنَّ موضوع (إنّما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحّته أو لما ينزل هذه المنزلة...) [٢]. ثُمّ يوضّح الإجراء الخطابي فيقول: (أنّك تقول للرجل: إنّما هو أخوك، وإنّما هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحّته ولكن لمن يعلمه ويقرّ به، إلا أنّك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصاحب...، ومن التَّنزيل قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [٣]...، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ [٤] كلّ ذلك تذكير بأمر ثابت معلوم وذلك أنّ كلّ عاقل يعلم أنَّه لا تكون استجابة إلا ممّن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى إليه وأن من لم يسمع ولم يعقل لم يستجب وكذلك معلوم أنّ الإنذار إنّما يكون إنذاراً ويكون له تأثير إذا كان مع من يؤمن بالله ويخشاه ويصدق بالبعث والساعة فأمّا الكافر الجاهل فالإنذار وترك الإنذار معه واحد، فهذا مثال ما الخبر فيه خبر بأمر يعلمه المخاطب ولا ينكره بحال) [٥]، قال: (وأمّا مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله:

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِن اللّـهِ تَجَلّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلماءُ [مدور الخفيف]

١ - ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٥٢، وما بعدها، ونهاية الإيجاز؛ الرازي: ١٨٢، ومفتاح العلوم؛ السكاكي: ٤٠٧، والإشارات والتنبيهات؛ الجرجاني: ٨٢، والإيضاح في علوم البلاغة؛ القزويني:١/١٢٢، والطّراز؛ العلوي: ٢٩٢، وشروح التلخيص: ٢/ ١١٤، والمطوّل؛ التفتازاني: ٣٩٧،

٢ - دلائل الإعجاز: ٢٥٤.

٣ - سورة الأنعام: ٣٦.

٤ - سورة النازعات: ٤٥.

٥ - دلائل الإعجاز: ٢٥٥.

ادّعى في كون الممدوح بهذه الصفة أنَّه أمر ظاهـر معلوم للجميع على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها الممدوحين أنَّها ثابتة لهم، وأنّهم قد شـهروا بها وأنهم لم يصفوا إلَّا بالمعلوم الظّاهر الّذي لا يدفعه أحد ....، ومثله قولهم: إنّما هو أسـد، وإنّما هو نار، وإنّما هو سـيف صارم، إذا أدخلوا (إنّما) جعلوا في حكم الظّاهر المعلوم الّذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى...) [١]؛ إذ إنَّه (لا يقع بعد إنّما إلا شيء كان معلوماً للسامع من قبل أن ينتهي إليه...) [٢].

ثـمّ يوضّح أكثر دلالة الأسـلوب - بالالتـزام - في المفهوميَّة، وكيفيَّـة تعقّل الدلالة الثانية من خلال البنية الّتي تؤدّيها الجملة بأسلوب القصر، قال: (اعلم أنّها تفيد فـي الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت: إنما جاءني زيد عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شـبيه بالمعنى في قولك: جاءنـي زيـد لا عمرو إلا أنّ لهـا مزية، وهي أنّك تعقل معها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة وفي حال واحدة وليس كذلك الأمر في جاءني زيد لا عمرو، فإنك تعقلهمـا في حالـين) [٣]، وتعقّل الحكمين على نقضمهما معا أوثق، وأدلّ من أوّل الأمر على أنّ المراد بالكلام هو الحصر [٤]، وأضاف أنّ لها مزية ثانية، وهي أنّها تجعل الأمر ظاهراً في أنّ الجائي زيدٌ، ولا يكون هذا الظّهور في غيرها من الأساليب الأخرى [٥]، ممّا يدلّ على تفردها المعنويّ، ودقّتها في القصد الإبلاغيّ.

عـلى أنّ جمـال أسـلوبها بكمالهِ في دلالة التّعريـض [٦] إذ تتجلّى به فنّية الأسـلوب

١ - المصدر نفسه: ٢٥٥.
٢ - المصدر نفسه: ٢٥٥.
٣ - المصدر نفسه: ٢٥٨.
٤ - ينظر: المطوّل؛ التفتازاني: ٤٠٠، والمعاني في ضوء أساليب القرآن؛ عبد الفتاح لاشين: ٢٧٢.
٥ - ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٥٨، ونهاية الإيجاز: ١٨٤، والإشارات والتنبيهات؛ الجرجاني:٨٦.
٦ - قالـوا في معنـى التعريـض: هـو الـكلام الّـذي يسـتعمل في معنًى ليلـوح بغـيرهِ أي: ليفهم منـه معنـى آخـر لا ظاهـره، والمعنـى الآخر أهـم كون المخاطـب جاهلاً بـه مصرّاً عـلى إنكاره. ينظـر: مواهـب المفتـاح؛ المغربي: ٢/ ٢٢٣، وحاشـية الدسـوقي على شرح تلخيـص التفتازاني: ( ضمـن شروح التلخيـص): ٢/ ٢٢٣.

وإبداعه، وإعرابه عن قضية التّخصيص في منطوق التّركيب، ودلالة مفهومه التخالفيّة بالالتزام اللفظيّ، وهيأة الجملة.

وهي في السّـياق ذلك، توصف بكونها وسـيلة مؤدّبة ومؤثّـرة في آنٍ واحد (فضلاً عن إيجازها أمّا أنّها مؤدّبة، فلأنّها تصل إلى الغرض مـن غيرِ أن تذكر الطّرف المقابل، ومؤثرة من ناحية أنك توحي بأنّ ترك التّصريح بما يخالف ما أثبته هو من الوضوح بمـكان، كمـا أن الاكتفاء بالمثبت يوحي أحياناً بأنّـه لا يليق أن يوازن بين ما أثبت وما نفـي) [١]، يقول عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ): (اعلم أنّك إذا اسـتقريت وجدتها أقـوى مـا تكـون وأعلق ما تـرى بالقلـب إذا كان لا يراد بالكلام بعدهـا نفس معناه، ولكـن التّعريـض بأمر هـو مقتضاه، نحو أنّـا نعلم أنّ ليس الغرض مـن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَـا يَتَذَكَّـرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [٢] أن يعلم السـامعون ظاهر معناه ولكن أن يذمّ الكفّار وأن يقـال: إنّهـم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهـم في حكم من ليس بذي عقل وإنكـم إن طمعتـم منهم في أن ينظروا ويتذكـروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي الألبـاب وكذلـك قولـه: ﴿إِنَّمَا أَنـتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَـاهَا﴾ [٣] وقوله عزّ اسـمه: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَـوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ﴾ [٤] المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشـية فهو كأنه ليس له أذن تسـمع وقلب يعقل، فالإنذار معه كلا إنذار...) [٥].

ثـم يتعّجـب من روعة أسـلوبها، وجمال بلاغتهـا، فيقول: (إنَّ العجـب في أنَّ هذا التّعريـض الّـذي ذكرت لك لا يحصل من دون (إنّما) فلو قلت: يتذكّر أولو الألباب. لم يدلّ على ما دلّ عليه في الآية، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس إلا أنَّه ليس فيه (إنّما)؛...) [٦].

١ - المعاني في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين: ٢٧٤.
٢ - سورة الرعد: ١٩، وسورة الزمر: ٩.
٣ - سورة النازعات: ٤٥.
٤ - سورة فاطر: ١٨.
٥ - دلائل الإعجاز: ٢٧٢.
٦ - المصدر نفسه: ٢٧٢.

فـ (إنّما) هـي قرينة مجريات الخطاب الفنّي البلاغيّ في أسلوبيّة القصر، وبيان جدليته التناقضيّة، في النّفي الضّمني والتّصريح بالإثبات، غايةَ إنتاجيّة التّعريض، قال: (والسّبب في ذلك أنّ هذا التّعريض إنّما وقـع بأن كان من شأن (إنَّما) أن تضمّن الكلام معنى النّفي من بعد الإثبات، والتّصريح بامتناع التّذكر ممن لا يعقل وإذا أسقطت من الكلام فقيل يتذكر أولو الألباب كان مجرد وصف لأولي الألباب بأنهم يتذكرون ولم يكن فيه معنى نفي للتذكر عمن ليس منهم ومحال أن يقع تعرض لشيء ليس له في الكلام ذكـــر ولا فيه دليل عليه فالتّعريض بمثل هذا أعني بأن يقول: يتذكر أولو الألباب، بإسقاط (إنّما) يقع إذن إن وقـع بمدح إنسان بالتيقظ وبأنه فعل ما فعل وتنبه لما تنبه له لعقله ولحسن تمييزه كما يقال: كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم) [١].

ثُـمّ يشـير إلى دقّة اسـتعمالها، وغموض أسـلوبها، ويقيس على المتقـدّم من إدراك معرفتها، فيقول: (إنها قد تدخل فـي الشّيء على أن يخيل فيه المتكلّم أنَّه معلوم ويدعي أنه من الصحة بحيث لا يدفعه دافع،...) [٢]. ويضرب مثلاً فـي حكاية اليهود في قوله تعـالى: ﴿وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمْ لاَ تُفْسِـدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُـواْ إِنَّمَـا نَحْنُ مُصْلِحُـونَ﴾ [٣]، قال: (دخلت (إنّما) لتدلّ على أنّهـم حين ادعوا لأنفسهم أنهم مصلحون أظهروا أنهم يدعون من ذلك أمرا ظاهرا معلوما وكذلك أكد الأمـــر في تكذيبهم والرد عليهم فجمع بين ألا الّـذي هـو للتنبيـه وبين إن الّذي هو للتأكيـد فقال: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِـدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [٤]) [٥].

وليس لي بعد ما ذُكِر ومحاكاة الأساليب بتحليلاتها إلَّا أن أسيرَ على هدي من دلالته، وسبيل أسلوبه في استنطاق أسلوب القصر بفاعليَّة (إنّما)، واستكناه ما يدلّ عليه نفياً

١ ـ دلائل الإعجاز: ٢٧٢.
٢ ـ المصدر نفسه: ٢٧٢.
٣ ـ سورة البقرة: ١١.
٤ ـ سورة البقرة: ١٢.
٥ ـ دلائل الإعجاز: ٢٧٤، وينظر: نهاية الإيجاز: ١٨٢، ومفتاح العلوم: ٤٠٨.

وإثباتاً في جدل التَّركيب؛ استنشاقاً لروح جماله، وسرّ روعته، وسحر إبداعه، ومَدَيات توافقه في نصوص الصَّحيفة السّجّاديّة، أصالةً، أو عدولاً عنه بالتّأويل والتَّفسير.

على أنَّه ليس لي أيضاً أن أترك القول في أنَّ التّعريض (معنى يُفهم من غرض الكلام وجانبه، ويُستشف من أطراف المعاني المباشرة بمعرفة السّياق وقرائن أحواله... وما يفيض به التّركيب من معان جانبية وإشارات وإيماءات...) [١] وهو غير منحصر في أسلوب القصر بـ (إنّما) دون سواها، بيد أنَّ الأمر في كلٍّ يمكن أن يقال: أكثريّ لا كلّيّ؛ لأنَّ المعاني البلاغيَّة أكثر من أن تُحصى [٢].

وكذا الفروق الدَّلاليَّة في التّراكيب الّتي تستعمل فيها (إنّما)، وخصائص كلّ من الجملة الاسميّة والفعليّة، والتّرتيب الأفقي الّذي يتّخذه عنصرا البنية القصريّة. فـ (المقصور) هو ما يلي الأداة في نسج البينان القصري بعد الأداة (إنّما) مباشرةً، أمّا (المقصور عليه)، فهو ما وجب أن يكون مؤخّراً عنها.

وهذا له مداه في معرفة جماليات الدّلالة، وإشراقاتها المعنوية إذ إنّه يعتمد على نمطي البنية القصريّة وهما: المواضعة اللّغويّة في الاستعمال الحرفيّ في التّركيب لـ (إنّما)، والذّوق الفنّي - وأكْبِرْ به من مستوى - في معرفة التّقديم والتّأخير، وتحديد مكونات الجملة في منحى أسلوبيّة القصر وفحوى الخطاب.

وما يعنينا ممّا تقدّم مجريات ذلك الاستعمال القصديّ الّذي يصوغه حكيم عالم كالإمام السّجاد «عليه السلام» في التّعبير الفنّي بنوعية الجنس الدّعائي في أسلوبيّة القصر باستعمال (إنّما)، وهو مقبل على معبوده، متوجّهٌ إلى حبيبه - سبحانه - في حضوره النّفسي وارتباطه الوجداني من جانب، وقدرة التّمثيل النّصّي في الظّهور الخارجي للإعلام والإفادة منه في الامتداد الزّمني على مساحات الحياة الإنسانية من جانب آخر.

١ - علم المعاني؛ بسيوني عبد الفتاح: ٢٧٩.
٢ - ينظر: البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي: ٣٢٩/٢.

إنّ في الصحيفة السجّادية مؤدًّى دلاليّاً، وقصداً إبلاغياً في فاعلية (إنّما) على قلّة وروده ينسجم واستعماله الأمثل في تكيف الطّابع الأصوليّ فـــي التّعبير ونهاية المعنى في عملية الخلق الجماليّ والإبداع الفنّي، وهو (المنشـــئ) في ســـياقات ساحة القدس الأرحب؛ لإنشاء الدّعاء في ألوانه الأسلوبيّة، ونفحاته الحركية في السير الطّلبي والسلوك العباديّ.

وقد أضيء لي وأنّا اســـتقرئ نصوص الصّحيفة الســـجّاديَّة في ســـبيل اقتناص دلالة القـــصر بآليّـــات وضعيَّة (إنّمـــا)، وفاعليتها في التَّكويـــن القـــصري - أنّ تراكيبها الّتي وردت في مواطن ثمانية [١] فحسب، جاءت على مظهرين: الأوّل: إلّهي في أكثره؛ لمناسبة في تقديس وتنزيه...، والثّاني: إنســـانيّ في أقلّه؛ لاســـتعطاف أو تحقير...

فمن الأوّل، قوله «عليه السلام»:

ـ (اللّهُـــمَّ إنَّما يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْـــل قُوَّتِكَ فَصَـــلِّ عَلَى محَمَّد وَآلِه، وَاكْفِنَا، وَإنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَأعْطِنَا، وَإنمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُـــورِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآلِهِ وَاهْدِنَا...) [٢].

وقوله «عليه السلام»:

ـ (وَإنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَإنَّمَا يَحْتَاجُ إلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَقَدْ تَعَالَيْتَ يَا إلهِي عَنْ ذلِـكَ عُلُوّاً كَبِيراً) [٣].

ومن الثاني، قوله «عليه السلام»:

ـ (سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَى نَفْسِي وَأُعَدِّدُهُ مِنْ مَكْتُوْمِ أَمْرِي، وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِـكَ أَنَاتُـكَ عَنِّي وَإبْطاؤُكَ عَنْ مُعَاجَلَتِي وَلَيْسَ ذلِكَ مِـنْ كَرَمِي عَلَيْكَ بَلْ تَأَنِّياً مِنْكَ لِي،

١ ـ ينظر: الصّحيفة السّجّاديّة: ٣٦، ٧٠، ١٨٢، ٢٠٧.
٢ ـ المصدر نفسه: ٣٦.
٣ ـ المصدر نفسه: ٢٠٧

وَتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ، لانْ أَرْتَـدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسْخِطَةِ وَأُقْلِعَ عَنْ سَيِّئَـاتِي الْمُخْلِقَةِ وَلانَّ عَفْوَكَ عَنّي أَحَبُّ إلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي، بَلْ أَنَا يَا إلهي أَكْثَرُ ذُنُوباً وَأَقْبَحُ آثاراً وَأَشْنَعُ أَفْعَالاً وَأَشَدُّ فِي الْباطِلِ تَهَوُّراً وَأَضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيَقُّظاً، وَأَقَلُّ لِوَعِيْدِكَ انْتِبَاهاً وَارْتِقَاباً مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي، أَوْ أَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِ ذُنُوبِي وَإِنَّمَا أُوبِّخُ بِهَذا نَفْسِي طَمَعـاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَـا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ)[1].

وقوله «عليه السلام»:

ـ (عَادَتُكَ الإحْسَـانُ إلَى الْمُسِيئِينَ، وَسُنَّتُـكَ الإبْقَـاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُـكَ عَـنِ الرُّجُوعِ، وَصَدَّهُـمْ إمْهَالُكَ عَنِ النُّزُوعِ. وَإِنَّمَا تَأَنَّيْتَ بِهِـمْ لِيَفِيئُوا إلَى أَمْرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُـمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ،...) [2].

قبل أن ندخل في رحاب الفرض والاحتمالية باسـتحضار شـبكة التلقّي الافتراضيّة في العمـوديّ منها والأفقي بنوعيهـا: الذّاتية والموضوعية، في ثنائية الخطاب الّتي كان مجـرى التّحليل على رؤى ركائزها الإجرائية لتركيب الأسـلوب القصري وفي ضوء ما تقدّم من أسس في مدونة البحث البلاغي، يقتادنا الظّاهر إلى أنّه ليس في هـذه التراكيب - ونحـن في منـأى عن ذلك التأمّل- مـن المعاني القصدية، ومتوخيات الأسـلوب شيء إلا مـا هو سـبيل الأصل البلاغي، وسـنرى أنّ الأمر لا يتوقّف عنـد ذلك، بل قد تخرج منـه إلى معـانٍ فنّيّة وأغراض إطلاقيّة، ولاسـيّما إذا كانت الرؤيـة مبنية على أسّ ذلك الاستدعاء وواقع الفرض.

ونقول بعدُ: هل لنا أن نرسـم علامات اسـتفهاميّة في سبيل هذه الطّريق: استعمال (إنّما)، وأسـلوبها المؤدّى دلاليّاً في مقاماته الخطابيّة على ظاهرها الإبداعي في التكوين أو على خلاف ظاهرها، وما يقتضيه العدول عن ذلك؟.

١ ـ المصدر نفسه: ٧٠.
٢ ـ المصدر نفسه: ١٨٢.

لنشرع، إذن، ممّا نحن فيه ابتداءً من كلّيّات القصر ومدارات سلوكه التّنفيذيّ في الإسناد منه ومكوناته الكلميّة، ومفتاحنا في ذلك الأداة (إنّما) في الخطاب البلاغيّ.

يتمثّل في النّصّ الأوّل مجموعة من البنى الّتي تعمل على تدعيم نسيجية التّركيب القصري فيه ابتداءً من خلفيات التّصوّر المعرفيّ في الأصول البلاغيّة وانتهاءً بأجزاء ذلك النسيج القصريّ في تكوين إنتاجيّة التّضادّ في النّفي والإثبات في جدليته التّعبيريّة.

فقد أسهم الاستعمال الأدائيّ لـ (إنّما) في إعطاء هذه الجمل ذات الإسناد الفعلي الثّلاث: (إنَّما يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ...، وَإِنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ.. ، وَإِنمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ...). غاية إنتاجيّة البعد القصري، إذ أسند «عليه السلام» مصادر الأفعال (يكتفي، يعطي، يهتدي)، الواقعة من الفاعل الدّلاليّ (المكتفون، المعطون، المهتدون) وبالإضافة التقييديّة (اكتفاء المكتفين، إعطاء المعطين، اهتداء المهتدين)، المقصور، على (فضل قوة الله سبحانه، وفضل جدته ونوره، تعالى) المقصور عليه قصراً حقيقيّاً تحقيقيّاً على واقعيّة الأمر والحال، وبما تحمل تلك الأحداث على إطلاقها في التّقييد بالجارّ والمجرور (بفضل قوتك، من فضل جدتك، بنور وجهك)، وعمومها في التخصيص، ونفاه عن غيرية الصفات (الكافي، المعطي، المهدي)، (الله) سبحانه، بالمفهوم المتصوّر وبمقولة دفعة دلالية واحدة وفي حالة واحدة في التعبير، مشحونة بذينك البعدين الدّلاليّين: الإثبات والنفي.

وبنى بذلك قضيتين؛ إحداهما: ظاهرة ثابتة خاصّة بالمنطوق التّركيبيّ، والثّانية: منفية مناقضة للأولى مدركة بالقرائن في سياق عام يحتويهما معاً، وأسّسَ من بعد ذلك قضية كبرى في نتيجة ظاهرة ثابتة أيضاً، وأخرى باطنيّة منفيّة يسيران في اتّجاه الدّلاليّ بمستوى واحد في الأداء.

وهنا تتجلّى لنا عدة أمور تُوسَم بالإشكاليَّة، وترتسم خلالها علامات استفهاميَّة في: لماذا هذا الأسلوب دون غيره من الأنساق التَّعبيريَّة الأخر الّتي تزخر به حدائق

الصحيفة السجادية؟ وما المغزى الدّلاليّ، والهدف المعنوي المتوخّى من ذلك؟ وما الظّاهر البيّن في المقام الّذي انخرطت في سياقه الوظيفة اللّغويّة لـ (إنّما)؟ وهل هنالك متناقضان في الإثبات والنفي يسيران في مرمى دلاليّ على خطٍّ واحد في التّركيب الإخباري؟ وإذا كانا كذلك، فأيّهم هو البلاغة؟ ومن منهم هو الهامش؟ وكيف ذلك؟...

وفي الإجابة عن هذه الافتراضات الجدليّة أقرّرُ مسألة مهمّة في الفهم الّذي بنيت عليه استعمالات (إنّما) وهي أنّ الدلالة المفهوميّة عند النّطق بالحرف (إنّما) كأنّها متلبّسة في دلالة المنطوق لأنّ النّفي والإثبات فيها على ما هو راسخ في المبدأ البلاغيّ لا يفهم دفعة واحدة إلّا بذلك التّواشج الدّلاليّ ومناقضة الجملة دلاليّاً في الظّاهر والباطن لاستقامة المعنى القصريّ.

ومن ذلك الأصل تنكشف لنا فرضية الوجود المكاني على أنواعه ولحظة القول بتلك الجمل الفعلية، في ذلك السياق، فالمكان الوجودي هنا يتنوع على أربعة أشكال، في نوعين: ذهنيّ باطنيّ، وخارجيّ ظاهريّ، عند المتكلّم والمتلقّي على أشكاله في البعد الأوّل العمودي، والثاني الأفقي على حدٍ سواء، وعلى ذلك التشقيق يمكن أن نفهم الهدف الدّلاليّ الّذي تؤدّيه (إنّما) في التّركيب في الإثبات الصّريح، والنفي الضمني دفعة واحدة، وفي حالة واحدة عند التّكوين القصري، أي: في ساحة الوجود الذهنّي فحسب، دون الوجود الخارجيّ؛ لأنّه قد تقرّر في الناموس العقليّ أنّ النقيضين (لا يجتمعان ولا يرتفعان ببديهية العقل، ولا واسطة بينهما) [١].

وعلى ذلك يتحقّق لنا أنّ التّعبير في وجوده الافتراضيّ الذّهنيّ في مقولة دفعة واحدة لا ينعكس ومداه في الوجود الخارجيّ، ولا يكون فيه مجال إلا بالاحتساب الذّهنيّ.

١ ـ المنطق؛ المظفّر: ٥٢.

ومـن هنالـك يمكن أن نؤسّـس على ما تقـدّم كون ذلك عند المتكلّـم والمتلقّي في أيٍّ مـن الظّـروف القوليَّة، والأحوال المقاليَّـة، وعلى أيّ صعيدٍ من خطوط شـبكة التلقّي الافتراضيّة، وفي جميع اتجاهاتها. هكـــذا في التخطيط:

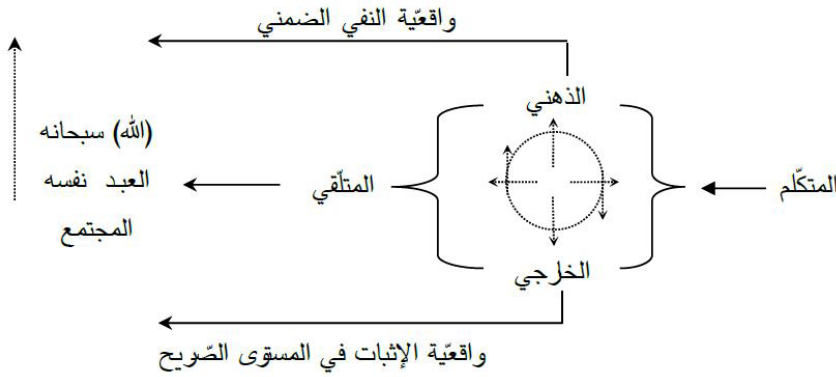


إنَّ التأمّل في النّصوص ذات المظهر الأوّل - مع ملحظ الرسـم التخطيطي- يدفعنا إلى القول: أنَّه لا يمكن أن تكون دلالتها منسجمة مع مقولة دفعة واحدة، بل لا يكون لها دلالة إلَّا الإثبات الصّريح من التّركيب دون النّفي في المفهوم، وكذا في المفهوميّة من المتكلّم نفسه أصلاً، بل لا تخطر فـي باله عند ملاحظة المتلقّي، وهو البارئ سبحانه، بمتأمّـلٍ في مفهـوم ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِـكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾، مـن قولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلـتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـــهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُـبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَـدْ عَلِمْتَـهُ تَعْلَـمُ مَا فِي نَفْـسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِـكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [سـورة المائـدة: ١١٦]، في الخـطّ العمـوديّ عند الدّعاء، على فـرض أنّ المتلقّي احتواه الوجود المكاني، حاشـاه، سـبحانه، والمتكلّم المستعمل لأسـلوب القصر بفاعليّة (إنّما) يتصوّر ذلك، فيتحرّك بحركته الذّهنيّة على وفق حركة المتلقّي أيضاً، فيزيل الخطأ الّذي استولى عليـه، فيأتي بأشـكاله القصريّة كافّة، ويعـدل به إلى الصّواب بالصياغة الأسـلوبيّة... عجبـاً ! وكيف يكون ذلك ؟!،...

قطعاً؛ المسألة على خلاف الأمر المفترض، بل كذا أنَّه لا يكون عند تصوّر المتكلّم في افتراض وجوده الذّهنيّ أصلاً؛ بشهادة سياق الدّعاء، وملاك حقيقة التّذلل بالإخلاص في الطّلب والتّبتل، في سبيل أنّ المخاطَب يعلم بحركة المتكلّم الذّهنيّة، ويعلم بمداركه الطّلبيّة ومراداته العبادية قبل حدوثها في التّكوين اللغويّ واستعمال أيّ من الأساليب الّتي عهدتها البشريّة في التّعبير، فيتحوّل المتكلّم (الإمام) بذلك إلى متلقٍّ ثانٍ، وهو في سياقه، فيتعلّم من المتكلّم (الله)، سبحانه - في المنظومة المعرفيّة في الأصول العقديّة - الّذي هو المتلقّي في المرحلة الأولى، منه: أنّك أيّها العبد الدّاعي، يجب أن تخلص في الدّعاء والطّلب، ولا تجري بالحركة الذهنيّة الّتي عندكَ على حالة القياس البشريّ، وترقّى من تلك المستويات إلى المستوى البلاغيّ الأرفع في الطّلب العباديّ، فلا يكون ذلك في ذهنك؛ لأنّه خلاف الانقطاع منك إليّ. ثمّ إجراء الجزاء على وفق تلك النية، ووقوعها العملي، وتنفيذها الوجودي.

والدّليل على ذلك جملة من أمور سياقيّة ولغويّة، منها: إشكاليّة الخبر في التّعبير الدّعائي، وعلم المتلقّي والمتكلّم بذلك؛ وذلك لقصدٍ مفاده الانطلاق من قاعدة الفيض الإلهي، والانسجام الحاصل بين وحدة التّراكيب، كما سيأتي...

أمّا اللغويّة، فمن الوحدات الكلاميّة في التّركيب الإسناديّ نفسه، داخليّاً من الدّال إلى سياق التّعبير، خارجياً في المدلول.

لقد أضفَت الوحدة الحرفيّة (إنّما) مجالاً رحباً في الانخراط بالسياق الفعليّ في الجمل عموماً، قوله «عليه السلام»: (اللّهُمَّ إنَّما يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْل قُوَّتِكَ فَصَلِّ عَلَى محَمَّد وَآلِه، وَاكْفِنَا، وَإنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِه وَأعْطِنَا، وإنمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بِنُورِ وَجْهِكَ فَصَلِّ عَلَى محمّد وَآلِه وَاهْدِنَا) [1]. وكذا قوله «عليه السلام»: (وَإنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَإنَّمَا يَحْتَاجُ إلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَقَدْ

١ - الصّحيفة السجّادية: ٣٦.

تَعَالَيْتَ يَا إِلهِي عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً) [١]. في بنية المقصور إذ جاءت كلّها في صيغة الأفعال المضارعة، وهذا القصر بذلك الاستعمال، له حركته العمليّة المستمرة في (يفعل)، ودلالته على التّجدّد والحدوث الاستمراريّ [٢] في زمنية مطلقة على الامتداد الوجودي (للمكتفين، والمعطين، والمهتدين)، من أوّل النشأة في الخلق إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى في ذلك..

والنّظرة إلى الفاعل وما تؤدّيه جنسيّته في كونه اسم فاعل مشتقّاً من فعله المتقدّم، وهو الأمر الّذي يعطي الدّلالة القصد التّلقائي في صاحبه ومعناه (المكتفون، المعطون، المهتدون)، كما أنّ نوعه في التّعريف النّحويّ، وأداء ذلك بـ (أل) الكلّيّة أو الجنسيّة: (كلّ مكتفٍ، كلّ معطٍ، كلّ مهتدٍ) من دون استثناء أحد منهم،... ومن ثمّ إطلاقيّة الإسناد في الاكتفاء، والإعطاء، والاهتداء - وأيّ إطلاق على سعته الواسعة!! - في ذلك السياق الحركيّ في بنية ذات تقييد قصريّ وتخصيصه الدّلاليّ، والاستعمال الأمثل لحروف الجرّ (من) البيانيّة، و(الباء) السببيّة، ومعانيها الّتي سحبت الأفعال، وجرتها إلى صفة التّكامل الدّلاليّ في الإفادة بالإطلاق.

وبعدُ، قَصْر الإسناد الكلّيّ التّامّ على أصله في (يكتفي المكتفون، يعطي المعطون، يهتدي المهتدون)، والجزئيّ في اسم الفاعل (المكتفون، المعطون، المهتدون) ونسبته الكلّيّة أو الجزئيّة في متعلّقه على (بفضل قوتك، من فضل جدتك، بنور وجهك) دون شيء أخر، وإثبات هذا ونفي غيره الّذي لا يكون متصوّراً في واقعه الافتراضيّ، فكيف بوجودِهِ الفعليّ الحقيقيّ؟!

---

١ - المصدر نفسه: ٢٠٧.

٢ - ينظر: نهاية الإيجاز؛ الرازي: ٧٥، والإيضاح في علوم البلاغة؛ القزويني: ٩٩/١، والطراز؛ العلوي: ٢١٧.

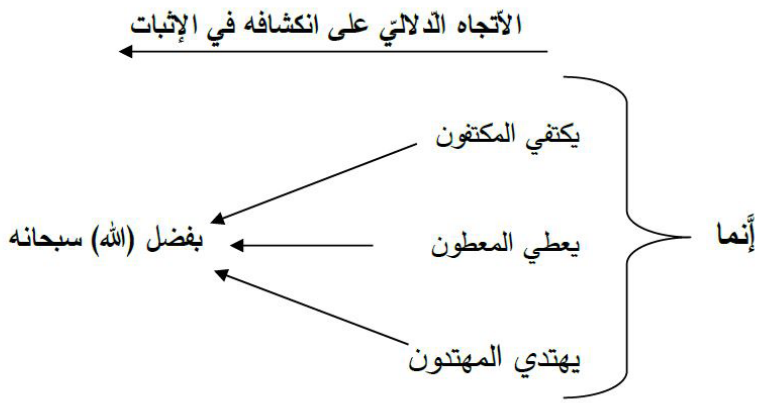


فالإثبات، إذن، هو القصد الأوّلي من التّخصيص الخاصّ، وعدميّة القول بالنّفي عن غيره، وإن كان ما يوحي به السياق إلَّا أنَّه غير متأتٍ في هذا الخط العموديّ، وقد يكون في خطوط افتراضيّة أخرى غير هذا في نشوة الدّعاء، وسياقه المفعم بالتّقديس والتّعظيم.

ومن هنا ندرك مدى الارتباط الدّلاليّ بين الأسلوبين: الخبريّ، والإنشائيّ، في الخلق والإبداع - هاهنا - على الاختلاف الّذي بينهما، فالأوّل مقدّمة تحقيقيّة للعلّة الغائيّة الّتي تكمن في الإنشاء (الدعاء) بصورته الطّلبية في فعله (الأمر) المجازي الآتي: (اكفنا، اعطنا، اهدنا)، وإطلاقيّة الحدث الطّلبيّ غير مخصّص في مطلوب معين إلَّا في ما هو شأنه، وفيه من التّوسع المعنويّ والإطلاق الدّلاليّ ما لا يكون لو جاء بغير ذلك الأسلوب ومقدّمة الطّلب القصرية في استعمال (إنّما)، وفاعليتها الدّلاليّة في تقرير الحقائق، ورؤية الواقع الفعليّ في ساحة الفيض الربانيّ الكريم سبحانه.

زد على ذلك وجود (الفاء) الفصيحة في الفعل الدّعائي (فصلّ) الّتي أعربت عن محذوف [١]، وعملت على شدّ الأسلوبين، لغرض الإفادة، بمعنى: إذا كان الأمر كذلك في

١ - ينظر: لوامع الأنوار العرشية؛ محمّد الشيرازي: ٥٣٥/١.

الظّهـور والجـلاء، وعلى ما تقدّم - وهو المحذوف - (فصل على محمد وآله واكفنا،...، فصل على محمد وآله وأعطنا،...،... واهدنا).

ولـو دخلنـا في مضامـين النّصـوص - الجمل نفسـها - نجد التّسلسـل الفكريّ في الإخباريـات منسـجماً والإنشـائيات في الطّلب الدّعائـي، إذ إنّه يبـدأ بالاكتفاء، وبعده العطاء المبني عليه، ثمّ طلب الهداية، على أنّ المطلوب من ذلك المصدر الحدثيّ فحسب، مـن دون تخصيص بمعين.

وعلى ذلك يكون المراد من هذا التّعبير الدّلالة الأوليّة الخاصّة بالإثبات فحسب، على ظاهرها المتمثّل في الأسـلوب وتخصيصه بذلك دون ما رؤية على الإطلاق إلى النّفي في المفهوم من وحدة التّركيب، وسطحه الخارجي.

وإذا جئنا إلى مقولة مخاض الاستقراء الأسلوبي في أنّها (إنما) يليها فعل معروف لا ينكره السـامع، بل هو معلوم عنده، والغرض فيه التنبيه أو التذكير...، نجد هذا لا يتأتى وواقع السياق العبادي في هذا البعد العمودي من القصد؛ لأنه (المتلقّي - (الله) سـبحانه) هو من العلم ما أحاط بكلّ شيء، فكيف تكون تلك الوحدات الكلاميّة منبهةً بالإطار الفكريّ للعليم الجليل، أو مذكّرة له حاشاه سبحانه.

أمّا مقولة: إنّ أحسـن مواقعها التعريض، فهذا خاصّ في سـياقات معينة على ما يمكن أن يأتي، والسياق - هاهنا - في بعْده العباديّ ينكر عليها أن تكون عنواناً للمقولة المردودة.

ولذا قد يجوز لنا القول: إنّ (إنّما) في النّصّ الأوّل، هي إحدى وسائل الأدب الرفيع في الطلب العبادي عند المناجاة والتبتل، لا على أنّها لا تذكر المنفي الملحوظ بالجملة، أو بـإدراك المفهومـي من التعبير بصورة مباشرة، وإنّما عـلى أنّها تغض الطّرف عن هذا البعـد الدّلاليّ في التلاشي ذهناً ووجـوداً حقيقيّاً عند المتكلّم، في قانون قصر الصفة على الموصوف قصراً على الأصل ممّا تقرر في منظومة الاعتقاد.

وبعبارة أخرى أنّ البعد المفهومي في الدّلالة مخفي غير واضح المعالم في الخطّ العموديّ، حتّى أنَّه لا يكاد أن ينجلي، وقد يظهر في الخطّ الأفقي على المستوى الذّاتي النّفسيّ، أو الموضوع في الخطاب، هكذا:

أو إمكان الانصراف إلى موقف الجمال الفنّيّ بالتزام المعيار البلاغيّ، والقانون الأصولي؛ للإشعار بذلك البعد الدّلاليّ في التّعبير بمقاييس غير طبيعية في الإفادة، وإخراج اللفظ مخرجه دون تشبيه أو مقارنة؛ وصولاً إلى منتهى البلاغة وقصارى دلالتها في التّعبير.

ولو أجرينا مقارنة للأنساق الأسلوبيَّة الأُخَر (العطف، والنفي والاستثناء) مع (إنّما)، في محاولة لرؤية البعد الدلاليّ العميق الّذي تعبّر عنه وضعية (إنّما) في الاستعمال، لوجدنا قاعدة البنية العميقة الّتي تعرب عنها هذه النماذج الأسلوبيّة واحدة في كلٍّ، مع اختلاف الغرض المقصود بالصياغة، على وفق الأداء قطعاً.

ففي بنية العطف تكون - على الفرض - جمل المظهر الأوّل من قوله «عليه السلام»، هكذا: يكتفي المكتفون بفضل قوتك، لا بفضل قوة أحد أخر غيرك... وهكذا بقية الجمل...

وفي طريق النّفي الاستثناء تكون الجمل هكذا: ما يكتفي المكتفون إلا بفضل قوتك....،...

وكلّ من هذه الأشكال التّركيبية تقوم على بنية عميقة مفادها متلبس بالخطأ (الاشتراك، والتساوي وعدم التعيين) في أصل، هكذا في العمق: يكتفي المكتفون بفضل قوتك وبغيرك،...

غير أنَّه آثر التعبير بوساطة (إنّما)، دون غيرها من مصاديق التّراكيب الأسلوبيّة في وصفية القصر؛ لأهداف مقصودة في مستويات معرفة الحكم الإسناديّ في البنية القصريّة عند المتلقّي.

ومن هنا تُؤخذ المعايير البلاغيّة محملها من جدة التّطبيق، وقواعدها في سعة التنفيذ في المستوى الأفقيّ من الحركة الذّهنيّة الثنائيّة في تجريد الخطاب بين الإنسان (العبد) ونفسه - إذا استبعدنا الخطّ العموديّ المخاطب في بعدهِ الأوّل - بوصفه أحد أفراد المجتمع، وما يتجلّى ويظهر من معرفة الجزء يكون في الكلّ.

إنّ المتكلّم في بُعْده الثنائيّ في إحلال نفسه محلّ المتلقّي ليس لديه أيّ غرض في تقييد الإسناد هنا في نسبة تقييديّة في اتصال حرف الجرّ بنسبته في التقييد بالإضافيّ منها وسحب معنوية الفعل ودلالته الحدثيّة في ما يعرف بشبه الجملة، وإنّما غرضه وهدفه هو نفي أن تكون لهذه النسبة نسبة منسوبة إلى الآخرينَ غير موجودة في التّركيب وإسناد تلك النسبة إلى أصلها. أي: الفاعل الدّلاليّ (الله) سبحانه.

وعلى ذلك لم يأتِ التّعبير، هنا، في الصياغة بالعطف لإنتاجية القصر؛ لأنّ فيه بعدين دلاليين مصرّح بهما في التركيب، وهما: الإثبات والنفي، وهذا غير مطلوب في تلك المقدّمة للوصول إلى الطلب في الدعاء - فضلاً عن الحركة الذهنيّة للمتلقّي في بعده الأوّل، وانعدام التنوّعات الخطابيّة في بنية القصر في: الإفراد، والقلب، والتّعيين.

وأمّا أسلوبيّة النّفي والاستثناء في قوله: ما يكتفي المكتفون إلا بفضل قوتك،... على الفرض، فهو غير متوخّى - هنا - لأمور تتعلّق بالمستثنى منه، وكيف يجب عدم القياس بالنسبة إلى خلقه سبحانه، في طرح مجموعة من التحوّلات تقود إلى سطحه الغائيّ في التّعبير.

ثم أنّ سبيل هذا المقول في أمر يُنكر، أو يشكّ فيه، وقد تقدّم عدم ذلك في التّوجيه

الدّلاليّ في النفي والاستثناء، كما أنّ الغرض في هذا الطريق (النفي الاستثناء)، هو النفي في المفهوم منه ودلالته التّضمنية عليه في البعد الأفقي؛ لأنّه أنسب في الخطاب الدعائي، أي: أنّ النفي أولى في الدّلالة المركزيّة من الإثبات الّذي حقّق هامشها في التعبير.

لم يبق، أذن، سوى مدرك (إنّما)، والاتكاء على فاعليتها الدّلاليّة، في دفع تقييد الإسناد بغير المذكور بوساطة الإثبات؛ لأنّه هو المركز الدّلاليّ الّذي بنيت عليه فكرة الإنشاء، أمّا هامشيّة الدلالة في النّفي، فهي معلومة عن طريق اللزوم، وهي غير مقصودة؛ لأنّ تحقيق الوصول إلى الغرض قد تحصّل من خلال الإثبات، وسياق التّركيب يثبت ذلك والحالة الدّعائيّة من دون القياس.

قوله «عليه السلام»:

ـ (وَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَقَدْ تَعَالَيْتَ يَا إِلهِي عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً) [1].

يحدونا التأمّل في سياق هذه التراكيب، والنظر في نسق وحداتها - مباشرة - إلى استظهار دلالتها النهائيّة في القصد، ومبلغ منتهاها في هدف التعبير، وهو التنزيه والتعظيم؛ لإشاعة مزيد من روح العطف والالتفاف.

والمكوّن لذلك هو خاصية الضّد في الإثبات، من بيانية التّركيب بالإفصاح، في إثبات الضعف والاحتياج، والخوف من العجلة إلى الخلق أجمع، وتنزيه الخالق سبحانه وتعالى عن ذلك بالمفهوميّة على ما هو الجليّ الواضح، والمعروف البديهي في جنسّية الخلق في ذلك التكوين الآدمي.

وهنا تطرح الاحتماليّة الدّلاليّة - على وفق ما تقدّم - توجيهاً في أنّ النّفي الضّمني، هنا: (أنت لا تعجل، أنت لا تظلم)، قد يكون في بنية القصر (إِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ

١ - المصدر نفسه: ٢٠٧

الْفَوْتَ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ،...)، بعيداً عن مؤدّاه القصديّ في كونه لا يسير مع هدف الإثبات في مسار دلاليّ واحد، إذ إنّ هذه الصفات لا يصحّ أن تنسب إليه، بل لا تخطر في ذهن المؤمن العارف على الافتراض من وجودها الذّهنّي له سبحانه.

والدّليل على ذلك أمور تعلو في تكاتف النسيج اللُّغويّ في التّراكيب نفسها، فضلاً عن واقع السِّياق الّذي اكتنفها في نوعية من نوعيات التّراكم القصريّ، كما يأتي.

إنّ تركيب (إِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ،...)، مكوّن قصريّ جدلي (مستند ثانٍ) في أداء وضعيّ، مقدمته مكوّن ذوقيّ - بنية التّقديم والتأخير - قصري آخر (مستند أوّل) متقدّم عليه في الرتبة الدلاليّة والمغزى المعنوي، وهو قوله «عليه السلام»: (وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَلاَ فِي نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ،...)؛ لمطلب في نتيجة مرادة في مقام التنزيه، هي: (وَقَدْ تَعَالَيْتَ يَا إِلهِي عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً) [١].

لو تصفحنا مفردات التركيب (المستند الأوّل) نجده قد أعرب عن جدل نفي الظلم والعجلة والخوف عن الله سبحانه، وإثباته لغيره بفحوى الخطاب، هذا هو الظّاهر من المعطى البلاغي.

أقول: أنّه في الاحتماليّة ليس كذلك، وإنّما هو إثبات ليس معه نفي، إثبات لعدالة الخالق سبحانه، وليس نفي الظلم عنه - تعالى؛ لأنّ الإثبات، هنا، هو المطلوب، والنّفي لا يمكن أن يتصوّر في مجاله الذي يقود بالنتيجة إلى إثبات الظلم بعيداً عن الساحة القدسية في النّاس احتياجهم وخوفهم،... وما تصدير الجملة بضمير الشّأن أو القصة (الهاء) في (إنّه) إلّا تفخيم وتهويل في العموم، تفصيله ما بعده في الخصوص، وهو إجراء التّقديم والتأخير (لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَلاَ فِي نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ)، هنا، على وفق

١ - المصدر نفسه: ٢٠٧

أدائـه الصّناعـيّ بالوجوب في عدم تقديم النّكرة (ظُلـم)، في الأولى، وعلى القول بفعلية (ليس) [١]، على حين جواز ذلك في (لاَ فِي نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ) بسـياق النّفي.

وإذا جيء بالتّقديم، هنا، لملحظ تحقيق النّاتج القصري، كيف ينسجم وصناعته في البحـث النّحوي؟ وهو يخالف مقولـة الذّوقي، والحسّ الفنّي في البلاغيّ، دون الجملة الثانيـة. والّـذي يبدو من الظّاهر أنَّه - على الرّغم من ذلك - قد حقّق ناتجاً في التّعبير، وقصَر المعنى قصراً حقيقيّاً قصْر صفة على موصوف على واقع الحال، والدّليل صورة العطـف بالـواو الّتي أشركت الجملتين بالدّلالة في تكامل معنويّ بين قضيتين لموضوعٍ واحدٍ في دلالتين.

ولـو لـم يكن التّقديم - هنـا - على وجوبه في الأولى وجـوازه في الثانية، لم يتحقّق المطلـب في الإثبـات الـكليّ؛ لأنّه في الوضـع الأولي قبـل التّحويل إلى ذوق بنيـة التّقديم والتأخير يظهر أنّ هنالك أموراً أخرى جائزة عليه حاشـاه سـبحانه.

والحاصل، إذن، هو نفي في الظّاهر مراد منه الإثبات، ليس غير ذلك.

وإذا جئنا إلى مرادنا في التّركيب، نجده بمثابة جواب لسـؤال قد اختلج في خلد المتكلّم في ثنائية الحوار في الخطاب الوجداني، في: مَن يكون كذلك؟ فيأتي الجواب مع بيان حالة الإنسانيّة، (إِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ)، في سياقه الفعليّ المستمر (يعجل، يحتاج) المُقرّر في استعمال فاعله، الاسم الموصول المشترك (مَن) في الأولى والمعرف بـ (أل) الكلّيّة أو الجنسيّة (الضعيف) في الثانية، لإجلاء الموقف الدّلاليّ في مدرج الإثبات مع عدم القول بالنّفي؛ لأنّه لا يكون متصوّراً في الذّهن.

والدليل على ذلك ما جاء بعده من النّفي السياقيّ لذلك المفهوم المتوّهم في التصوّر، قولـه «عليه السلام»: (وَقَـدْ تَعَالَيْتَ يَا إِلهِي عَنْ ذلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً)، فهو تأكيد لنفي النّفي الّذي

١ - ينظر: شرح الكافية؛ الرضي: ١٦٣/٤.

يقـود بالنتيجـة إلى الإثبات، فثبات ظاهرٍ ونفي باطنٍ، ونفي المنفي بالظّاهر يؤدّي إلى تأكيد الظّاهر، والمحصّلة هي توكيد الإثبات بطريقة أسـلوبيّة من بنى تركيبة متعددة عنوانها دلالة السّياق العبادي (التنزيه والتقديس).

وبعبارة أخرى في التّعداد تكون علـى الفرضيّة، هكـذا:

١- النّفي والإثبات، المقدّمة الأولى ــ ذوقيّة في الميدان القصريّ.

٢- الإثبات والنّفي، المقدّمة الثانية ــ وضعيَّة ـــ ذوقيَّة.

٣- نفي النّفي، المقدّمة الثالثة ـــ سياقيّة.

٤- إثبات. النتيجة.

فالنّصّ كلّه بنية قصريّة ذات تراكم قصريّ جدليّ واحد، في أشكالٍ صياغيّةٍ متعدّدة.

وكـي نـوفّي التّركيب حقّه من التّحليـل، يبقى منّا الالتفات إلى مكوناته الإسـناديّة، وتشـكيلاتها القصريّة، ومعاينة ما يطرأ عليها مـن بِنًى دلاليّة أخرى.

لقـد تسـلّطت بنية بلاغيّة قصريّة هي: التّقديم والتأخـير، بما تحمل من عبق دلاليّ قائم على التفنّن الذّوقي، وحسـن التَّصرُّف فـي الأداء، على عنصري القصر: المقصور والمقصـور عليه، في إطار وضعيّ بطريق (إنّمـا)، قوله «عليه السلام»: (إنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيـفُ)، وأنتجـت مهمّة دلاليّة أخرى في مغزى جدليّة القصر، تسـتند إلى مجموعة من الإجراءات التحويليّـة بالأصل؛ وصولاً إلى مبلغه القصدي.

فقـد قـدّم الجـارّ والمجـرور (إلى الظّلـمِ) مبلغ الاحتياج عـلى الفاعـل (الضّعيفُ)؛ لنقصه، وأفاد بذلك التّكوين تخصيص الاحتياج به، ونفاه عن غيره بفحوى الخطاب.

ولـو جـاء التّركيب بلا تقديم، وقال: يحتاج الضّعيـف إلى الظّلم، لأفاد بالمفهوم أن

الضّعيف وغيره ممكن أن يكونا في موطن الاحتياج والنقص إلى الظّلم وسواه، بيد أنَّه لم يفعل، فقطع الاحتمالية بالتّخصيص، بوساطة بنية التَّقديم والتَّأخير.

ثم جعل المستوى الذّوقيّ ودلالته التناقضية منطوقاً ومفهوماً بفحوى الخطاب، في إطار وضعي آخر، واستعمل من الأشكال القصريّة (إنّما)، فقال «عليه السلام»: (إنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى الظُّلْمِ الضَّعِيفُ)، بتحولاته الأسلوبيّة، وكون بذلك تفاعلاً جدليّاً في الذّوق والوضع بمنحى دلالي شائع في الحال، بيّن في الواقع، ولو قال: إنّما يحتاج الضّعيف إلى الظّلم. لكان الناتج الدّلالي هو قصر الفاعل على شبه الجملة (إلى الظّلم)، ونفاه بالمفهوم عن غير ذلك من الأشياء الّتي قد تقع في سياق الشّعور بالنقص الإنسانيّ، أي: كون الاحتياج مقصوراً على الظلم فحسب، على حين أنَّه في التقديم والتأخير أدّى ناتجاً داخلياً مخالفاً للأصل قبل التّحويل، فقصر احتياج الظّلم، المقصور، على (الضّعيف) الفاعل، المقصور عليه، قصْراً حقيقيّاً بشهادة الأمر، وبرهان الواقع الإنسانيّ، قصْرَ صفةٍ على موصوف، ونفاه عن غيره نفياً حقيقياً؛ لأنّ غير (الضّعيف)، لا يحتاج إلى متعلّق الإسناد الجارّ والمجرور (إلى الظلمِ) طبعاً.

ومن هنالك ندرك عدميّة مجامعة القصر بـ (إنّما) للعطف بـ (لا) في تواشج نصيّ خاصّ، إذ إنّ فرضية القول: إنّما يحتاج إلى الظّلمِ الضّعيفُ الجاهلُ لا القوي العاقل، غير ممكنة في التّصوّر؛ لأنّ غاية الاحتياج إلى الظّلم خاصّة بالجاهل الضّعيف، الذي يسعى إلى الكامل بأي طريق لسدّ الإحساس بالنّقص الّذي عنده، وليس كذلك العاقل العارف المؤمن؛ لذلك لم يتأتِ النّفي بصراحة التّركيب بالعطف المقابل لما بعد (لا)، وإنّما جاء القصر بشكل فاعليّة (إنّما) في وضعها الوظيفي لذلك القصد البلاغي.

وبعد، لقد حقّقت (إنّما)، هنا، غاية الدّلالة في الأدب الدعائي، وقصارى المعنى في الفن البلاغيّ، في عدم التّصريح بما هو من الممكن أن يُتَصوّر بالمفهوم في فحوى

الخطاب، في الذّوق بتشكيلة بنية القصر بالتقديم، أو في الوضع بآليـة (إنّما)، وهو الأمر الّـذي يقود إلى الإثبـات، كما تحقّق لنا من التّحليل المتقدّم.

• قوله «عليه السلام» فـي المظهـر الثانـي:

ـ (وَإِنَّمَا أُوبِّخُ بِهَذا نَفْسي طَمَعـاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَـا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَـكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ) [١].

ـ (وَإِنَّمَا تَأَنَّيْتَ بهمْ لِيَفِيئُوا إِلَى أَمْرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ،...) [٢].

يمثِّل النّصّ نسـيجاً متكاتفاً في أسـلوبه، منسـجماً في فقراتـه، متناغماً في وحداته، متعاطياً في أفكاره في الإظهار والإضمار في جدلٍ، مظهره في الإمكان النّصّ الثاني، وعلى الفرض - قوله: (عَـادَتُكَ الإحْسَـانُ إِلَى الْمُسِيئِينَ، وَسُنَّتُـكَ الإبْقَـاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ، وَصَدَّهُمْ إِمْهَالُكَ عَن النُّزُوعِ. وَإِنَّمَا تَأَنَّيْتَ بهمْ لِيَفِيئُوا إِلَى أَمْـرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُـمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ،...) [٣]. - في بعده العطفي في اللطف الإلهي، يكوّن قصراً يتفجّر معنًى في دلالته، كبيراً في مضمونه، بلاغيّاً في أهدافه ومراميه.

ومفتاحنـا في الدّخول إليه هو الاسـتعمال في (إنّما) من قولـه «عليه السلام»: (وَإِنَّمَا أُوبِّخُ بِهَـذا نَفْسي طَمَعـاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَـا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَـاءً لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَـكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ)، وقوله «عليه السلام»: (وَإِنَّمَا تَأَنَّيْتَ بهمْ لِيَفِيئُوا إِلَى أَمْرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ،...).

ففـي التركيـب [٤] الثاني نجده «عليه السلام» قد قصر أناته: إمهاله، سـبحانه للإنسـانية

١ ـ الصّحيفة السجّاديّة: ٧٠.
٢ ـ المصدر نفسه: ١٨٢.
٣ ـ المصدر نفسه: ١٨٢.
٤ ـ لقـد قمـت بإجـراء التّحليـل على وفـق النّصّ وسـياقه ككلّ؛ لبيـان الغرض الـدلاليّ، إذ ليس لي أن أقطـع التركيـب منه بوصفه وحدة مسـتقلّة عن مكوناته الأخريات، ولاسـيّما سـياقه الّتي ولدت منه فيه.

الظّالمة على إفاءتهم لغرض رجوعهم عن المعصية والابتعاد عنها إلى التوبة، وكفهم ونزوعم عن الخطيئة إلى الاستغفار وعدم الإصرار، في معنى: ما تأنّيت بهم إلا ليفيئوا إلى طاعتك وامتثال أمرك، قصراً على ما هو الشأن المعروف البيّن من رحمته ولطفه وشفقته عليهم سبحانه (عَادَتُكَ الإحْسَانُ إلَى الْمُسِيئِينَ، وَسُنَّتُكَ الإبْقَاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ).

ودفع بذلك ما يمكن أن يكون (ظاهر الكلام يوهم أن أناته تعالى لهم وإمهاله لهم، سبباً لغرورهم وصدّهم ...) [١] (حَتَّى لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ، وَصَدَّهُمْ إمْهَالُكَ عَن النُّزُوعِ)، بصراحة التّركيب دون ما نفي، فكانت بذلك (إنما) في سياقها كأنّها جواب في اختبار لسؤال في النفس يفصح عنه الترتيب الفكري للنصّ نفسه في سياقه الناتج عنه، لماذا كان التأنّي والإمهال من الخالق سبحانه للمخلوق؟

فكان الجواب بـ (إنَّمَا تَأَنَّيْتَ بهمْ لِيَفِيئُوا إلَى أَمْرِكَ،...)، إذ إنّ (غرض العناية الإلهية سوق كلّ ناقص إلى كماله، فكان الغرض من التأني لهم، إنّما هو طلب خلاصهم واستعدادهم لما ينالون به كرامته بالرجوع من ظلمات الجهل وورطات المعاصي.

وإمهاله وانظاره إياهم لوثوقه بدوام ملكه، فلم يعاجلهم بالانتقام، إذ كانت المعاجلة من شأن من يخاف الفوت، وأما من كان واثقاً بقدرته وتسلّطه على من يشاء، متى شاء، لا يخاف انقضاء مدّة سلطانه، و لا يخشى انتهاء زمان اقتداره، فلا داعي إلى المعاجلة، بل الأولى به إنظار مَن عصاه، وإمهال مَن ناواه، فإن فاء إلى الطاعة، ونزع عن المعصية، فبها وإلَّا فهو له بالمرصاد) [٢] سبحانه.

وبعدُ، إنّ النّصّ عبارة عن كتلة دلاليّة مكوّنة من مجموعة من الأشكال التّعبيرية في أوضاعها اللغوية المعهودة، ذات فكرة متراكمة في فحواها مؤطّرة بالكلّ، أجزاؤها

١ - رياض السالكين؛ علي المدني: ٦/٢٢٤.
٢ - المصدر نفسه: ٦/٢٢٤.

جملهـا، ومقدماتها نتائجها، وفاعلية (إنما) فيها تشـعّ منهـا في ضوء بنيتها البلاغية، لمراميهـا القصدية، هكذا النّصّ كلّه في التّرتيب:

١- (عَـادَتُكَ الإحْسَـانُ إلَى الْمُسِيئِينَ، وَسُنَّتُـكَ الإبْقَـاءُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ)... (إثبات). أمر ظاهر بين للعموم.

٢- (لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ، وَصَدَّهُمْ إمْهَالُكَ عَنِ النُّزُوعِ)... (إثبات). وهو أمر ظهر للإنسان من نفسه الأمارة بالسوء مع حركة الشيطان الرجيم.

٣- (إنَّمَـا تَأَنَّيْتَ بهِمْ لِيَفِيئُـوا إلَى أَمْرِكَ، وَأَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ)... - وهو مطلبنا- (إثبـات) في المسـتوى العمـودي الفوقي من الخطـاب، من دون {نفـي}، أمّا مع رؤية الخطّ الأفقي الإنسـاني، ففيه (نفي) قد رفع توّهماً كان متصوّراً من النقطة (٢)، في توكيد الحكـم وتقوية مضمونه، ليس غير ذلك.

وبنى من التّركيب نتيجة كلّيّة على أساس بنية الشكل القصري بـ (إنّما) وفاعليتها الدّلاليّة في الاستعمال بوصفها قاعدة مكوّنة من المعاني المتقدّمة، نتيجة كليّة هي ذيل النصّ نفسه، قوله «عليه السلام»:

٤- (فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّـعَادَةِ خَتَمْتَ لَهُ بِهَا، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّـقَاوَةِ خَذَلْتَهُ لَهَا، كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إلَى حُكْمِكَ وَأُمُورُهُمْ آئِلَة إلَى أَمْـرِكَ،...) [١].

لقـد أنهـت وضعية (إنّما) القصد البلاغيّ في النّـصّ إلى منتهاه، وبلغت أقصى مداه في الأدب مـن دون ذكـر الطرف المقابل في المفهـوم؛ لأنّه لا يوازي المذكور في الصراحة على بيانه في الرحمة واللطف الإلهي.

ومن هنا، نشعر أنّ السياق لو لوحظت فيه المشاهدة الحياتية - وهي ليست بعيدة

١ - الصّحيفة السّجّاديّة: ١٨٢.

عنه - والسلوك الإنسانيّ، لوجدنا فيه (في النّصّ) دلالة أخرى يوحي بها التّركيب، ويشير إلى ما يقتضيه مؤدّاه، وهي دلالة التّعريض بهذه النّفس الأمّارة بالسوء، إلَّا ما رحم ربّيّ، وتوبيخها لعدم رجوعها ونزوعها وكفّها عن المعاصي والآثام، وشاهده في ذلك مقولة النّصّ الثاني: (وَإِنَّمَا أُوبِّخُ بِهَذا نَفْسِي طَمَعاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ) في حيز الواقع الإنساني بوصف هذه النصوص رسائل للخطاب الجماعي في الوعظ والإرشاد في جانب معين ممكن إدراكه في ملحوظ أخر، ...

فالقصْر فيه تلويح بما هو اقتضاء الكلام في أنّ هذه الأناة الإلهية، والانتظار الرّبانيّ الرحيم، وعدم معاجلته سبحانه، في عقوبتك أيّها العبد العاصي، هو رحمة بك منه سبحانه، وتفضلاً منه عليك وحبّه للعفو عنك (وَلَيْسَ ذلكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ بَلْ تَأَنِّياً مِنْكَ لِي، وَتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ، لانْ أَرْتَدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسْخِطَةِ وَأُقْلِعَ عَنْ سَيِّئَاتِي الْمُخْلِقَةِ وَلاِنَّ عَفْوَكَ عَنّي أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي،...)، إذن، متى يكون منك - أيّها العبد استجابة؟ ومتى يكون منك ردع للتي هي أعدى أعدائك بين جنبيك؟!...

وكأنّي في الخطاب ينزل النّفس العارفة من فرط غرورها وتكبّرها وعدم مسابقة الزّمن في الطّاعة والنزوع، منزلة الجاهلة في الحكم بذلك الأمر البيّن الظّاهر، فيأتي التّوكيد ببنيةٍ تفيد ما تقدّم من الدّلالة، وليس لها من دونها مسلك آخر في التعبير، وهي فاعلية (إنّما) وسلوكها الوظيفي المتنفّذ في تأدية القصد في سياقات بعيدةٍ، أو قريبة عن القصة الّتي في الدّعاء.

وأمَّا في التَّركيب الأوّل (إِنَّمَا أُوبِّخُ بِهَذا نَفْسِي طَمَعاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ)، فقد قصَر التّوبيخ بذلك التّعداد في تراكم الذّنوب، وكثرة الخطايا على مبعدها من الإحصاء عنده، بسببٍ مبعثه الطّمع في رأفته، والرجاء في رحمته، عزّ وجلّ، على (النّفس) في خصوصها

الذّاتي (الدّاعي نفسه)، كُلاً وجنساً، في عمومها الإنسانيّ، قصراً حقيقياً في مبالغته التّحقيقية على واقع الأمر وشأن الحال، مع عدم رؤية سواها في المقام؛ لأنّها ليست منظورة في خلجات نفسٍ بفكر طالب واعٍ، أو قلب مريد داعٍ، بعد ما ذكر من التقصير وعدد بالاعتراف والإقرار من الذّنوب، والأفعال المخلقة في حقّه، جلّ وعلا، وخصّصه بها، خلافاً لمقول: إنّ (توجيهه إلى المفعول لأجله، أعني طمعاً، على معنى ما أوبخ بهذا نفسي إلا طمعاً. وأما توجهه إلى قيد الفعل أو إلى المفعول به فلا يصحّ، إذ ليس الغرض ما أوبّخ نفسي إلَّا بهذا لا بغيره، ولا ما أوبّخ بهذا إلا نفسي لا غيرها) [١].

والدّليل على ذلك التّخصيص - في أيسره - منطقيّة الوجوب القاعدي في التّرتيب الأفقي، في القصد البلاغيّ الّذي يتّخذه ركنا البنية القصرية: المقصور والمقصور عليه، فالأول ما يلي الأداة مباشرة، أمّا الثاني، فهو ما وجب أن يكون مؤخّراً عنها، عموماً في مستوى الوضع، وعلى ذلك تكون (النفس) هي المقصور عليه، هنا؛ لمقاصد، وهو ما ينسجم ورؤية الاختصاص فيما تتضمنه (إنَّما)، من (النّفي والاستثناء)، والشّكل في البنيتين: (إنّما أوبّخ بهذا نفسي؛...)، (ما أوبّخ بهذا إلا نفسي؛.. ) والمخصوص به وهو (النّفس)، والمفهوم (النّفي)، في الممكن، من التّركيبين واحد في كلّ منهما في البنية العميقة مع اختلاف الدّلالة والمؤدّى القصريّ في سطحهما، صياغة وشكلاً، قطعاً.

وإذا تقرّر أنّ (النفس) قد وقعت مؤخّرة بعد الأداة (إلَّا)، وعلى ما في التّضمّن منها لـ(إنّما)، تعينت (النّفس) أن تكون هي المقصور عليه؛ (لاستحالة أن يحدث معنى الحرف في الكلمة قبل أن يجيء الحرف) [٢]. ولأنّ القصر أثر من آثار ( «إلا» وأثر الحرف لا يحصل إلَّا بعده، ولا يكون حاصلاً قبله فالحصر إنّما يتناول ما بعد «إلا» ) [٣].

١ - رياض السالكين؛ علي المدني: ٣/١٥٠.
٢ - دلائل الإعجاز: ٨٣.
٣ - الطّراز؛ العلوي: ٣٠٤.

وقد يُقال: إنّ المفعول لأجله (طمعاً، رجاءً)، وقد وقع مؤخّراً، مناسباً في المستوى العميق لوقوع (النفس) تالياً لها، لماذا لا يكون مقصوّراً عليه، غير النّفس؟

والجواب عنه، وضعاً ودلالةً، أنّ المفعول له واقع في وظيفة ما له في تعليل خاصّ للحدث بعد قضيّة الإسناد (الحكم)، أمّا معناه، فقد يقع ما قبل الحدث - في بعض أنواعه [1] - وهو هنا متحقّق ومتصوّر قبل الحدث، وإن كان متأخّراً عنه في التلفّظ، والإسناد، لأنّه علّة غائيّة له ومبعث حصوله، لا أنَّه هو المقصور عليه.

ثمّ كيف يكون منا أن نتصوّر في التّركيب أنّ التوبيخَ النّفسي مقصور على الطّمع،... بمعنى: ما أوبّخ نفسي إلا طمعاً،...؟! وكأنّ النّفس هنا لا توبّخ، ولا تحاسب، ولا تعنّف ولا تردع إلَّا لهذا الغرض دون غيره من الأهداف التربوية الأخرى،... على حين أنّ نوعية التّوبيخ في المفترض السلوكي في مسالك العرفان الرّباني واجبة بعلّة في طمع ورجاء أم بسواهما.

وعلى ذلك يكون القصر واقع على النفس، من دون مفهوم لملحظ غيرها في الطّلب العبادي، أي: أنّ القصر حاصل بتخصيصه على (النفس) المفعول به دون سواها من المقيدات الأخرى؛ لغرض في دلالة هامشّية في الظّرف السياقيّ، وهي إظهار مزيد من الضعف والتذلل والاستحقار...

وبحرف أخر نقول: إنّ تخصيص الإطلاق (التّوبيخ) في المطلق من ذلك التعدد وعدم الإحصاء الذنبي، المقيّد بالمقصور عليه، (النفس) كأنّه قصر مطلق على تقييده بالمفعول به، قائم على مرتكز الرغبة قبل تكوّين مضمونه الإسناديّ وتخصيصه الدّلاليّ في الطّمع والرجاء، المفعوليّة من أجلها، لا على أنَّه مقصور عليه؛ لأنّه علّته الغائيّة الحاملة على إنشاء التّركيب، ومبعث فكرته القصريّة.

١ - الطّراز؛ العلوي: ٣٠٤.

ويبقى في خلدنا خاطر أنّ بنية الجارّ والمجرور (بهذا) في التّركيب على سعته وعظمته بإنزال الكبير البعيد (الذّنوب التي اقتُرِفَت) منزلة القريب من النّفس لشدّة الالتصاق بها، قد أعطت في التّقديم مذاقاً دلاليّاً، وحلاوة معنوية لم تكن مستذاقة ما لو كانت على غير ما جاءت عليه. فلو قال: إنّما أوبّخ نفسي بهذا،.. وقدّم القيد المفرد المفعول (النّفس) على المركّب الجارّ والمجرور (بهذا)، لكانت الإشارة مقصوراً عليه، والتّخصيص مبنياً على السببيّة في سبب التّوبيخ، لا على المسبّب له - وهو النّفس - بوساطة الخطايا والذّنوب - على الرّغم من أنّ الحديث - هنا - هو النّفس، وما فعل القصر فيها - أي: أنّ التّوبيخ النّفسيّ بهذه الذّنوب مقصور على سببها، لا بشيء أو سبب آخر... وإذا لم يكن فـ (النّفس الجنوح) والحالة هذه لا توبّخ،... كيف ذلك وقوله تعالى: (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) [١]، أو قوله «عليه السلام»، في مناجاة الشّاكين: (إِلهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإِلَى الْخَطِيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصِيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسالِكَ الْمَهالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالِك، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ طَوِيلَةَ الاَمَلِ، إِنْ مَسَّها الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ) [٢].

لا بل قد يُفهم من النّفي الضّمني، على فرض وجوده، في كون عدمه يوجب لها عدم التّوبيخ، بل ما تستحقّ من المثوبة والجزاء الحسن،... إنّ ذلك لا يمكن أن يُتصوّر في سياق دعاء، الغرضُ منه إظهار نوع من الضّعف والتذلل، وعدم القدرة على إحصاء الخطايا والذّنوب؛ لكثرتها،... والشّعور بعظمة الخالق بمنّه، وتفضّله وتكرّمه بالعفو والرّحمة... بل أنّى يمكن لنا أن نتصوّر ما هي عليه من الاستحقاق، في قوله «عليه السلام» في ذيل النّصّ، من الدّعاء نفسه (يَا إِلهِي لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّى تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتَّى يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّى تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّى يَنْخَلِعَ

١ - سورة يوسف: ٥٣.
٢ - الصّحيفة السّجّاديّة: ٢٥٥-٢٥٦.

صُلْبِي، وَسَـجَدْتُ لَكَ حَتَّى تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الأَرْضِ طُولَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَـاءَ الرَّمَـادِ آخِرَ دَهْرِي وَذَكَرْتُكَ فِي خِلاَلِ ذَلِكَ حَتَّى يَكِلَّ لِسَـانِي ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَى آفَاقِ السَّـمَاءِ اسْـتِحْيَاءً مِنْكَ مَا اسْـتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِـدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي، وَإِنْ كُنْتَ تَغْفِـرُ لِي حِيْنَ أَسْـتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ أَسْـتَحِقُّ عَفْوَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِيْ بِاسْتِحْقَاقٍ، وَلا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِـاسْتِيجَابٍ إِذْ كَـانَ جَزَائِي مِنْـكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّـارَ; فَإِنْ تُعَذِّبْنِي، فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِيْ) [١].

فالتّركيـب، إذن، تخصيصـه متفاعل مـن مُكوِّنين: نحـويّ في مبدئه، وبلاغيّ في قـصره، وتحولّه الداخليّ، تقديماً وتأخيراً، في الجارّ والمجرور على المفعول به، منتجٌ لمبتغـى قصده الـدّلاليّ، كما تقدّم.

وبعـدُ، فأقـول: إنّ النّـصّ بمـا يحمل من بعْدٍ لـرام في ثنائيّة الخطاب، مسـتند إلى (أَنْـتَ المَـوْلَى، وَأَنَا العَبْـدُ،... أَنْتَ الخَالِقُ وَأَنَا المَخْلُوقُ،...) [٢]، فـي إظهار رحمة الرّب الكريم، ولطفه العميم، سـبحانه، مقارنة بفعل الإنسان (العبد) العاصي المشين، عبارة عن منظومة لسلسـلة فكريّة في مقولة الاسـتفهام، في تسـاؤل متصوّر، ضمناً (لماذا)، من بنية ظاهره، والحرف (إنّما) فيه الفاعل الدّلاليّ في الإجابة عنها علانيّة وبياناً، مع اختزال تفصيل متقدّم وإجماله بالإشـارة، أي: أنّ النّصّ كلّه في سـياقه بدلالة التّذليل والتّوبيـخ النفسيّ، مفاده في المفهوم مع عمق مسـتواه الباطني، في درجات التّسـاؤل: لمـاذا تسـبّح؟ أظهر التّعظيم للربّ سـبحانه، وأوبّخ بذلك جمـوح نفسي بتعداد ذنبي، ظاهـراً وباطناً، والاعتراف بجرمي. ولماذا يزداد التّعجب منك؟ أُعرّض بنفسي، وأشّـد عليهـا للتّوبـة، وأبيّن لها حكمة خالقي في تأنّيه، وعدم معاجلته لها بالانتقام، وأشـهد أنّ عفوه سـبحانه، أحبّ إليه من عذابها؛ لأنّه رحيم بي، وليس لي كرامة عليه، بل هو فضل عليَّ منه سـبحانه. ولماذا تعدّد من الذّنوب؟ وهل تسـتطيع...؟! وهكذا... وكأنّي

١ ـ المصدر نفسه: ٧٠-٧١.
٢ ـ المصدر نفسه: ٢٤٠.

بـه يُصـوّر موقف دعاء القائل: (اللَّهمَّ إنّ عَفْوَكَ عَن ذَنْبي، وَتَجَاوزَك عَن خَطيئَتي، وصَفْحَـكَ عَن ظُلْمي، وَسـتْرَكَ عَلَى قَبيْح عَمَـلي، وَحِلْمَكَ عَن كَثيْر جُرْمي، عِنْدَمَا كَانَ مِـنْ خَطَئي وَعَمْدي، أَطْمَعَني في أَنْ أَسْـأَلَكَ مَا لا أَسْـتَوْجبُهُ مِنْـكَ الَّذي رَزَقْتَني من رحْمَتِـكَ، وَأَرَيْتَني مِنْ قُدْرَتِـكَ، وَعَرَّفْتَني مِنْ إجَابَتِكَ، فَصُرْتُ أَدْعُوكَ آمنًا وَأَسْـأَلُكَ مُسْتَأْنِسًـا، لا خَائفًـا وَلا وَجِـلاً، مُـدِلاًّ عَلَيْكَ فِيْمَا قَصَـدْتُ فِيْهِ إلَيْكَ، فَـإِنْ أَبْطَأ عَنِّي عَتَبْـتُ بِجَهْـلي عَلَيْـكَ، وَلَعَلَّ الَّـذي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَـيرٌ لي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَـةِ الأُمُور، فَلَمْ أَرَى مَـوْلىً كَرِيْمًـا أَصْـبرَ عَـلَى عَبْدٍ لَئِيْـم مِنْكَ عَلَيَّ يَـا رَبِّ إنَّكَ تَدْعُونِي فَـأُولِّي عَنْكَ، وَتَتَحَبَّـبُ إلَيَّ فَأَتَبَغَّـض إلَيْكَ، وَتَتَـوَدَّدُ إلَيَّ فَلا أَقْبَلُ مِنْكَ، كَأَنَّ لِيَ التَّطَـوّلَ عَلَيْكَ، فَلَمْ يَمْنَعْـكَ ذَلِـكَ مِـنَ الرَّحْمَةِ لي الإحْسَـانِ إلَيَّ وَالتَّفَضُّل عَـلَيَّ بِجُوْدِكَ وَكَرَمِـكَ، فَارْحَمْ عَبْـدَكَ الجَاهِـلَ وَجُدْ عَلَيْهِ بِفَضْلِ إحْسَـانِكَ، إنَّكَ جَوَادٌ كَرِيْمٌ) [١].

وبعـدَ كلّ هـذا الجـدل، في فرض من مسـتواه الأفقـي، وبلمحـظ الباطن، تأتي فاعليّـة الجـواب الـدّلالي بـ (وَإنَّمَا أُوبِّـخُ بِهَذا نَفْسي؛...) من دعائـه «عليه السلام»؛ لتؤكّد الأجوبة الضمنيّة في الظّهور وبعلانية، ثمّ تتضمّن، وهي في التّركيب، أيضاً، سـؤال علّـة الإنشـاء الإسـناديّ المقيّـد بالمفعوليّـة (النّفـس) في فاعليتهـا البلاغيّـة في بنية الإسـناد القصريّ: لمـاذا تقْصر التّوبيخ عـلى النّفس؟ فيأتي سـبب متّصوّر قبلها في الجواب يحيط بسـياق النّصّ كلّه، من أوّله إلى آخره: (طَمَعـاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَـا صَـلاَحُ أَمْـرِ الْمُذْنِبِـينَ، وَرَجَـاءً لِرَحْمَتِـكَ الَّتِي بِهَا فَـكَاكُ رِقَـابِ الْخَاطِئِينَ)، أي: في تحصيـل المطلـوب الغائـيّ، المفعول له (طمعاً) في العاجـل، و(رجاءً) في الآجل، من ذلك القصر على النّفس الإمّارة بالسّـوء إلّا ما رحم ربّي تعالـى شـأنه.

١ - دعاء الافتتاح؛ عن مفاتيح الجنان؛ الشيخ عباس القمّي: ١٩٨.

# قائمة المصادر والمراجع


١. القُرآنُ الكَريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، (د، ت).

٣. ارتشاف الضّرب من لسان العرب؛ أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمّد، مراجعة: د. رمضان عبد التوّاب، ط١، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤. الأزهية في علم الحروف؛ الهروي (علي بن محمد النحوي، ت٤١٥هـ)، تح: عبد المعين الملّوحي، (د. د. ن)، ١٩٧١م.

٥. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة؛ الجرجاني (ركن الدين محمد بن علي، ت ٧٢٩هـ)، علّق عليه، ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٢م.

٦. الأشباه والنظائر في النّحو؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، وضع حواشيه: غريد الشيخ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

٧. أصول الفقه؛ تأليف: الشيخ محمّد رضا المظفّر، ط ٣، بغداد، ١٩٧١م.

٨. الأصول في النحو؛ ابن السرّاج (أبو بكر محمّد بن سهل النحوي، ت ٣١٦هـ)، تح:

د. عبد الحسين الفتلي، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك؛ ابن هشام الأنصاري (جمالُ الدّينِ عَبْدُ اللهِ بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تح: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤م.

١٠. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ (مُحمّد بن عبد الرحمن، ت ٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلّيّة اللُّغة العربيّة بالجامع الأزهر، مطبعة السّنّة المحمديّة، القاهرة، (د، ت).

١١. البحث النّحويّ عند الأصوليّين، تأليف: د. مصطفى جمال الدين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

١٢. البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي (بدر الدين مُحمّد بن عبد الله، ت ٧٩٤هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكُتُب العلميّة، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٣. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ابن الزملكاني، ت ٦٥١هـ، تح: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٤م.

١٤. التّراكيب النّحويّة من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجاني؛ تأليف: د. عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، المملكة السعودية، (د. ت).

١٥. التّصوّر اللغويّ عِنْدَ الأصوليّين؛ تأليف: د. السيد أحمد عبد الغفار، ط١، دار المعرفة الجامعة، ١٩٨١م.

١٦. الجنى الداني في حروف المعاني؛ المرادي (الحسن بن القاسم المرادي، ت ٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمّد نديم فاضل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٢م.

١٧. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصّبان (أبو العرفان مُحَمّد بن عليّ، ت ١٢٠٦هـ)، تح: مُحَمّد بن الجميل، ط ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

١٨. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن، ت ٤٧٤هـ)، تح: السّيّد مُحمّد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

١٩. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (صلوات الله عليه)؛ تأليف: السيد علي خان المدني الشيرازي، ت١١٢٠هـ، تح: السّيد محسن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

٢٠. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن النّاظم (أبو عبد الله بدر الدين مُحَمّد بن مُحَمّد بن مالك، ت ٦٨٦هـ)، تح: مُحَمّد باسل عيون السود، ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

٢١. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني (نور الدين علي بن محمد الأشموني، ت ٩٠٠هـ)، تح: مُحَمّد بن الجميل، ط: ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٢. شرح التّسهيل، ابن مالك (أبو عبد الله مُحمّد جمال الدين، ٦٠٠- ٦٧٢هـ)، تح: عبد الرحمن السّيّد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.

٢٣. شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير): ابن عصفور الإشبيلي، ت ٦٦٩هـ، قدم له ووضع حواشيه: فوّاز الشعّار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٤. شرح شذور الذهب فِي معرفة كلام العرب؛ ابن هشام الأنصاري (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تح: محيي الدين عبد الحميد، ط٨، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م.

٢٥. شرح الكافية في النّحو، لابن الحاجب (جمال الدّين أبي عمرو عثمان بن عمر، ت٦٤٦هـ)، شرحه رضيّ الدين الاسترآباذي (مُحمّد بن الحسن، ت ٦٨٦هـ)، وضع هوامشه: د. أميل يعقوب؛ط١، مؤسسة التأريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٦. شرح المفصّل للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ابن يعيش (أبو البقاء موفق الدين بن

عـليّ، ت ٦٤٣هـ)، عالـم الكُتُب، بيروت، (د، ت).
٢٧. شروح التلخيص، مجموعة من الشّروح على تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، ت ٧٣٩هـ، وهي: عروس الأفراح، بهاء الدّين السبكي، ومواهب الفتاح؛ أبو يعقوب المغربي، والمختصر لسعد الدين التّفتازاني، وحاشية الدسوقي على شرح المختصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، (د، ت).
٢٨. الصَّحِيفَـة السَّـجَّادِيَّة الكاملـة، الإمـام زيـن العابديـن عليّ بن الحسـين (عليهما السّـلام)، تحقيـق وتنسـيق: علي أنصاريان، ط١، دمشـق، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٢٩. الطّراز المتضّمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ابن حمزة العلويّ اليمنيّ (يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم، ت ٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: مُحَمّد عبد السلام شاهين؛ ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣٠. علـم المعانـي، دراسـة بلاغيّـة ونقديّة لمسـائل المعاني، د. بسـيوني عبـد الفتاح فيّـود، ط٢، مؤسسـة المختار للنّشر والتّوزيع، دار المعالـم الثّقافيّة، الإحياء للنّشر والتّوزيع، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
٣١. كتاب سـيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السّـلام مُحمّد هارون، ط٣، مكتبـة الخانجي، مطبعة المدنيّ، القاهرة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٢. لوامع الأنوار العرشـية في شرح الصحيفة السـجادية؛ تأليف: السـيد محمد باقر الموسـوي الشـيرازي (ت١٢٤٠هـ)، صحّحه وقـدم له: مجيد هـادي زادة، ط١، مؤسسـة الزهراء (عليها السـلام)، الثقافية الدراسـية، إيران.
٣٣. المطوّل، شرح تلخيص مفتاح العلوم، التفتازاني (سـعد الدين مسـعود بن عمر ت ٧٩٢هـ)، تح: عبد الحسين الهنداوي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.
٣٤. معاني الحروف؛ الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى ت٣٨٤هـ)، حققه و وخرج حواشـيه، د. عبـد الفتاح إسـماعيل شـلبي، ط٢، مكتبـة الطالـب الجامعي، مكّة المكرمة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
٣٥. المعاني في ضوء أسـاليب القرآن؛ تأليف: د. عبد الفتاح لاشين، ط٢، دار المعارف،

مصر، ١٩٧٧م.

٣٦. معاني النّحو؛ تأليف الدّكتور فاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٧. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السّيوطيّ (أبو الفضل جلال الدّين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ)، ط١، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدّين، دار الكُتُب العلميّة بيرو ت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٣٨. مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريّ (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تحقيق وتعليق: د. مازن المبارك، د. مُحَمّد علي حمد الله، ط ١، مؤسسة الصّادق، طهران.

٣٩. المُغني فِي النّحو؛ اليمني (أبو الخير منصور النحوي، ت٦٨٠هـ)، تقديم وتحقيق: د. عبد الرزاق أسعد السعدي، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م.

٤٠. مفاتيح الجنان؛ الشيخ عباس القمي، ط٢، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧م.

٤١. مفتاح الأصول إِلَى علم الأصول؛ تأليف د. أحمد كاظم البهادلي، ط١، بغداد،١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٢. مفتاح العلوم، السّكاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، ت ٦٢٦هـ)، ط١، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠هـ.

٤٣. المقتصد في شرح الإيضاح؛ عيد القاهر الجرجاني، ت ٤٧٦هـ، تح: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

٤٤. المنطق؛ تأليف: الشيخ محمّد رضا المظفر، ط ٣، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ.

٤٥. نحو المعاني، تأليف: د. أحمد عبد السّتار الجواريّ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، بغداد، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤٦. نهايـة الإيجاز في دراية الإعجاز، فخـر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تح: د. محمد بـركات حمدي، د. إبراهيم السـامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٥م.

٤٧. همـع الهوامـع في شرح جمع الجوامع، السّـيوطيّ (جلال الديـن عبد الرحمن بـن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: عبـد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، (د، ت).

# المُكوِّن القَصْريّ الآخَر

## ١ـ ضَمير الفَصْل[١]

## مقاربة تحليليَّة في دلالة التّركيب القصريّ في الصّحيفة السّجّاديّة

### المُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على عباده الذين اصطفى، محمّدٍ وآلهِ مصابيح الدُّجى، وبعدُ:

هبْ أنَّ التّرَاكيب كُلّها ذوات دلالة في الإرادة، ولكن أنّى يمكن الكشفُ عن العقل الجمعيّ الّذي يُطْمَأنّ إليهِ في التّوجيه، على شموليّة الدّلالة، وعموميّة المعنى، وإنسانيّة الاستعمال لـه في التعبير ومواقفها من دون حصر...؟!

وإذا كان مدار التّحقيق في المرامي الدَّلاليَّة واقع في رحاب المرجعيّات، وقائم على

١ - بحث منشور في مجلة كلية التربية تصدر عن كلية التربية جامعة واسط للعلوم الإنسانية. العدد: ٥، ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، نيسان ٢٠٠٩م.

أُصولها ومبادئها الافتراضيّة والمكوّنات الاحتماليّة، فهل يمكن لنا أن نحملَ عليها قول إمامٍ معصوم كالإمام زين العابدين «عليه السلام»، على ما هو عليه في موسوعة الولاية، وهو يدعو ربّه سبحانه وتعالى؟.

إنَّ هذه محاولة للوقوف على الاستكمال الأدائيّ لتلك الرّموز الدّلاليّة في أسلبة القصر بالمؤسِس الآخر، سلباً أو إيجاباً، في نصّ حاز على صفة الامتياز الانفرادي، وخلود تمثيله الإنسانيّ، ألا وهو (الصّحيفة السّجّاديّة)، والبحث عن ما ورائيّة سطحها في المستوى العميق، برؤية قوامُها التّحليل ومرجعيّة الأصل الذي بُنيت عليه القاعدة، فأصبحت من المُسلّمات في الجمع الدّلاليّ، وكثافته المعنويّة، وتراكماته المقصديَّة.

## توطئة

إنَّ تنوّع الأساليب الفنّيّة، وتركيبها الإبداعي، وقصدها الدّلاليّ لا ينحصر في طرائق معيّنة فحسب، في الطّرائق الأربعة الّتي أقرّها البلاغيّون في أُسلوبيَّة القصر، وجماليته الفنّيّة الإبلاغيَّة؛ لذا جعل بعضهم طرقاً أخر تفيد ذلك، وهي: «ضمير الفصل، و تعريف الجزأين: المسند إليه والمسند»،- وهما مرادنا هاهنا - فكانت بذلك سبع طرائق [١].

والّذي يبدو أنَّ الاختلاف في هذه الأساليب - حاصلُه المقولة البلاغيّة الّتي تصدرها صاحبُ مفتاح العلوم، عندما قال: (وللقصر طرق أربعة) [٢]، ومظنّة الإشكاليّة الاحتمالية في قول القزويني (ت٧٣٩هـ) عند استعماله الحرف (مِن)، وإشارة التبعيض

١ - وهي طريق النفي والاستثناء، واستعمال (إنّما)، والعطف، والتّقديم والتأخير، وضمير الفصل، وتعريف المسند والمسند إليه. وينظر: المطوّل؛ التفتازاني: ٣٨٨، وعروس الأفراح؛ (ضمن شروح التلخيص):٣٨٦/١، وما بعدها، و:١٦٦/٢، والإتقان في علوم القرآن؛ السيوطي:١١١/٣، وحاشية الدّسوقي على شرح المختصر:١٨٦/٢.

٢ - مفتاح العلوم؛ السّكاكي: ٤٠٠.

مـع البيـان الذي فيه بقوله: (وللقصر طرق منهـا) [١]. في حدّ القصر وتعريفه بتنوّعه الأُسلوبيّ؛ لشيوعه إلى أمثلته المختلفة الّتي تُحْتَذَى في التّعبير، وتسلك في العطاء الدلاليّ.

وهـو الأمـر الّذي جعـل شرّاح التّلخيص يبذلون حمادى جهدهم في تفسـير عبارة نصّـه: (منهـا،... ومنهـا)، على وفق مرجعياتـه، مع ملحظ الأصـل الرّباعيّ في طرائق القـصر ورسـمه، يقول بهـاء الدّين السُـبكي (ت٧٧٣هـ): (القصر هـو الحصر، وهو تخصيـص أمـر بآخر بإحدى الطّـرق الأربع، كذا قالـوه...) [٢]. وهـو إيحاء إلى أصل المقولـة البلاغيّـة في طـرق القـصر الأربعة المتقدّمة، ثـمّ قال: (وسـيأتي أنّها أكثر من أربع...) [٣]، وعندما أوفى الطّرق ذكرها أشار إلى الّتي اُتفِق عليها، والّتي اُختلِف فيها، ومنها: ضمير الفصل، وتعريف المسـند إليه، والمسـند.

وقـد أفصَـح عن ذلـك، بياناً، قـول ابن يعقـوب المغربي (ت١١١٠هـ) حين قال: («وللقـصر طـرق» أي: أسـباب لفظيّـة تفيده، وهي كثـيرة، منها: تعريـف الجزأين، وفصـل المبتدأ بضمير الفصل، وقولك- مثلاً: جاء زيد نفسـه، وقولك: زيد مخصوص بالقيـام دون عمرو، والمذكور للمصنّف (يعنـي: القزويني) هنا أربعة، وإنّما لم يذكر غيرهـا لأنَّ الغـير إمّا أنَّه ليس معدوداً من طرق اصطلاحـاً كالتّأكيد المعنوي، كقولك: جاء زيد نفسه كما تقدَّم، وإمّا أنَّه مخصوص بالمسند كضمير الفصل، والأفيد ذكر ما يعـمّ... ولزيـادة الطّرق على الأربعـة، لم يقل في عدّها، وهي كذا وكذا، بل أتى في عدّها بـ(من) المقتضية للتبعيض، وإلى ذلك أشـار بقوله: (منها)، أي: من طرق القصر) [٤].

وتفصيـل القـول وشرحـه يُعـرب عن مدى إمـكان الالتـزام بالأصل فـي مدوّنة البحـث البلاغـيّ للطرق الأربعة، واحتمالية إفادة غيـرها على القصر، ومعناه الدّلاليّ،

١ - الإيضاح في علوم البلاغة:١/١٢٠.
٢ - عروس الأفراح: (ضمن شروح التلخيص):٢/١٦٦.
٣ - المصدر نفسه: ٢/١٦٦.
٤ - مواهب الفتّاح؛ ابن يعقوب المغربي؛ (ضمن شروح التلخيص):٢/١٨٦.

يقول سعد الدّين التفتازاني (ت٧٩٢هـ): (قد يحصل القصر بتوسيط ضمير الفصل وتعريف المسند، ونحو قولك: زيد مقصور على القيام ومخصوص به، وما أشبه ذلك، فكأنّهم جعلوا القصر بحسب الاصطلاح عبارة عن تخصيص يكون بطريق من هذه الطّرق الأربعة، ويمكن أن يجعل الفصل وتعريف المسند أيضاً من طرق القصر، لكن ترك ذكرهما (يعني القزويني) هاهنا، لاختصاصهما بما بين المسند إليه والمسند مع التّعرّض لهما فيما سبق بخلاف العطف والتّقديم، فإنّهما وإن سبق ذكرهما لكنّهما يعمّان غير المسند إليه والمسند... وكان في قول المصنّف: منها ومنها دون أن يقول الأوّل والثّاني إيماء إلى هذا) [١].

وعند قراءة النّصوص المتقدّمة، وتصفّحها للكشف عن مرجعياتها وأُسسها في النتائج والتّوجيه، يتبيّن لنا ما يأتي:

١- كثرة الطّرق الّتي تفيد القصر، ومنها: تعريف المسند إليه والمسند، وضمير الفصل.

٢- خروج الأنماط غير الاصطلاحيّة، وهي طرق الحصر اللّغوي وأساليب التّوكيد.

٣- يمكن أن يكون ضمير الفصل، وتعريف الجزأينِ: (المسند والمسند إليه) ضمن دائرة التّعريف الاصطلاحي على أنّهما من طرقه.

٤- اختصاص الفصل، وتعريف المسندين: (المسند والمسند إليه) في أبوابهما المتقدّمة في المنهج البلاغيّ مانع من ذكرهما في باب القصر.

وهذا لا يعني: أنَّهما لا يدخلان في الحدّ الاصطلاحي، أو إمكان ذلك في الاحتماليَّة والتَّوجيه.

٥- أنَّ الطّرائق الأربع: «النّفي والاستثناء، واستعمال (إنّما)، والعطف والتّقديم» تتّصف بالشموليّة والعموميّة في الاستعمال في ميدان الجملة عُمَداً ومكمِّلات، وهو

١ - المطوّل: ٣٨٨.

أمر لا ينسجم وخصوصية ضمير الفصل وتعريف الجزأين: «المسند إليه والمسند».

وهذا فيه نظرٌ؛ ذلك أنّ ضمير الفصل قد يفيد تأكيد الجملة - في بعض فوائده - ممّا يجعله من خصائص الإسناد؛ (لأنّه توكيد للحكم كما جعل التأكيد من اعتباراته، ودخوله في وسط الكلام لا ينافي ذلك كما أنّ لام الابتداء تدخل بين المسند إليه والمسند، والتأكيد بها من اعتبارات الإسناد) [١].

وعلى هذا ففائدته (ترجع إليهما (أي: المسند إليه والمسند) جميعاً؛ لأنه يجعل أحدهما مخصّصاً ومقصوراً، والآخر مخصّصاً به ومقصوراً عليه) [٢].

وأمّا اختصاصه بالمسند إليه وأحواله في أنَّه يقترن به ويليه، فهو من جهة تخصيصه بالمسند؛ (لأنّ الفصل تخصيص المسند إليه بالمسند، فالفصل مخصِّص (بالكسر) والمسند إليه مخصَّص (بالفتح)، والمسند مخصّص به، فأثر الفصل معنى يتعدّى منه إلى المسند إليه ويصير قائماً بالمسند إليه، فعُلِم أنّ نسبته إلى المسند إليه أولى) [٣].

فضلاً عن ذلك أنَّ الفصل له شروط في الاستعمال، منها: كونه يتوسّط بين المبتدأ أو ما أصله كذلك. وهذا يجعله مستعملاً في دائرة الإسناد عُمَداً ومُقيِّدات، فضلاً عن تنوّعاته الأسلوبيّة في كونه يأتي في الإسنادين: الاسمي؛ كقولنا: محمّد هو القائم، والفعلي؛ محمّد هو يقوم، يقول القزويني (ت٧٣٩هـ): (وأمّا توسّط ضمير الفصل بينه وبين المسند فلتخصصه به، كقولك: زيد هو المنطلق، أو هو أفضل من عمرو، أو هو خير منه، أو هو يذهب) [٤]، وقال البابرتي (ت٧٨٦هـ): (إذا أريد التخصيص بالفصل، يحتاج إليه، لأنّ مطلق التخصيص لا يحتاج إليه لتعدّد طرقه...)*، ثمّ قال: (والفصل إنّما يحتاج إليه إذا كان الخبر معرفة... أو

١ - عروس الأفراح؛ السبكي (ضمن شروح التلخيص):٣٨٩/١.
٢ - المطوّل؛ التفتازاني:٢٥٠.
٣ - عروس الأفراح؛ (ضمن شروح التلخيص):٣٨٩/١.
٤ - الإيضاح في علوم البلاغة: ٥٢/١.

أفعل من كذا (لفظاً ومعنى) نحو: زيد أفضل من عمرو أو يكون فعلاً مضارعاً، نحو: زيد هو يذهب، وقد عُرِفَ ذلك في علم النّحو [١])* [٢].

وإذا ما توقّفت الدّلالة عليه (الفصل)، استعمالاً - على تعدُّديَّة طرقه - لا ينافي ذلك كونه من طرائق القصر، لأنَّه الأداة والسبيل للمقصد الدّلالي المتوخّى الّذِي لا يمكن أن يحصل من دونه، ولا يُكَوّن تشكيل لهدف مِن سواه.

وكذا الأمر حاصله في تعريف الجزأين، إذ إنّ (أل) التّعريفيّة، على تنوّعها الاسمي والدّلاليّ، تتنقّل في الخطاب بين مكونات الإسناد ومكملاته: المسند والمسند إليه، والمفعولات،... وهو الأمر الّذي يعطيها معناها الغائي في الجملة، فضلاً عن أهميتها في التّركيب، والتوجيه الدّلالي، وسحرها الإبداعي.

ثمّ أنَّه إذا كانت تلك الطّرق المتقدّمة، وهي: «النفي والاستثناء، والعطف، واستعمال (إنما)» تدلّ على القصر بالوضع وجزم العقل، بوصفها قرائن تفيد الدّلالة في المعنى، فيمكن القول في ضمير الفصل، وتعريف الجزأين (المسند والمسند إليه) بالاستعانة بكلّيّات التّركيب النّحويّ وشبكته التفاعليّة في الأداء، وبحسب معانيها الّتي تُحدّد في السّياق - أنّهما كذلك [٣]. قال الدّسوقي

---

١ - على خلاف في ذلك، ينظر: مغني اللبيب:٦٤٢/٢، وهمع الهوامع؛ السيوطي: ٢٧٧/١، كما سيأتي.

٢ - * شرح التلخيص؛ البابرتي: ٢٣٥.

٣ - وهذا الأمر يذكّرنا بالإشكاليّة المتقدّمة في طريق القصر بالتّقديم، وغيرها الّتي طرحها الدّسوقي في حاشيته حين قال: ((إنه إذا كان دلالتها (أي الحروف ويعني بها النفي وإلا وإنّما ولا ولكن وبل) على القصر بالوضع لم يكن البحث عنها من وظيفة هذا العلم (علم المعاني) لأنه يبحث عن الخصوصيات والمزايا زائدة على المعاني الوضعية..)).

والجواب على ذلك يكون بالآتي: ((إنّ هذه الثلاثة (يعني: النفي والاستثناء، والعطف، وإنّما) وإن دلّت على القصر بالوضع له إلّا أنّ أحواله من كونه إفراداً أو قلباً أو تعييناً، إنّما تُستفاد منها بمعونة المقام، وهي المقصودة في هذا الفنّ دون ما استفيد منها بمجرد الوضع...)) حاشية

(ت١٢٣٠هـ): (وإنّما اقتصر المصنّف (يعني: القزويني) على ذكر هذه الأربعة في هذا الباب إمّا لأنّ القصر الاصطلاحيّ هو ما كان بهذه الأربعة، وما كان بغيرها، كضمير الفصل، وتعريف المسند أو المسند إليه، ونحو لفظ الخصوص، فليس باصطلاحيّ، وإن كان قصراً بالمعنى اللغوي، أو أنّ القصر بضمير الفصل وتعريف المسند أو المسند إليه، داخل في القصر الاصطلاحيّ بأن يكون عبارة عن التّخصيص بأحد الطّرق السبعة ولم يذكر هذه الطّرق الثلاثة ( يعني: الفصل، وتعريف الجزأين) في هذا الباب لاختصاصها بالمسند والمسند إليه، وقد تقدّم ذكرها، وعلى كِلا الاحتمالين التخصيص الحاصل بصريح لفظ الخصوص والتّأكيد ليس داخلاً في القصر الاصطلاحيّ...) [1].

وهذا يعني، بمفهوم الخِطاب: أنّ ضمير الفصل، وتعريف المسندين في استبعاد تلك الاحتمالية لما تمثّلته في الطّرد والاستقطاب - من طرق البنية القصريّة بالرّسم الاصطلاحي، ومفهومه الفنّي، ومن تنوّعاتها الأسلوبيّة.

وعلى ذلك سنتناول «ضمير الفصل، وتعريف المسند إليه والمسند «؛ بوصفها من الطّرق الاصطلاحيّة المتقدّمة، كلاً على حياله في الصّحيفة السّجّاديّة؛ لعموم استعمالها، وتعدّد إنتاجيّة أهدافها، ومبلغ الدّلالة في أساليبها. ولنبدأ بطريق (ضمير الفصل)؛ استيفاءً، بعْدَه سبيل تعريف الجزأين بـ(أل) الجنسيّة؛ لكَثرة الأخير على الأوّل؛ بفصاحة الاستقراء، وبلاغة الكشف التّركيبي الّتي أجريتها، متتبّعاً أساليب ذلكم النّصّ الدّعائيّ.

---

الدسوقي على شرح المختصر للتفتازاني؛ (ضمن شروح التلخيص): ٢٠٤/٢.
وهذا الأمر يسوّغ لنا صرفه كذلك على ضمير الفصل، وتعريف الجزأين، بوصفها قرائن تفيد في سياقات معيّنة الحصرَ، وتكوّن بنيته في جدليّة التضادّ.
١ - حاشية الدسوقي على شرح المختصر؛ (ضمن شروح التلخيص): ١٨٦/٢.

## ضميرُ الفصل [١]:

يتبّين التَّفاعل والانسجام الدَّلاليّ الحاصل من موضع ضمير الفصل بين مكوني الإسناد: «المسند إليه والمسند»، بالكيفيّة الّتي يرتبط بها بين الركنين ارتباطاً مختصّاً أحدهما بالآخر على ما له في عموميات الإسناد وأُصوله العنوانيّة في: الاسميّ والفعليّ.

فهو (الفصل) يعطي خاصيّة القصر - في بعضٍ من مجرياته النّصّية وخصوصيات الأداء- للإسناد بالمسند للمسند إليه، وينفي بذلك الوضع التّركيبي المستعمل في الخطاب، ما كان خارجاً عن معنى الجملة الأوّلي بدلالة الفهم إلى إنتاجيتها الثّانوية في المعنى الجدليّ الّذي ينبئ عنه أسلوب القصر، قال ابن يعقوب المغربي معلّقاً على قول القزويني، قال: («فلتخصّصه بالمسند» أي: تعقيب المسند إليه بضمير الفصل لتخصّصه، أي: المسند إليه بالمسند بمعنى: جعل المسند مختصّاً بالمسند إليه بحيث لا يتعدّاه إلى مسند له آخر، كقولنا: زيد هو السّاعي في حاجتك، فذكر ضمير الفصل؛ ليفيد أنّ المسند، وهو السّاعي، مخصوص بالمسند إليه، وهو زيد، بحيث لا يتعداه إلى أن يكون غير زيد ساعياً...) [٢]؛ ولهذا يقال في تشديد تأكيده: لا عمرو [٣]، أو لا غيره.

---

١ - الفصل في اللغة: الفصل: الإبانة والقطع والحاجزُ والفرقة والقضاء والانفصال بينَ الشيئين، وهي معاني تلتقط من سياقاتها. قال الرّاغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ): ((الفصل: إبانة أحَد الشيئين من الآخر: حتى يكون بينهما فرجة...)) والفَصْلُ: الحَقُّ من القَول، وبه فُسِّر قولُه تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} الطارق: ١٣: أي حَقٌّ. وقوله عزَّ وجلَّ: {هَـذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} سورة الصافّات:٢١؛ أي: هذا يوم يفصَل فيه بين المحسن والمسيء ويجازى كلٌّ بعمله وبما يتفضّل الله به على عبده المسلم. والفصلُ: القضاءُ بينَ الحَقِّ والباطِل، كالفَيْصَل، هذا هو الأَصلُ. ينظر: مفردات غريب القرآن: مادّة (فصل): ٦٣٨، ولسان العرب؛ ابن منظور: مادّة (فصل): ٥٢١/١١.
وعلى هذا المعنى المركزي تطوف تلك المعاني الثانوية، ومعناه العلميّ يفصح عنه معناه اللغويّ المستعمل فيه، لأنّ بعض دلالته هي كونه فصلاً، أي: يفصل بين الخبر والتابع، ويحكم على البين بينهما عند استعماله في التّركيب الدّلالي.
٢ - مواهب الفتّاح: ٣٨٦/١-٣٨٧.
٣ - المطوّل: التفتازاني: ٢٥٠.

وجاء في الإتقان في علوم القرآن: (وممّن ذكر أنَّه للحصر البيانيون في بحث المسند إليه، واستدل السهيلي بأنّه: أتي به في كلّ موضع أدّعي فيه نسبة ذلك المعنى إلى غير الله، ولم يؤت به حيث لم يدّع، وذلك في قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [١]، إلى آخر الآيات، فلم يؤت به في قوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [٢] ﴿وأنّ علينا النّشأةَ﴾ [٣]،... لأنّ ذلك لم يدع لغير الله، وأتي في الباقي لادعائه لغيره، قال في عروس الأفراح: وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [٤]. لأنّه لو لم يكن للحصر لما حسن؛ لأنّ الله لم يزل رقيباً عليهم، وإنّما الّذي حصل بتوفيته، أنَّه لم يبقَ لهم رقيب غير الله تعالى) [٥].

والخطاب البلاغيّ يتساوق مع كلّيّات الخطاب النّحويّ في تحديد شروط يعمل في ضوئها ضمير الفصل دلاليّاً في قضيّة الإسناد؛ لجني ثمارها البلاغيّة، واستنشاق عطر فنونها الجماليّة، وهي في حلّة أسلوبيّة القصر ومعناها الجدليّ.

فهو، وأعني: «ضمير الفصل»، عبارة عن صورة ضمير بصيغة المرفوع المنفصل يُطابق ما قبله، تكلّماً وخطاباً، وغيبةً، في الأفراد، والتثنية، والجمع [٦]؛ لأنّه في بعض من شأنه وأحواله [٧]، كما تقدّم، وهو الّذي يُسمَّى عند الكوفيّين عِماداً، وبعضهم

١ - سورة النجم: ٤٣.
٢ - سورة النجم: ٤٥.
٣ - سورة النجم: ٤٧.
٤ - سورة المائدة: ١١٧.
٥ - الإتقان في علوم القرآن:١١١/٣. وينظر: مغني اللبيب: ٦٤٤/٢- ٦٤٥، وعروس الأفراح:٣٨٦/١.
٦ - ينظر: المفصّل؛ الزمخشري: ١٦٨، والإنصاف في مسائل الخلاف؛ المسألة: (١٠٠): ٧٠٦/٢، وو: شرح المفصّل؛ ابن يعيش: ١١٠/٣، وشرح الكافية؛ الرضي: ٣٦٥/٢، وارتشاف الضرب؛ أبو حيان الأندلسي:٩٥٨/٢، وشرح ابن عقيل: ٣٧٢/١، والفوائد الضيائية؛ الجامي: ٨٨/٢، والمطالع السعيدة في شرح الفريدة؛ السيوطي:٢١٣/١، وحاشية الصّبّان: ٤٤٢/١.
٧ - ينظر: شروح التلخيص: ٣٨٥/١.

يسمّيه دعامة، وعند البصريّين فصلاً، وعند المنطقيّين رابطة [١]. يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله كذلك [٢]، قال ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ): (ويشترط فيما بعده أمران كونه خبراً لمبتدأ في الحال أو في الأصل... وكونه معرفة أو كالمعرفة في أنَّه لا يقبل (أل)... وشرط الّذي كالمعرفة أن يكون اسماً... وخالف في ذلك الجرجاني، فألحق المضارع بالاسم لتشابههما، وجعل منه: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [٣]، وتبع الجرجاني أبو البقاء، فأجاز الفصل في: ﴿وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [٤]، وابن الخبّاز، فقال في شرح الإيضاح: لا فرق بين كون امتناع (أل) لعارض كأفعل من، والمضاف، كمثلك، وغلام زيد، أو لذاته كالفعل المضارع، وهو قول السهيلي. قال في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى{٤٣} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا{٤٤} وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى{٤٥}﴾ [٥] وإنّما أتى بضمير الفصل في الأوّلين دون الثالث؛ لأنّ بعض الجهّال قد يثبت هذه الأفعال لغير الله، كقول نمرود: أنا أُحيي وأُميت، وأمّا الثّالث، فلم يدّعه أحد من النّاس... وقد يستدلّ لقول الجرجاني بقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي﴾ [٦]، فعطف يهدي على الحقّ الواقع خبراً بعد الفصل) [٧].

---

١ - الرابطة على نوعين: زمنية، وغير زمنية، و(ضمير الفصل) عند المنطقيّين من الروابط غير الزّمانيّة. ينظر: مدخل إلى علم المنطق؛ الدكتور مهدي فضل الله: ٩٢.

٢ - ينظر: الأصول في النّحو؛ ابن السراج: ١٢٥/٢، واللباب؛ العكبري: ٤٦٩/١، وشرح المفصّل؛ ابن يعيش: ١١٠/٣، وأمالي ابن الحاجب؛ ابن الحاجب:٦٦١/٢، وشرح جمل الزجّاجي؛ ابن عصفور: ١٦١/٢، وشرح التسهيل؛ ابن مالك: ١٦٤/١، وشرح الكافية؛ الرضي: ٣٦٦/٢، ومغني اللبيب: ٦٤٥/٢، وشرح قطر الندى؛ ابن هشام الأنصاري: ١٦٤، وعروس الأفراح؛ السبكي: ٣٨٦/١، وهمع الهوامع: ٢٧٤/١، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن؛ السيوطي:٤٦٧/٣، وحاشية الصبّان: ٤٤٢/١، والنّحو الوافي؛ عبّاس حسن:٢٠٧/١، والتراكيب اللغوية في العربية؛ هادي نهر:١٢٢.

٣ - سورة البروج: ١٣.

٤ - سورة فاطر:١٠.

٥ - سورة النجم: ٤٣- ٤٥.

٦ - سورة سبأ: ٦.

٧ - مغني اللبيب: ٢/ ٦٤٢-٦٤٣. وينظر: التبيان؛ العكبري: ١٩٩/٢، وشرح الكافية؛ الرضي: ٣٦٩/٢، وعروس الأفراح؛ السبكي؛ (ضمن شروح التلخيص): ٣٨٧/١، وهمع الهوامع؛ السيوطي: ٢٧٥/١.

واختلف النَّحويُّون في محلّه الإعرابيّ على اتّفاق جمهورهم في أنَّه حرف لا اسم ليس له محلّ من الإعراب، قال ابن هشام: (وزعم البصريون أنَّه لا محلّ له، ثمّ قال أكثرهم: إنَّه حرف، فلا إشكال، وقال الخليل: اسم، وقال الكوفيون: له محلّ، ثمّ قال الكسائيّ: محلّه بحسب ما بعده، وقال الفرّاء: بحسب ما قبله..) [١].

وقد ذكر علماءُ العربيّة (مفسّرون، ونحويّون، وبلاغيّون) [٢]: أنّ لضمير الفصل فوائد توزَّعت بين ما هو لفظيّ، ومعنويّ؛ فاللَّفظيّ: الإعلام من أوَّل الأمر بأنَّ ما بعده خبر لا تابع، ولهذا سُمّي فصْلاً، لأنهُ فصل بين الخبر والتابع عند الشّكّ والالتباس، وعِماداً؛ لأنّه يُعتمد عليه في معنى الكلام، قال ابن هشام الأنصاريّ: (وأكثر النّحويّين يقتصر على ذكر هذه الفائدة...) [٣]، على حين أنكر بعض البلاغيّين هذه الفائدة؛ لأنّها من حظّ النّحويّ، وليست من حظّ البيانيّ [٤].

---

١ - مغني اللبيب: ٦٤٥/٢، وينظر: شرح المقدّمة المحسبة؛ ابن بابشاذ: ١٩٦/١ وما بعدها، واللباب؛ العكبري: ٤٦٩/١، وشرح المفصّل؛ ابن يعيش: ١١٠/٣، وارتشاف الضرب؛ أبو حيان الأندلسي: ٩٥٨/٢، والجنى الداني في حروف المعاني؛ المرادي: ٣٥٠، وشرح اللمحة البدرية؛ ابن هشام الأنصاري: ٣٨٠/١، وشرح ابن عقيل: ٣٧٢/١، والفوائد الضيائية؛ الجامي: ٨٩/٢، وهمع الهوامع: ٢٧٥/١، والأشباه والنظائر؛ السيوطي: ١٧٤/٢.

قال الدسوقي: (( والحقّ أنّه حرف جيء به على صورة الاسم وليس بضمير، ولا مرجع؛ وإنّما يسمّى ضميراً على سبيل الاستعارة، والعلاقة المشابهة في الصّورة)) حاشية الدسوقي: ٣٨٦/١، وينظر: همع الهوامع: ٢٧٥/١.

ولسنا بصدد مناقشة الآراء النحوية بقدر ما لنا اهتمام بدلالة ضمير الفصل، ومعانيه البلاغية وسرّ جمالية القصر فيه، بيد أنّي أردت أن أُسلّط الضوء على مقدار ما هو فيه ( ضمير الفصل) عند النحويّين والبلاغيّين من قيمة دلالية.

٢ - ينظر: الأصول في النّحو؛ ابن السراج: ١٢٥/٢، والكشّاف: ٨٥/١، والمفصّل؛ الزمخشري: ١٦٨، وتفسير الفخر الرازي: ٣٩/١، وشرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ١٦١/٢، والطراز؛ العلوي: ٢٧١، ومغني اللبيب؛ ابن هشام الأنصاري: ٦٤٤/٢، وشروح التلخيص: ٣٨٦/١، وما بعدها، وحاشية الشريف الجرجاني على الكشّاف: ١١١، والبرهان في علوم القرآن؛ الزركشي: ٤٠٩/٢، وهمع الهوامع؛ السيوطي: ٢٧٦/١، وحاشية الصّبّان: ٤٤٢/١.

٣ - مغني اللبيب: ٦٤٥/٢، وينظر: علل النّحو؛ ابن الورّاق: ٥٧٠-٥٧١، والنكت في تفسير كتاب سيبويه؛ الأعلم الشنتمري: ٣٥٠/١.

٤ - ينظر: عروس الأفراح؛ السبكي: ٣٨٧/١.

وأمّا المعنويّ، فهو على أنواع، منها: التّوكيد؛ ومن هناك سمّاه بعض الكوفيّين دعامة، لأنّه يدعم به الكلام، أي: يُقوَّى ويؤكّد، ومنها: (الاختصاص، وكثير من البيانيّين يقتصر عليه...)[١]. قال السيوطي (ت٩١١هـ): (وله - يعني الفصل - ثلاث فوائد: الإعلام بأنّ ما بعده خبر لا تابع والتأكيد؛ ولهذا سمّاه الكوفيّون دعامة، لأنّه يدعم به الكلام، أي: يقوى ويؤكّد، ويبنى عليه بعضهم أنَّه لا يجمع بينه وبينه، فلا يقال: زيد نفسه هو الفاضل. والاختصاص، وذكر الزّمخشري الثّلاثة في ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٢]، فقال: فائدته الدّلالة على أنّ ما بعده خبر لا صفة والتّوكيد، وإيجاب أنّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره) [٣]

والّذي يبدو أنّ الفصل لا يأتي لتلك المعاني فحسب، بل قد يكون له مغازٍ وأهداف متوخّاة في قصد معاني التّوكيد [٤] نفسها الّتي يفيدها التّركيب القصريّ سواء أكانَ بطريقة النّفي والإثبات، أم بالعطف، أم باستعمال فاعليّة (إنّما)،... وكلّ بحسب السّياق واقتضاء الحال الذي ينتشر فيه الاستعمال الأدائي لذلك الرّابط الدّلاليّ.

وعند استقراء نصوص الصّحيفة السّجّاديّة، يتبيّن لنا استعماله في (١٤) أربع عشرة مرّة في صيغة المفرد المخاطب، والجمع الغائب فحسب، وقد انتحت هذه التراكيب مفتتح الإنشاء، وفي الأعم نهاية المطاف الدعائي في التّوجّه والخشوع والتضرّع لمطلب أسمى، وهدف غائي أعلى في النيل والرغبة لتحقيق المراد الإنساني المشروع.

وقد توزّع انتشار الاستعمال لضمير الفصل في الامتداد الأُفقي الحتمي بين

---

١ - مغني اللبيب: ٦٤٥/٢. وينظر: عروس الأفراح؛ السبكي: ٣٨٧/١.

٢ - سورة البقرة: ٥.

٣ - معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٤٦٧/٣. وينظر: الكشّاف؛ الزمخشري: ٨٥/١، والطراز؛ العلوي: ٢٧١، ومغني اللبيب: ٦٤٥/٢.

٤ - ذكر الدكتور فاضل السامرائي في: (معاني النحو:٦٠/١) منها: التوكيد، ومعنى المقايسة، والكمال. وينظر: علم المعاني؛ بسيوني: ٢٦٢، ومن بلاغة النظم العربي؛ عبد العزيز عرفة:٤٢ وما بعدها.

المكوّنين للتشكيل الإسنادي على أنماطه التأسيسية في ما أصله المبتدأ والخبر، فجاء (أنت) في (١٢) اثنتي عشرة مرّة، و(هم) في (٢) اثنتين فسحب، لمسند إليه أو ما أصله المبتدأ قد اتّخذ من (كاف) الخطاب وموضوعيته رمزاً في الأداء والوحدة التعبيرية في (١٢) مرة أيضاً، متساوقاً مع (أنت)، ومن الاسم الظاهر المعرّف بالإضافة إلى كاف الخطاب في (٢) اثنتين فقط.

أمّا المسند أو ما أصله الخبر، فقد تقابل معه - ضمير الفصل- أفقياً في علمية اللفظ الجليل (الله) في (٣) ثلاث مرّات، والباقي منه في الصفات الإلهيّة، منها المعرّف بـ(أل) في (٩) تسع، والمضاف إليه في صيغة (أفعل) في (٢) اثنتين فحسب، في شبكة تركيبيّة عقدها التوكيد في دلالته العامّة؛ باستعمال (إنّ) الحرف المشبّه بالفعل، والتمثيل لذلك قوله «عليه السلام»:

- (اللَّهُمَّ فَإِنِّي امْرُؤٌ حَقِيرٌ، وَخَطَرِي يَسِيرٌ، وَلَيْسَ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مِثْقَالَ ذَرَّة، وَلَوْ أَنَّ عَذَابِي مِمَّا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ لَسَأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذلكَ لَكَ، وَلكِنْ سُلْطَانُكَ اللَّهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزِيدَ فِيْهِ طَاعَةُ الْمُطِيعِينَ، أَوْ تُنْقِصَ مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبِينَ. فَارْحَمْنِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَتَجاوَزْ عَنِّي يا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [١].

- (فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِكَ، الدَّاعِي إِلَى حَقِّكَ، وَأَعِزَّنِي بِعِزِّكَ الَّذِي لا يُضامُ، وَاحْفَظْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لا تَنامُ، وَاخْتِمْ بِالانْقِطَاعِ إِلَيْكَ أَمْرِي، وَبِالْمَغْفِرَةِ عُمْرِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [٢].

- (اللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً، وَأُشْهِدُ سَمَاءَكَ وَأَرْضَكَ وَمَنْ أَسْكَنْتَهُما مِنْ مَلائِكَتِكَ وَسَائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا، وَسَاعَتِي هَذِهِ، وَلَيْلَتِي هَذِهِ، وَمُسْتَقَرِّي

١ - الصحيفة السجادية: ٢١٦.
٢ - المصدر نفسه: أ: ٢٤٦.

هَذَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لاَ إلهَ إلَّا أَنْتَ قَائِمٌ بِـالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَؤُوفٌ بِالْعِبَـادِ، مَالِـكُ الْمُلْـكِ رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَأَنَّ مُحَمَّـداً عَبْدُكَ وَرَسُـولُكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسَـالَتَكَ فَأَدَّاهَا، وَأَمَرْتَهُ بِالنُّصْحِ لِأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا. اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أَكْثَـرَ مَـا صَلَّيْتَ عَـلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَآتِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا آتَيْتَ أَحَـداً مِنْ عِبَادِكَ وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ وَأَكْرَمَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ أَنْبِيائِـكَ عَنْ أُمَّتِهِ، إِنَّـكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ بِالْجَسِيمِ الْغَـافِرِ لِلْعَظِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الأَخْيَارِ الأَنْجَبِينَ...) [١].

- (اللَّهُـمَّ ثَبِّتْنِـي عَلى دِينِكَ ما أَحْيَيْتَنِي، وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَـةً؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ،...) [٢].

- (اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَـآءِ وَوَعَدْتَ الإِجَابَةَ، فَصَـلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرجِعَ الخَيبَةِ مِنْ رَحْمَتِك؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ) [٣].

- (صَـلِّ عَـلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَل تَوَسُّـلِي بِهِ شَـافِعاً، يَوْمَ الْقِيامَـةِ نافِعاً؛ إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [٤].

- (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ جُنْدِكَ؛ فَإِنَّ جُنْدَكَ هُمُ الْغالِبُونَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ حِزْبِكَ; فَإِنَّ حِزْبَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيآئِكَ; فَإِنَّ أَوْلِيَاءَكَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[٥].

وبعـد هذه المعاينة في الوصـف، والإفتاء بالنتائج والتمثيل، قد يتبيّن في الاحتماليّة، أنّ هـذا السـبيلَ مفـاده في هاتيك الجمل - في بعض من تشـكيلاته الإجرائيّة - واضح المدرك، ظاهر الدّلالة والغرض، بيد أنّ قراءةً في المقاربة مع سـائر الطّرق في المنظومة

١ - المصدر نفسه: أ: ٥٤.
٢ - المصدر نفسه: ٢٤٣.
٣ - المصدر نفسه: ١٣١.
٤ - المصدر نفسه: ٢٥٢.
٥ - المصدر نفسه: ٢٤٩.

الفكريّة التي استوعبها أُسلوب القصر في مدوّنة البحث البلاغيّة، وتمثيلها، هاهنا، يكشف لنا عمق هدفه الدلاليّ، وبُعدَ مقصده ومرماه الغائي في الإنشاء والتّكوين، ولاسيّما ونحن في معرض بيان التّمكّن اللغوي والقدرة الأدائيّة وامتيازها في ذلك التّعبير الانفرادي، من منشئ دلّ بروافد أُسلوبه على ما تضمّنه روح الضمير الإنسانيّ، في أُفق الوجود الاختياري، في سياق التّوجّه، وحضرة الإيمان في ميدان الدّعاء.

ولكي نُكَوِّن مصداقاً يقترب من واقعيّة المفاهيم المتقدّمة في الأشكال وامتيازها في خطاب التراكيب، يحدونا التصوّر- سلوكاً في الدراسة على نظرة تحليليّة في التأويل والفرض والاحتمالية- إلى استجلاء شبكة التلقّي الافتراضيّة، ودعائمها في التأسيس، أي: خطوطها العمودية والأُفقيّة في تشابك العمق الدلالي: موضوعية وذاتاً، وتفاعلها في ثنائية الخطاب ومحوريته بين المتكلّم والمتلقّي (داعٍ، ومدعوّ) في موقف عقدي، أو شعور نفسي، أو منهج اجتماعي؛ لنصل إلى مقاربة تفهم من مداركها الدلالة ومعالمها التي أُقيمت عليها تلك الأُطر القصرية، أُسلوباً في التراكيب، وانتشاراً في الخطاب العبادي.

لنبدأ، إذن، من الشكل التّركيبي نفسه الذي استأثر به المنشئ «عليه السلام» في التعبير دون سواه، مع طرح مجموعة من الرؤى الاحتماليّة والإشكاليّة في تصوّرٍ استفهاميّ: لِمَ استعمال هذا السبيل دون غيره؟ وما المطلب الدّلاليّ المقصود منه؟ وما الموقف السياقيّ الذي توافَقه فرض هذه التّراكيب الجملية وتمثيلها أداءً أُنموذجيّاً في التعبير الإخباريّ لجملة الإنشاء الطلبيّ في الدّعاء؟ لماذا القول: (أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لاَ إِلـهَ إِلَّا أَنْتَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْمِ، رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ،..)، أو النّصّ الدّلالي: (إِنَّكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ بِالْجَسِيمِ الْغَافِرِ لِلْعَظِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ،...)، أو: (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ،...)، أو: (إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ)، من النّصوص المصطفاة أعلاه؟

إنّ تأمّـلاً هيّناً في المنجز التعبيريّ مع ملحظ أجزائه الإجرائيّة: (أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ...)[١]، مثـلاً، يظهـر لنـا حتمية الفـرض اللغويّ عـلى واقعه التسلسـليّ الأُفقـيّ في التّركيب، والعمـوديّ التقابـليّ في النّظم وعلاقاتـه، فهو يقتضي ألواناً من التّعبـير الفنّي في بنية القصر بالضّمير المنفصل (أنت) في شـكله الخطابيّ، ونوعه الكلميّ المسـتعمل، هاهنا، في التّركيب، على الرّغم من أنّ الشرط الذي يفرضه الفكر النّحويّ مُقيَّداً في اسـتعماله، والّـذي قد يكـون في بعضٍ من تصوّراتٍ بيّنٌ في منحاه الـدّلاليّ ومنطق القاعدة.

أقول: إنّ التّشابك الدّلاليّ في التّركيب القصريّ، هاهنا، متراصّ الوحدات في وظائفها الموقعيّة، متّحد في الحركة الرأسّـية، في وضعيّة المعارف وتقابلها، فالفصل (أنتَ) هو المخاطـب، والمسـند إليه (كاف الخطاب)، اسـم الحرف المشـبّه بالفعـل، هو المخاطب، أيضاً، والمسـند لفظ الجلالة (الله) سـبحانه، كذلك، على الأصـل الخبريّ هو المخاطب، والمنظومة الإسـنادية هـي مركز الدّلالة في الخطاب الموجّـه، أي: (المتلقّي) في التّكوين البلاغيّ لأُسلوبيّة المكوّن القصريّ الآخر في هذه الجملة، وكما في المخطط الآتـي:

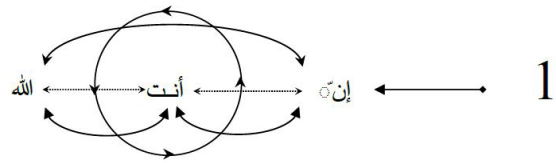


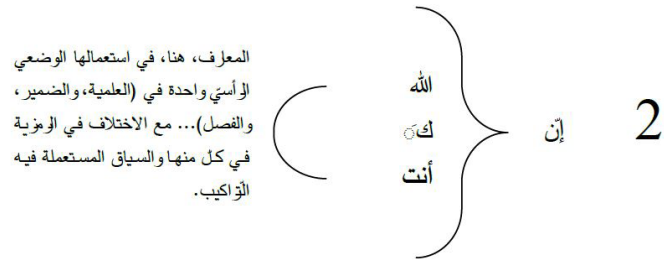


١ - سنأتي على العيّنات التركيبيّة الأخرى التي اخترناها في التمثيل.

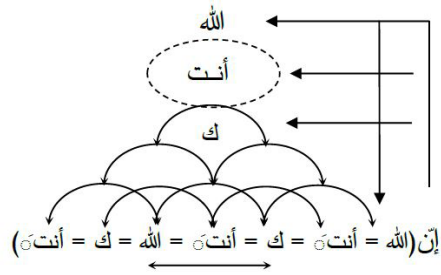


3

المخاطب وأفقية التكوين في المستويات اللغوية، وفي نوعيّة الكلم: الاسم، والحرف منه.

إنّ قراءة متأنّية في التشكيل البنيويّ للرسم التخطيطي الأوّل، على مساره اللغويّ وعلاقاته في النّظم الأفقيّ، تظهر لنا واقعيّة رتبة الضمير القصريّة الّتي حداها الاستعمال الأدائيّ بين المكوّنين (كاف الخطاب)، ولفظ الجلالة (الله)، وكذا الأمر مفاده في المخطّط الثاني وعمودية التقابل الرأسيّ في اختيار المفردات في جنسيّة المعارف على اختلاف المرتبة والأصل الوضعيّ، أمّا المخطّط الثالث، فهو النتيجة الحتميّة لهندسة التّركيب في المعاينة وإنتاجية التّحليل.

وهنا يقودنا من ذلك التّوصيف تساؤل في المقولات البحثيّة ومواصفاتها؛ بغية اقتناص مرجع الدلالة في: هل أنّ البنية القصرية في المقولة البلاغيّة واقعة في قالب يُوسم بحتمية القصر، وعلامة الوضع؟ والجواب عن ذلك في بعض من عموميات الفرض بالإيجاب من خلفيات شرّاح التلخيص، وصراحة قول الدسوقي[١]- كما تقدّم - بالدلالة الوضعيّة في استعمال الأدوات الدّوالّ على أبواب الطرق القصرية.

وإذا كان الجواب يحتاج إلى التّخصيص، لشأنية السؤال على فرضيته، وإن كان مطلوباً في العموم في جانب من جوانب التّحليل (وضعية الأدوات)، لكنّه يبقى في الرتبة المحفوظة، والترتيب التركيبي والتساوق النحويّ، هاهنا، مع المنظور البلاغيّ في المقولة الخاصّة بالبنية القصريّة وأُسلوبيات الإبداع في ذلك.

١ - ينظر: حاشية الدسوقي على المختصر (ضمن شروح التلخيص): ٣٨٦/١.

ومن ذلك أقول: إنّ البنية القصرية كلّها قوامها عطاءان: واقعية الفرض الوضعيّ، وذوقية التأمّل في الاستعمال الفنّي، فهي، فضلاً عن الاستعمال الأدواتي في تسمية عنونة الأساليب وتنوّع طرقها، تستعمل التفنّن الذوقي الخاصّ في الانجاز على وفق سياقات متعدّدة، ومن هنا تتأتّى فُرص البلاغة الإبداعية والامتياز الدّلاليّ الذي فيها.

ولتوضيح الرؤية نجد أنّ كلّ المواقع والظواهر اللّغوية في البنية القصريّة من سبيل الرتبة المحفوظة، بمعنى: أنّ كلّ واحد من أركانها يتّخذ موقعاً يدلّ على السمة العنوانيّة التي في تنوّعاته وأقسامه، فالمقصور عليه يباشر (إنّما)، و(إلَّا)، والمقصور يأتي متأخّراً عن الأُولى، ومتقدّماً عن الثانية، وكذلك أدوات العطف، وعلى أساس المواقع تتكوّن أقسام البنية، ومن ثمّ غرض المتكلّم.

وكذا فكرة التّقديم ورتبتها الموقعيّة على الرّغم من دلالتها على القصر بالتأمّل والحسّ الفنّي، وبفحوى الخطاب ونصّيّة الأُسلوب، بل إنّ فيها من الأمور ما يجعلها في تلك المواصفات المعياريّة بعد التتّبع والاستقراء [١].

وقضية التبليغ الإبداعيّ، مع تبنّي الرؤية السابقة، في ضمير الفصل والشغل اللغويّ، موقعاً ورتبةً، هي هي نفسها، إن قرنّاها في مقاربة بالأساليب القصريّة الأخرى، إذ إنَّه «الفصل» قرينة لفظيّة في ترتيب ما، لتكوين بُعْدٍ قصريّ، في مؤدًّى بلاغيّ، في بعض من تحرّكاته وسلوكياته الدلاليّة، فالتشكيل القصري فيه، يجعل المسند إليه هو المقصور عليه، والمسند الخبر المعرفة هو المقصور، وهو: (ضمير الفصل) الأداة والقرينة الوضعيّة الدالّة على الهدف القصديّ وبلاغته في الدّلالة، حاله في ذلك حال الأدوات التي تستعمل في الأساليب القصريّة كـ(إنّما)، و(النفي والاستثناء)، و(العطف)...

---

١ - ينظر: دلائل الإعجاز؛ الجرجاني: ٨٣ وما بعدها، ونهاية الإيجاز؛ الرازي: ١٥١ وما بعدها، والتبيان؛ ابن الزملكاني: ٩٤ وما بعدها، وأُصول البلاغة؛ ميثم البحراني: ٩٣ وما بعدها، والطّراز؛ العلوي: ٢٣٤ وما بعدها، وشروح التلخيص: ٣٨٩/١ وما بعدها.

وعلى هذا، فإنّ أيّاً من الإنزياحات في مواقع البنية، سيؤدّي إلى تغيّر في الإنتاج القصريّ، بل قد يؤدّي إلى تحويل بنية التّعبير عن مسارها المتوخّى، إذا ما تغيّرت طريق الموقع الذي يشغله ضمير الفصل.

وهو بذلك التحنيط الأسلوبيّ ذو تشكيل نحويّ بلاغيّ، ووضعيّ فنّي، وتحديده العلمي بالاستناد إلى كلّيات الخطاب البحثي على وضعه الفكري وتسوّراته في المنطق اللُّغويّ، باب من طرق الإبداع في الاستعمال الأدائي؛ تبعاً للسياق الكفيل في وضعه في دائرة الإطار الدّلاليّ.

ومن سياق ما تقدّم نستفهم: أينَ يكمن السرّ الإبداعي في ذلك الاستعمال؟ وما بلاغته في البعد الدلاليّ الذي يرمي إليه، ونحن ننظر إلى أمثلته القاعدية المعروفة التي تُحتَذى في التراكيب التي لا حصر لها في الاستعمال، وفق ظروف القول ومجريات الخطاب؟ ألنا اكتناه مقصدية القصر ودلالته في فاعلية ضمير الفصل وبلاغيته في هاتيك التّراكيب؟

إن تصفّح هندسة التركيب (أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ...)، أو (إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، (إِنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ)،... تعرب عن احتواء مجموعة من الاستفهامات وإشكاليات احتمالية في كينونة المعنى القصري في (ضمير الفصل)، ولاسّيما في الأوّل منها، في: أين الهدف الغائي من الفرض الجدلي الذي يشتمل عليه أسلوب القصر في ذلك التركيب ؟ وما المنظور المنفي الذي يقابل الإثبات في تجلّي الظهور...؟ والجواب عن ذلك بالنفي بملحظ شبكة التلقّي الافتراضيّة وخطوطها المحورية: العموديّة، والأفقيّة، إذ لا يوجد في الخطّ العموديّ منها شيءٌ من معنى القصر، بل تنكر ذلك وتأباه أصلاً، وقد تفرض وجود بعض منه في العيّنات التمثيليّة - كما سيأتي- في سماته الدّلاليّة في جوانب الاحتمال في المكوّنات الخطّيّة الأخرى، في الأفقي: الذاتيّ، والموضوعيّ، بشقيه: الإنسانيّ، والاجتماع الإنسانيّ.

إنّ جهة الخطاب، هنا: (أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ...)، تحتّم معايير خاصّة في الكشف عن البنية العميقة أو الأساسية، وهي آليات التّحليل، في الاختيار الأمثل للمفردات الّتي تركّب منها الأسلوب الخاصّ بها، وامتاز في استعمالها، هكذا: (إنّ ـ كَ ـ أنتَ ـ الله). فالتوزيع الأفقي يتناغم ومقولة المعارف المتقابلة (المضمر، والاسم)، وهي في تعبير واحد بشهادة السياق: (إن اللهَ الله الله)، مع ملحظ المرجع الدلاليّ في القانون النحويّ: إنّ المبتدأ هو نفس الخبر في المعنى كي يتمّ الربط بينهما [١]، غير أنّ الاستعمال اللّغويّ في الخطاب لا يعمل في الإفادة والإبلاغ إلّا بالأوّل، إذ إنّ البنية السطحيّة لا تسوّغ تركيب: «إنَّ الله ـ أنتَ ـ ك»، ولا: «إنّ أنتَ ـ اللـه ـ ك»، ولا: «إنّ أنتَ ـ ك ـ الله «؛ لأنّ ضمير الرفع له صيغ معيّنة، وهذا لا تدخل عليه (إنّ)، فالشيء غير المقبول (إنّ أنتَ)، ثم إنّ (ك) كاف الخطاب، من الضّمائر المتّصلة، وهذا لا يجوز انفصاله إذا أمكن اتّصاله على ما هو عليه المبدأ النّحويّ [٢]. هذا إذا ما صرفنا النظر عن التحوّل الذي أصاب البنية القصرية وموقع الضمير الّذي يجب أن يشغله في الأسلوب بين المكوّنين.

ثمّ إنّ بنية السطح تستحضر المقولة البلاغيّة بالتساوق مع النّحويّة في: أنّ المسند إليه هو عمدة البيان والفائدة، وموضوع الحديث، ووجوب كونه معرفة، والمسند هو محلّ الإتمام في ذلك الإسناد، فكيف يكون، والمبتدأ من قبيل الكنايات الكلّيّة (نكرة) وضعاً، بيانُه الاستعمال في التّركيب [٣]؟ بل كيف يكون، وهو (أعني: المبتدأ) والخبر موضوع واحد، في قوله «عليه السلام»: (إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، (إنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ)،...؟!

---

١ ـ قال سيبويه (ت١٨٠هـ)، في: الكتاب: ١٢٧/٢: ((اعلم أنّ المبتدأ لابدّ له من أن يكون المبنيُّ عليه شيئاً هو هو...)). وينظر: اللمع؛ ابن جنّي: ٨٠، وشرح اللمع؛ لجامع العلوم: ١٩٣/١، وكشف المشكل في النّحو؛ حيدرة اليمني: ٦٨، وشرح المفصل؛ ابن يعيش: ٨٧/١، والمغني في النحو: منصور اليمني: ٢٨٢/٢، وشرح الأشموني: ٣١٠/١.

٢ ـ ينظر: شرح ابن الناظم: ٣٧، وأوضح المسالك؛ ابن هشام الأنصاري: ١٩٦/١، وشرح ابن عقيل: ٩٩/١.

٣ ـ يقول السيوطي (ت٩١١هـ)، في: همع الهوامع: ٢٨١/١: ((الضمير صالح لكلّ متكلّم ومخاطب وغائب، وليس موضوعاً لأن يستعمل في معيّن خاصّ بحيث لا يستعمل في غيره، لكن إذا استعمل صار جزئياً،... وهذا معنى قولهم: إنّها كلّيات وضعاً، جزئيات استعمالاً)).

إنّ التّركيب اللغويّ في عمقه الدلاليّ، يكمن في التّوصيف والإخبار بالموصوليّة الّتي أعربت عنها جمل النّصّ في الكلّ ...

فالنّصّ على ذلك، إذن، نفسه في الجهة الخطابيّة وسياقه العبادي يُنكر صراحة القصر، ودلالة النفي الثانويّ - قياساً مع الأشياء الأخرى (الخلْق أجمع) التي لا يقارن بها سبحانه - الذي يومئ إليه، ويُفصح عنه فحوى الخطاب، إذ لا يكون: (ما الله إلا الله)، أو(ما أنتَ إلا أنتَ)، ويعمل على ترجيح مبدأ دلالة التّوكيد، فحسب، بالنظر إلى مجرى الخطوط الأخرى، دون العمودي منها؛ لإشكاليّة الإخباريّة في سياق التضرّع، وجوّ الخشوع.

وما يؤكّد مسلك التأويل والرؤية، تضافر القرائن والوحدات الدلالية، فالتعريف الإخباري بـ(أل) الجنسية التي تتوزّع على مداركها في الاستعمال والتوظيف، هاهنا: (فوق الكلّيّة وحيازتها، وفوق الكماليّة ومثاليتها في إطلاقية الكمال، والحضوريّة: في الواقع النفسي والمشاهدة بالإيمان) في: (إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيُم)، (إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرّحيمُ)، (إِنَّكَ أَنْتَ الوهّاب)، (إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)... لا تجوز لسواه، سبحانه، في ملاك الدّعاء وأُسّ إخلاص الطّلب العبادي. وتوضيح المضمر (النكرة) بجهة الخطاب وتفسيره بالمعرفة الإخبارية في أفقية التركيب، وهو الأمر الذي يجعلنا نقارب بينه ووزان ضمير الشّأن والقصّة في الدّلالة، مع الفارق اللغويّ والوظيفي والأدائيّ في المبدأ قطعاً، ثمّ تحويل بنية العمق الفعليّة في (التّوّاب، والوهّاب) على تسلسلها الدّلالي من (فعل) (تاب، وهب)، المتعدي بحرف والمتعدّي بنفسه إلى (فاعل) (تائب، واهب)، ثم صيغ مبالغة اسم الفاعل الدّالة على المعنى وصاحبه (فعّال)، وإطلاقية المعنى فيه بحذف مفعولهِ، وانعدام زمنيته الحدثية إلى اسمية الجملة في سطح التركيب الخارجي في دلالة الثبوت والاستقرار، والصياغة الأدائية، ومن ثمّ استئنافها، زِد على ذلك مواضعة (أفعل) التفضيل (أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الّتي في سياق الوصف بالكمال والبيان مع عدميّة المقارنة بالمخلوق الذي يحتاج إلى العطاء الإلهي في الرّحمة وشمولها

عـلى الرّغـم من الإضافة إليه...، كلّ ذلك لا يكون إلَّا في ما هـو جهته الخطابيّة؛ تمثيلاً إيمانياً وإعراباً بلاغيّاً في سـياق الدّعاء ورحاب الحضرة القدسـيّة.

وإذا وصلنـا ذلـك التّحليـل ورؤاه بأسـلوبية التنـوّع القصري وسـماتها الكلّية في التقسـيم وبنوده، تتجلّى لنا إشـكالية نوعية القصد المتوخّى في تكوين التفاعل الأدائي في صياغة البنية القصرية في خطاب إخباري بتركيب إخباري، قوامُه الإفادة في الإجراء التّواصلي أو لازمها في سـياق يقتضي لوازمه ومؤدّاه بالألوان الدلالية في بنية الإنشـاء، من منشـئ حاك تصوّراً مع المتلقّي لإزالة ما شـاب ذهنه من خطأ في الإسناد الحكمي، فتنـوّع عـلى: القلب، والتعيين، والإفراد، في رفع خطأ، وإثبـات صحّة، أو نفي وإثبات، أو العكس، على مرجع الأصل البلاغي في توصيف اشـتراك الطّرق القصرية في ذلك[1].

أقول: هل يريد الداعي «عليه السلام» أن يزيل خطأً: شكّاً، أو عدم معرفة، أو تردّداً، وهو يستعمل فاعلية «ضمير الفصل البلاغيّ»- إذا جاز لنا الاصطلاح عليه- في سياق الدّعاء على الافتراض مع ملحظ شهادة المتلقّي المدعوّ (الله) سبحانه عزّ وجلّ؟.

إنّ تصـوّر ذلـك الاسـتفهام وإشـكاليته مبدؤها تواجـد الأطراف في بنيـة التلقّي، والرؤية الخاصّة في شبكتها الافتراضية، وآليات الفهم في تضافرية القرائن والمعطيات البنيوية في التوجيه...

أقـول: إنّ ذلـك كلّه يقوّض منطقيـة القصر ودلالته في البعـد البلاغي، بل تتصدّع أنواعه، وتتناثر أقسـامه في رحاب السـياق الذي اتّخذ من المجاز العمودي مسـلكاً في البناء والطـرح التركيبي في الخطاب.

ومـن ثمّـة، نسـأل: من أيـنَ تنطلـق الدلالـة الإرسـالية في التبليغ بركنيـة الفصل وفاعليته في المنحى القصريّ؟ وأيّهما (المقصور والمقصور عليه)، أو (المسـند والمسـند

١ - ينظر: المطوّل؛ التفتازاني: ٣٩٣، وشروح التلخيص:٢٠٣/٢ وما بعدها.

إليـه) هـو الأوّل في التكوين البلاغي؟ ألنا أن نضع بالحسـبان كلّيّـة التّركيب في البنية القصريّـة في طـرح مجموعة احتماليّـة في التّوجيه، أم نكون قابعـينَ في مقولة الأصل ومعايـيره البلاغيّة في تخصيص المسـند بالمسـند إليه ونفيه عن غـيره في بوّابة القصر الحدّيّة ورسـمها المعرفيّ في التأسيس؟

إنّ التّركيـب في ذلكـم الخطـاب يطلق له العنان الأدائي في ذلـك التخصيص بالهيأة القصرية، فيكون في عموم الإسناد والنسبة الوقوعية في سياق إيقاعها الإنشائي العملي، في بعض من مجريات السلوك التعبيري في خطاب الدعاء وما يشتمل عليه.

فضمـير الفصـل البلاغيّ، هنـا، في: (إِنَّكَ أَنْـتَ التَّـوَّابُ الرَّحِيمُ)، (إِنَّكَ أَنْـتَ الغَفُورُ الرّحيـمُ)، (إِنَّكَ أَنْـتَ الوهّاب)، (إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)... يشـعّ دلالياً على مصابيح المكـوّن القـصري على صعيـد أركانه، فتكون الدلالة بذلك مشـجرة الجهـات، متعدّدة الأواصـل إلى الهـدف الغائـي في التّعبـير، إذ تبـدأ الدلالة مـن مبدأ أصلي قـد بُنيَ عليه النّـصّ [1]، في الانطـلاق بالكلّيّـة في حياكة التركيب ونسـجه إلى نهايـة دلالته وقصده الإبلاغيّ، فهو (العِماد) يضفي بواقعيّة التشكيل النّحويّ ومعنويّة القصر البلاغيّ على المسـند إليه (كاف الخطاب) (المقصور عليه)، بوسـاطة المسند (التّوّاب،... الوهّاب،...) (المقصور)، وكما في المخطط الآتـي:

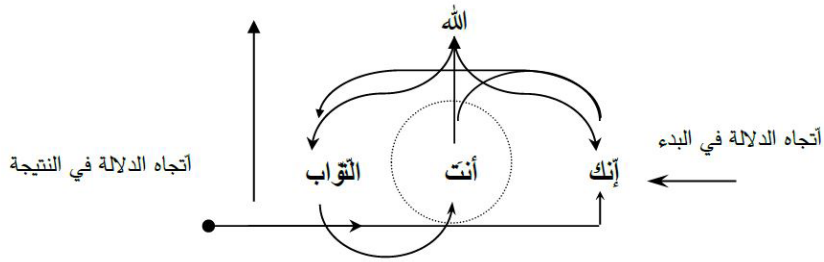


١ - وهذا ما جعلنا ننتخب الأمثلة التي تقدّمت على طولها، كما سيأتي بيان ذلك، إن شاء الله تعالى.

يفضي قيوداً دلاليّة واحترازيّة على الرّغم من أنّ حرفيته في المنظور التسلسلي الرأسيّ في الوضع النحويّ وافتقاره إلى ما يتمّم معناه، لا ترتقي إلى الاسم، فهو يفرض على الاسم الذي يليه، سيطرة اعتماديّة ودلالة احترازية، يُخرج التركيب بها من دوائر التسميّة وتعددية الاحتمالية في الإخبارية والوصفية والتبعية والتابعيّة؛ لأنّ (أثر الفصل معنى يتعدّى منه إلى المسند إليه، ويصير قائماً بالمسند إليه...) [١]. حاله في ذلك حال الأدوات التي تُستعمل في الطرق الأخرى كالنفي والاستثناء و(إنّما) وأدوات العطف،... إذ إنَّه بذلك التَّوظيف يُخرج المعنى من الاحتماليّة الدلاليّة العامّة إلى الخاصّة في التخصيص وجدليّة النفي والإثبات، ويجعل البنية تُعوّل على اعتماد أحدهما دون الآخر، ويُجري بذلك مؤدًّى بلاغيّاً يفصل به المعنى العامّ مع نسبته إلى آخر دون البقية، ويكوّن بذلك اعتماداً بلاغيّاً، أو فصلاً بلاغيّاً يتساوق مع مقولة الفصل النّحويّ، مع فارق أنّ الأخير بيانٌ للحركة الموقعيّة في استعماله، والأوّل إفصاح للدلالة التعبيريّة في التخصيص وطرد العموميّة.

وهذا يعطيه فضل مزية في الاستعمال على الطّرق الأُخرى؛ لعدم التّعميم فيها؛ ولأنّه بذلك الأداء يشبه (أل) التعريفيّة، فيجعل التّعبير ككلٍّ معرفةً بعد أن كان واقعاً في دائرة عموم الاحتماليّة في التّوجيه.

إنَّ من الصّحّة القول: إنّ بالإمكان استعمال غيره من السُبُل القصريّة الأخرى في الدّلالة الإبلاغيّة وتقييدها بالتخصيص في نسبيّةٍ، ولكن نعود مستفهمين: لماذا الاستئثار به دون سواه؟.

أقول: إنَّ الأمر في توظيفه نتيجة حتمية يستدعيها النّصّ ومنطلقه الدلالي بالكلّ في ذلك الأسلوب، لأنّ تكوين النّصّ مدارهُ على مرجع منظومة فكرية، دوالّها في الجانب الظاهري بنية السطح نفسه، وميدانه التواصلي هو الإفادة والبيان، بمعنى: أنّ البنية القصريّة قد

١ - عروس الأفراح؛ السبكي (ضمن شروح التلخيص): ٣٨٩/١.

أُسست عليها قاعدة الخطاب الدعائيّ، وهي، أعني: البنية القصريّة بضمير الفصل البلاغيّ، مرتكز إنشائيّة النّصّ، وتكوين أبعاده الإبتسمولوجية في عموم الخطاب.

فالمنشئ يؤسّس دلالته بالمكوّن الآخر؛ وصولاً إلى التخصيص في القاعدة التي ينتهي إليها في التشكيل ودلالته الحصريّة القابعة في تضاعيف النّصّ نفسه منذ البداية، وهنا - في تصوّري- مكمن السرّ في الاستعمال الأدائي لتلك البنية في فاعليّة «ضمير الفصل البلاغيّ» ليس غيرها من السُّبل الأخرى.

وإذا كان هنالك إشكال في أنّ حتميّة الثبوت في التّركيب - كما تقدّم بنا التّوصيف لاقتناص الدلالة- تبعده من دائرة التّكوين الدّلاليّ. والجواب بالجدل: إنّ تأويل مجريات ثباته في البناء الجمليّ قائم على المتغيّر الدّلاليّ في الاستعمال، وتقييده بالتجديد والاستمرار، وتعدّدية المتلفّظ التفصيلي في البعد الإنسانيّ، وثباته في المنطوق العامّ في تأسيس نصّ الخطاب وتكوينه، أي: ما يؤسّس عليه من النّصوص والمضامين المعرفيّة في العموم التي يكون هو قاعدتها، أو مفتاحها البدائي في التصوّر، والختامي في دلالة الإنشاء، كما في المخطط الآتي:

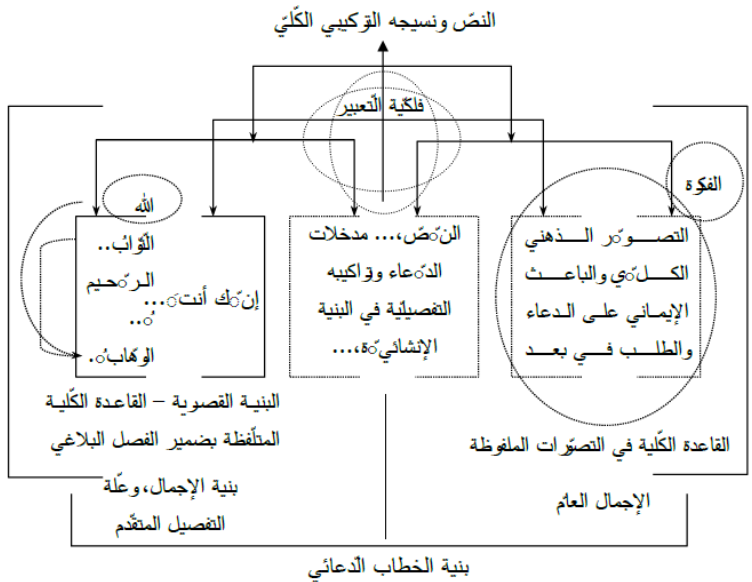

والنّصّ بذلك التوجيه مقدّمات ونتائج، ونتيجته في الدّلالة هي القاعدة القصرية في استعمال ضمير الفصل البلاغي، أي: أنّ النّصّ مبني على قاعدة تركيب القصر بمكوّن ضمير الفصل في تصوّر دلالة الإثبات والنفي في مستوى العمق، توضيحها الكلّيّ النّصّ نفسه، ثم تأتي القاعدة مرّة أخرى في الظهور؛ لتركّز ذلك وتؤكّده في الانطلاق، وكأنّه في التصوّر قد أُدركَ في ثلاث مرات: مرّة في التصوّر الذّهني العامّ، ومرة في محلّ تفصيل النّصّ بالمطلوب، والأخيرة في المتلفّظ الكلاميّ في بنية الفصل الإجرائيّة، وهذا يعطيه فضل امتياز على من سواه من التراكيب القصرية؛ فهو يؤدّي في الافتراضات جدليةَ البنية القصريّة في العموم: نفياً وإثباتاً، ويودّي، مرة أخرى، اقتضائيّة التأسيس والبناء الفكري للنّصّ في العمق، ومن ثمّة البناء الشكليّ في التّعبير، فضلاً عن الدلالة البلاغيّة، أي: أنّ الأسلوب القصريّ بذلك التكوين التّفاعلي في بعده الدّلاليّ عِلّة مقدَّمة على التّصوّر الذي يقوم عليه الخطاب الإنشائيّ، هكذا:

(فَارْحَمْنِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَتَجاوَزْ عَنِّي يا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [١]

فقاعدة البنية الإنشائيّة ولونيّة فعل الأمر (أفعل)، (فارحمني يا أرحم الرّاحمين،...، وتُب عليّ،...)، هي بنية القصر بالفصل (إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)، وتصوّرها الإدراكي الواقعي في التكوين هي نفسها مرة أخرى في دلالة بعْدها الإبلاغي في ذلك التعبير، لأنّ الرحمة منه، وقبول التوبة منه،... والطلب واللجوء إليه،... لا أقول: إنّها لا تقع من غيره، وعلى تأويل قصر صفة على موصوف وتراكمه على الحقيقة التحقيقية وفوقيتها، بل قد يكون ذلك في تأمّل بنود شبكة الخطاب الدّعائيّ الأخرى، وقد تؤيّده احتمالات بنية السطح في المسار التحليلي والدلاليّ، غير أنّ بنية العمق الأساسيّة في ذلك الدّال تتعارض ووجهة الخطاب العمودي بكلّ مقاييس المواضعة والإنتاجيّة الدلاليّة لمعنى القصر وجدليته التناقضيّة في التجلّي والخفاء، بالإثبات والنّفي، كما تقدّم.

١ ـ الصحيفة السجادية: ٢١٦.

أقـول: ليس ذلك في الدعاء وسـياقه العموديّ مع ملحـظ النّفي الباطني، بل هو هـو التّعبير في الإثبات فحسـب. فالبنية الإنشـائيّة تتقابل مـع الإخباريّة في التصوّر المؤدّى في التعبير، ثم العودة إليهما بلاغيّاً بعروة الفصل ورأسـيته في التركيب مرّة أخرى في الدعاء.

وبعبارة أخرى: إنّ التأسـيس التفاعليّ في البنية القصريّة بالفصل هو بمثابة تعليل خاصّ لمنشـأ دلاليّ في صفته الإنشـائيّة بالطّلب، وكأنّ الأخير عبارة عن سؤال متصوّر ذهناً من الداعي في المحاورة النّفسـيّة ووثوبها على الخالق سبحانه بالاحتياج والفقر، في: أنَّـه (ربّك) كذلك، فاطلب منه، ثمّ وكّد الإنشـاء بالإخبـار المحوّل ومداره الدلالي في الإنشاء، فيأتي الجواب بعدم العطف بين التركيبين بالفصل (قطع العطف)، وبالتعليل المؤسّـس، وهـو ضمير الفصل البلاغيّ في بنيـة القصر بالكلّية: (إنَّك أنـتَ،.. التوّابُ،.. الغفورُ،... الوهّابُ،... المنّانُ،... أرحمُ الراحمينَ).

وكذا قوله «عليه السلام»:

ـ (اللَّهُـمَّ فَكَمَـا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْـتَ الْقَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَـآءِ وَوَعَدْتَ الإِجَابَةَ، فَصَـلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِي وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرجِـعَ الخَيبَةِ مِنْ رَحْمَتِك؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّـوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيـمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ) [١].

ـ (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ جُنْدِكَ؛ فَإِنَّ جُنْدَكَ هُمُ الْغالِبُونَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ حِزْبِكَ; فَإِنَّ حِزْبَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيآئِكَ; فَإِنَّ أَوْلِيَاءَكَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)[٢].

ولكـي نـوفّي التحليـل تمامه، وعلى وفـق ما تبنّاه مـن رؤى توجيهيـة، يكون منّا الالتفات إلى أفقيّة الخطوط الأخرى في شـبكة التلقّي الافتراضيّة، لنرى ما يوجده من دلالات ومغازٍ في أبعاده النفسـيّة الأخرى في ذات (المتلقّي الضمني) المتكلّم نفسـه، أو

١ ـ المصدر نفسه:أ:١٣١.
٢ ـ المصدر نفسه:٢٤٩.

مـع نفسـه والمجتمع في موضوعية، عن طريق المحـاورة والخطاب الوجداني، وهو في جوّ التبتّل وروحيـة التضرّع في فضاء الدّعاء.

في المبتـدأ يقتادنـا التأمّل في واقعية إطناب مدوّنة البحـث البلاغيّ [١] لبعض نوافذ القـصر كالنفي والاسـتثناء، واسـتعمال (إنّمـا)، والعطـف... على صعيد اسـتعمالها الأدائـيّ، وتمثيلهـا التطبيقي في التعبير الفنّي، وآنيتـه في لحظة سرد الخطاب، بجانب قِلّة المعطيات في سـواها كـ(ضمير الفصل)، والاتكاء على الواقع العامّ في الأداء الدّلاليّ، عـلى الرّغـم من أنّها لا تقلّ شـأواً عن غيرها في الاسـتعمال البلاغـيّ، بل قد تحوز على ما تفيده السـبُل الأخرى من دوائر دلاليّة ونتائج معنوية – كما سـيأتي- وزيادة عند المتغيّرات القصديّة في سـياق الخطاب.

إنّ الناتـج الـدلاليّ في اسـتعمال مضمـر الفصـل البلاغـيّ في بنيـة القـصر، مفاده الانطـلاق والانفتاح على دوائر دلاليّة متعـّددة الأهداف كثيرة الأغراض, مركزها بنية السّطح المتفاعلة مع العميقة منها، ووعي انتخاب موادّها التنظيمية وتنفيذها بمدرك تضافريـة القرائـن وعلائقيّة الوحـدات الدّلاليّة في توجيه التركيـب الوجهة التّعريفيّة والمقصديّـة في التخصيص.

أقـول: إذا أردنـا تفسـير الناتـج الـدلاليّ في بنيـة القصر – ونحن نسـير في خطّ يتفاعـل مـع المعطـى الـدلالي ليس بحـذر، وإنّمـا بواقعيـة التمثيل لمجـرى الأصل البلاغـيّ والتأويـل- علينـا إلّا نغفـل المعانـي التي تؤدّيهـا بنى التّركيـب القصري نفسـه بالكامل، فـ(أل) التعريفية الجنسـيّة في المقصور (التوّاب، الغفور، الوهّاب، الرحيـم) عـلى ما لها من دلالة، دالّ على فاعليّة التأسـيس القـصري بالفصل (أنتَ) وسـمته الأسلوبية، وكلاهما (أل، والفصل) يسـهم وواقعية العطاء الدلالي، في منح

١ - ينظـر: دلائـل الإعجـاز؛ الجرجانـي: ٢٥٢ ومـا بعدهـا، ونهايـة الإيجـاز؛ الـرازي: ١٧٨، وشروح التلخيـص: ١٩٠/١، وحسـن التوسّـل؛ الحلبـي: ١٧٤، والإشـارات والتنبيهـات؛ الجرجانـي: ٨٠ ، ومـا بعدهـا.

الناتـج ما مؤدّاه في التعبير؛ بإشـارة وحدته الخاصّة في الاسـتعمال، وما تمدّه من حيـازة بأبعاد دلاليّة مختلفة، فضلاً عن عناصر البنية الأخرى (المقصور والمقصور عليه)، ومصاحباتها المعجمية، وهي في هندسـة التشـكيل، وغاية تخصيص الإسناد وتقييده بالحـصر ومعناه دون العموم.

وعـلى ذلـك، فالتركيب في نصّه له من الحضور والاتّسـاع الدلالي ما له من تشـعّبٍ في بنية الخطاب، فيكون في مجموع دلالة قصد التوكيدات، ومعاني كلّيّات القصر، على مستوى أبعادها كافّة.

مـن سياق ما تقدّم أريد أن أصل إلى حقيقةِ قولٍ: إنّ قـوله «عليه السلام»:

ـ (اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَـآءِ وَوَعَدْتَ الإِجَابَةَ، فَصَـلِّ عَـلَى مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَاقْبَلْ تَوْبَتِـي، وَلاَ تَرْجِعْني مَرجِـعَ الخَيبَةِ مِـنْ رَحْمَتِك؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ) [١]، وقـولـه: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ جُنْـدِكَ؛ فَـإِنَّ جُنْـدَكَ هُمُ الْغالِبُـونَ، وَاجْعَلْنِـي مِنْ حِزْبِكَ; فَـإِنَّ حِزْبَكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ، وَاجْعَلْنِـي مِـنْ أَوْلِيآئِكَ; فَـإِنَّ أَوْلِيَاءَكَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [٢]. أو قولـه: (فَارْحَمْنِي يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَتَجاوَزْ عَنِّي يا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [٣]، أو قـولـه: (أَللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي عَلى دِينِكَ ما أَحْيَيْتَنِي، وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِـي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَـةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ،...) [٤].

هذه التراكيب فيها من الاتّساع المعنويّ والتّعميم الدّلاليّ، والقول في مغزاه ومفاده في الهـدف والغـرض البلاغيّ بالكلّ وفي الاحتماليّة، مـا لا يجوز إهمال الأخريات حين الالتفات إلى إحداها في الدلالة والتوجيه.

١ ـ المصدر نفسه:أ:١٣١.
٢ ـ المصدر نفسه:٢٤٩.
٣ ـ المصدر نفسه:٢١٦.
٤ ـ المصدر نفسه:٢٤٣.

فالمثال الأوّل من ظواهر تركيبه، وكذا المصطفيات، فيه من تواشج الدلالة على كلّ ما من شأنه أن يقع تحت مسمّيات القصر ومعانيه القصدية، بتطبيق حالة التّعريف من وضعية ضمير الفصل البلاغيّ، على وضعيته في التنكير، مع حالة التّعريف بضمير الفصل دون (أل) الجنسيّة؛ لأنّها في ما دخلت عليه ليست معرفة له - اللّهمّ إلّا في اللفظ [١] - وإنّما هو تعميم دلاليّ في التنكير الشائع وحيازة المعنى الجنسيّ بالكامل، الأمر الذي جعل ضمير الفصل يجعل عمومها في تعريف خصوصية الاستعمال له دون غيره.

وهذا يقودنا، جدلاً، إلى تجلّيات معنى التّدعيم في دلالة الكمال وصفته الكلّيّة فوق الفوقية، على تصاعدها المعرفيّ عند المتكلّم (الدّاعي)، زيادة على بيان الحقيقة وانكشافها في سطوع، وكذا ما هو في سبيله من الأمر الإسنادي والحصري عند التقييد، وتوكيد معاني المفاضلة على الظّهور دون ما قياس، والتمثيل الوصفيّ في الإخبار (البنية الخبرية) ما يقوّيه ويجليه عن عمومه في تناقض صراحة اللفظ في التّركيب، وضدّية الفحوى المفهومية في جدل الخطاب.

ومن ضوئه، يمكن لنا أن نقارب بينه وبين السُبُل الأخرى في دلالة الإشاعة والبيان، وتجلّي الخفاء في بعض من مجرياتها ما تُستعمل له في المقامات الخاصّة في إنتاجية التّعبير في أنّ الخبر، هنا، في دلالة التّعريف، وهو من الظهور والإشارة ما يجعله في واقعية التمثيل الخطابي في فاعلية (إنّما)، أي: أنّه يقترب في الشبه من (إنّما) في أنّ استعمالها يتنفّذ في أنّ المخاطب (المتكلّم الضمني) لا يُنكِر الخبر، ولا يصرّ على ذلك، لأنّه معروف ومشاع، أو خروجه في بعض المواقف عن الأصل، وقد يتماثل معه في روعته الأدائية ومستواه الأعلى في الحوار، ألا وهو التّعريض.

أو يمكن أن نماثله باستعمال خاصيّة التّرابط الحرفيّ بالمكوّن القصريّ وهو

١ - ينظر: شرح المفصل؛ ابن يعيش: ٩٤/٧، والتعريف والتنكير: محمود نحلة:٨٥.

هندسة (النفي والاستثناء)، بالاعتماد على حكايات النّفس ومحاوراتها الوجدانيّة مع رؤى أُسسها الإيمانيّة ومركّباتها الفكريّة.

وقد ينزّل التّركيب في عمومه الاستعمالي وخصوصيته الأدائية مع ملحظ خطوط الشبكة الافتراضية في التلقّي، منازلَ خطابيّة في مقامات متعدّدة في الاحتماليّة؛ لقنص الناتج الدلاليّ، يعبّر كلّ واحد منها في سياقه عن القصد الذي يمكن أن يكون محلّ القراءة والتأويل.

ومن هنا، يمكن ممارسة المبدأ الأصوليّ في بند التنوّع الأسلوبيّ في واقعية البنية القصرية في: القلب، والتعيين، والإفراد. فالتركيب بالصّياغة مع إدراك ذلك يدفع الأخطاء واللحن البلاغي في ما هو تسميته: القلب، أو التعيين، أو الإفراد، الملتصقة بالنّفس...، وحسب لوازم القصد والهدف المتوخّى في الجملة القصرية القانونية.

وإذا عنّ لنا ذلك، لنقدّم بعض التّحوّلات الافتراضيّة في المماثلة والتقريب الدلالي، ونأتي عليها الواحدة تلو الأُخرى؛ ممارسةً لعملية التطبيق، وتمثيل الواقع النظري وخلفية الرؤية الذهنية وقضاياها المتقدمة في الاحتمالية؛ معرفةً للدلالة.

إنّ البنية القصرية في قوله «عليه السلام»

ـ (إنك أنت التوّاب،... الوهّاب،... الغفور،...)، فيها من الاتّساع والشيوع الدلالي ما يؤدّي من الاقتراب وفاعلية (إنّما): (إنّما أنتَ الوهّاب،.. التّوّاب،.. الغفور الرّحيم،.. أرحم الراحمين،...)، واستعماله في عدمية إنكار المتلقّي؛ لبيان الأمر وظهوره عنده بما لا يحتاج إلى دليل أو برهان، إذ إنّ المتلقّي (المتكلّم نفسه «الداعي») - وعلى أسس المحاورة النفسيّة والخطاب الوجداني- يعرفه ويدركه حقّاً مثلما ينطق به، وفيه من مجالات دائرة التعريض واللوم والتعنيف لهذه النفس الأمّارة بالسوء إلّا ما رحم ربّي، لعدم التوجّه والإخلاص العبادي ما يدعو إلى تركيز دلالته، وكأنّي به مبنيّ على

تصوّريــة دافــع الفكرة، هكذا: يا نفس، إذا كنت تعرفين صفاته ســبحانه، وإنّه كذلك، فلمــاذا لا ترغبين به، وتلجئين إليه ؟...

أو قــد ينزلهــا منزلة المُنكِر المــصرّ، فيأتي بالتأكيد القــصري، أي: قصر القصر، ما يجعله مماثلاً لطريق النّفي والاستثناء في الافتراضية، هكذا: «إنّك أنتَ التوّاب، الوهّاب = مــا الوهّاب، التــوّاب، إلا أنتَ»؛ رغبةً في الإخلاص وملاكية الدّعاء في مجرى الطّلب.

ومــن ثمّ أنّ فيه من التحقيق الإســناديّ والاختصاص له مــا يجعله قائماً بالحكم؛ لأنّه لا يصدر ولا يوجد إلّا منه ســبحانه، ولاسّــيما في قوله «عليه السلام»: (إِنَّــكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ بِالْجَسِيمِ، الْغَــافِرُ لِلْعَظِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ،...) [١]. وقوله: (اللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَــةِ وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ، وَحَثَثْتَ عَلَى الدُّعَــآءِ وَوَعَدْتَ الإِجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاقْبَــلْ تَوْبَتِــي، وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرجِعَ الخَيبَةِ مِنْ رَحْمَتِك؛ إِنَّكَ أَنْــتَ التَّوَّابُ عَلَى الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ) [٢]. في تقييد الإسناد الجزئي صيغة اسم الفاعل (الغافر)، ومبالغته (المنّان،)، (التوّاب)، (الرحيم)، بالجارّ والمجرور على تعريفه الكلّيّ (للعظيم)، و(بالجسيم)، (على المذنبين)، (للخاطئين).

كمــا أنّ فيــه من بيان الحقيقة والكمال الوصفي على واقعيّة الحال وشــهادة الأمر في المفاضلة، والتحفيز والرغبة في الســبق إليه، ولاســيّما في قوله «عليه السلام»: (اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ جُنْدِكَ؛ فَإِنَّ جُنْدَكَ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ حِزْبِكَ; فَإِنَّ حِزْبَكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَوْلِيآئِكَ; فَإِنَّ أَوْلِيَاءَكَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) [٣]. فـ(الغالبون، والمفلحون) هم في الصّفة التي لا يمكن أن يكون مثل كمالها في الإطلاقية بحذف المتعلّق (المفعولية) على العموم، في حصول الغلبة والفلاح؛ ببرهان الإضافة الأُولى في المسند إليه (جندك، حزبك)، (المقصور عليه)، وخاصّية كاف الخطاب: (الله) سبحانه جلّ شأنه.

١ ـ المصدر نفسه: أ: ٥٤.
٢ ـ المصدر نفسه: ١٣١.
٣ ـ المصدر نفسه: ٢٤٩.

وفي الطّرق الأخرى، نجدُ في الاحتماليّة سلبيّةَ المقاربة والمماثلة مع التّركيب: (إنّك أنتَ التوّابُ، الغفورُ،... الوهّابُ...)، إذ إنّ قاعدة التأسيس التي افترضناها وبنائيّة النّصّ الإنشائي وتفصيلاته، تفترض، جدلاً، عدمية جواز التّصريح بالنّفي والإثبات في النّصّية البلاغيّة في منطقيّة العطف، هكذا: (أنتَ التوّاب،... لا غيرك)، أو: (ما التوّاب أحد بل أنتَ، أو لكن أنتَ،...)، فالتّرتيب الشكلي في الصياغة على جوازه اللغويّ مرفوض في الاحتماليّة لاحتوائه الدّلاليّ ومضمونه الفكريّ؛ قياساً بالخلق، والرُؤى العقائديّة مع ملحظ الخطّ العموديّ في التوجيه الخطابيّ ومداره، إلَّا القصر بالإثبات دون شيء آخر، مع نفي المفهوميّة المنفية، كما وأنّ الطرق الأخرى لا تقرّ مجامعة العطف بغيره، فلا يكون تركيب في نسيج العطف مع بنائيّة التعليل وإجماليته في تفصيل النّصّ نفسه، أي: أنّ الاحتماليّة ترفض القول -على جوازه- بالجملة في المنظومة القصريّة إلَّا (إنّك أنتَ التوّاب)، أي: ترفض نسيج الإنتاجية الدلاليّة في: «ما التوّاب، ... إلَّا أنتَ، لا غيرك»، بل إنّ هذا في الأصل والشرط القاعدي غير جائز، لا على فرضيّة أنّ العطف قد سبقه نفي، وهو نفي، فيحصل التناقض في التنافي (النفي)، ليس هذا فحسب، وإنّما على معاينة النظرة إلى المخلوق، الذي لا يمكن المقارنة به في حضرة الدعاء والسياق العبادي، وهو القائل «عليه السلام»: (أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي، لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي، لَكَ يَا إِلهِي، وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ، وَفَضِيلَةُ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَى شَأْنِهِ، مُخْتَلِفُ الْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ. فَتَعَالَيْتَ عَنِ الأَشْبَاهِ وَالأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الأَمْثَالِ وَالأَنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لاَ إِلهَ إِلَّا أَنْتَ) [1].

كما ترفض: «إنّما أنتَ التوّابُ الوهّابُ لا غيرك»، على الشيوع في التّوبة والهبات

١ - المصدر نفسه: ١١٧-١١٨.

والعطايا، بل حتّى في النَفَس (الروح) الذي يغذّينا بالحياة، هل لأحد ذلك إلَّا لله سبحانه جلّ جلالُه ؟!.

وتسوّغ لنا رفض العطف، في التّأويل، في سبيل التّقديم والتّأخير، والتّعريف بـ(أل) الجنسيّة على إبداعية الفنّ النّصّي: (أنتَ التوّابُ، ...، ...،... لا غيرك).

أقول: إنّ قوله «عليه السلام»: (إنّكَ أنتَ التوّابُ)، بناءً على ما تقدّم، لا يحتاج إلى مزيد تقييد، بل يصبح عيباً في أسلوبه الجماليّ وتواصلية التعليل الّتي اتّخذها النصّ منذ البداية حتّى خِتام المسك في القصر، والدليل على ذلك التّوجيه أنّنا، مع رؤية الوصف الآنفة، لم نجد في الصحيفة السجّاديّة، بالاستقراء، شيئاً في ما ينسجم مع طريق العطف في قاعدة التأسيس التي تنزّل من البناء اللفظي منزلة الهندسة الصوريّة في الإعراب الدلاليّ.

إنّ عينية نماذج الطرق كلّها هي قوله في الفصل البلاغيّ: (إنّكَ أنتَ التوّابُ،...)، وأمّا الاختلاف فيها، فهو فحسب، في موادّ التركيب المعجميّة الذي يتباين بالطابع الإنشائيّ، والمتوخّى الدّعائيّ فيها. أي: إنّ بوّابة القصر تسجدُ في خشوع على عتبة دلالة: (أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذي لاَ إِلهَ إِلَّا أَنْتَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْم، رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ،...) [١]. وتنصهر في مؤدّاها الكمالي.

وبعد، تبقى بي حاجة إلى دفع إشكاليّة بالإمكان أن تُتصوّر، والقول بأطروحة احتمالين، أو أكثر، في خاصيّة المبدأ القصريّ وجدليته القابعة في فكرتي النفي والإثبات وبلاغيّة القصد،...

قد يكون القول: إنّ إفادة التركيب الدّلاليّ ومعناه في التأويل، وما تقدّم من دلالات، سببيةُ الاستعمال في (أل) الجنسيّة على قولٍ في البحث البلاغيّ [٢].

١ - المصدر نفسه:أ: ٥٣.

٢ - ينظر: الطراز؛ العلوي: ٢١٣ وما بعدها، وشروح التلخيص: ٩٩/٢.

أقول: إنّ من البديهيّ تصوّر ذلك، غير أنّ ضمير الفصل البلاغيّ دعّم المعنى وسدّد التوجيه برد الاحتماليّة الاصطلاحيّة في البحث النّحويّ، فالتركيب أصبح فيه، بفاعلية الفصل البلاغيّ، تراكمٌ قصريّ في معناه الدلاليّ على سمته القصرية بـ(أل) الجنسيّة، أي: أنَّه قصْر على قصْر وتوكيد، قصْرٌ في الإفادة العمومية بـ(أل)، وتحقيقه في خصوصية الفصل الدلالي، ونفي مفهومية المخالفة التي من الممكن أن تلاحظ في استعمال (أل)، وقصَر المعنى التّركيبي عليه دون النظر إلى المفهوم، أي: أنَّه قصَرَ صراحةَ اللفظ على نفسه في الإثبات، وطرَدَ بالضمير الاعتمادي مفهوميّةَ الخطاب في دلالة النفي، وحصره على مفاده البلاغيّ.

فالإثبات في التركيب وتوكيده في ذلك هنا، أولى من النفي؛ لأنه بالضرورة يقود إليه بشهادة الخطاب وسياقية الدعاء، وقد يكون العكس بالمفهومية دون صراحة العبارة والتركيب، يمكن حمل الصحّة عليه أيضاً، فالنّفي عن الآخرين في هذه الصفات (التـوّاب، الغفور، الوهّاب)، المقصورة على الخالق سبحانه، على فرضيّة وجودها في نسبية المحدود الإنسانيّ، هي إثبات من باب أولى له سبحانه؛ لأنّها ليست تكون لغيره، على الإمكان الوجودي والاستخلاف فيه، بملحظ (مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ)[1].

فكلّ منهما (الإثبات والنفي) مطلوب في المقام، وكلاهما متوخّى في إشادة القصد، وتحقيق مرماه الإبلاغي، بل كلّ منهما يسعى لتحقيق هدفه، ويتسابق إلى بلاغته لتكوين جدلية التعبير في دلالته القصرية.

أقول: وقد يعنّ لي أنّ نصّيّة الثبات على ما يثبت دون ما ينفى، في اشتراكية الطرق القصريّة، سوى العطف منها، في التّوجيه البلاغيّ[2]، قد يتلاشى هدفها في إنتاجية الدلالة وإستراتيجيتها في هذا السياق؛ لأنّ كلاً منهما يتعاطى مع الآخر، وليس أحدهما له فضل مزية على مضادّه؛ لأنّهما في تشخيص دلاليّ واحدٍ على الرّغم من التّضادّ وعدم

١ - سورة النحل:٩٦.

٢ - ينظر: مفتاح العلوم؛ السكاكي: ٤٠٤، والمطوّل: التفتازاني:٣٩٣، وشروح التلخيص: ٢٠٥/١.

الاجتمـاع في نقطة واحدة مـن التّركيب، إلَّا صورته الذّهنيّة، فهمـا (النّفي والإثبات)، قـد يلتقيان في المنظـور العامّ في بؤرة التلاشي، ولكنّ الوصول إلى ذلك الهدف منه على اسـتحالته، يوشك أن يكون كلّه مطلوباً، وواحداً في الأداء، وأصلَ الدّلالة في التّعبير.

مخاض القول: إنّ دلالة القصر في التّراكيب المصطفاة، في واقية الكشـف ووصفية التتبـع، متعانقـةٌ في معنى دلالاتهـا، متداخلةٌ في إفـادة قصدها وبلاغتهـا، متأصّلة في قنواتهـا التعبيريّة، محقّقةٌ لما تصبو إليه من معنًى دلاليّ، في انسـجام فنّي أخّاذ، وأداء بلاغيّ حازَ على كلّيّات الإبداعِ، وجمالياته الأنموذجيّة في بنية القصر بالفصل البلاغيّ.

# قائمة المصادر والمراجع


١. القُرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، السّيوطي (جلال الدّين عبد الرحمن الشّافعيّ، ت ٩١١ هـ)، حقق أصوله ووثّق نصوصه: طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د. ت).

٣. ارتشاف الضّرب من لسان العرب؛ أبو حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمّد، مراجعة: د. رمضان عبد التوّاب، ط١، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة؛ الجرجاني (ركن الدين محمد بن علي بن محمّد، ت ٧٢٩هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٥. الأشباه والنظائر فِي النّحو؛ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، وضع حواشيه: غريد الشيخ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

٦. أصول البلاغة؛ ابن ميثم البحرانيّ (كمال الدين ميثم بن عليّ، ت ٦٧٩ هـ)، تح: د. عبد القادر حسين، ط١، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّوحة، قطر، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٧. الأصول في النّحو؛ ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النّحوي البغدادي، ت ٣١٦هـ)، تح: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.

٨. أمالي ابن الحاجب، ابن الحاجب (عمر بن عثمان، ت ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: فخر صالح سليمان قداره، دار عمّار، عمان – الأردن، دار الجيل، بيروت – لبنان، (د، ت).

٩. أوضح المسالك إِلَى ألفية ابن مالك؛ ابن هشام الأنصاري (جمال الدين عبد الله بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٤م

١٠. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريّين والكوفيّين؛ الأنباري (عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، ت٥٧٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٩٦١م.

١١. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (مُحَمّد بن عبد الرحمن، ت ٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من أساتذة كلّيّة اللُّغة العربيّة بالجامع الأزهر، مطبعة السّنّة المُحَمّديّة، القاهرة، (د، ت).

١٢. البرهان في علوم القرآن؛ الزركشي (بدر الدين مُحمّد بن عبد الله، ت ٧٩٤هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكُتُب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٣. التبيان في إعراب القرآن؛ العكبري (أبو البقاء محبّ الدين، ت ٦١٦هـ)، تح: علي محمد البجاوي، إحياء الكتب العلمية، بيروت.

١٤. التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن؛ ابن الزملكاني (ت٦٥١هـ)، تحقيق د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

١٥. التّراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية؛ الدكتور هادي نهر، ساعدت

كليّة الآداب، الجامعة المستنصرية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
١٦. التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل: د. محمود أحمد نحلة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٧. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)؛ الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن، ت ٦٠٦هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.
١٨. حاشية الشريف الجرجاني على الكشّاف للزّمخشري؛ الشريف الجرجاني، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٦٦م.
١٩. حاشية الصّبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الصّبان (مُحَمّد بن عليّ، ت١٢٠٥هـ)، تح: مُحَمّد بن الجميل، ط ١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٢٠. الجنى الداني في حروف المعاني؛ المرادي (الحسن بن القاسم المرادي، ت ٧٤٩هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٩٢م.
٢١. حسن التّوسل إلى صناعة التَّرسل، شهاب الدين الحلبيّ (أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سلمان، ت ٧٢٥هـ)، تحقيق ودراسة: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.
٢٢. دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن، ت ٤٧٤هـ)، تح: السّيّد مُحمّد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت – لبنان،١٩٨١م.
٢٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل، ت ٧٦٩هـ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.
٢٤. شرح ابن النّاظم على ألفية ابن مالك، ابن النّاظم (أبو عبد الله بدر الدين مُحَمّد بن مُحَمّد بن مالك، ت ٦٨٦هـ)، تح: مُحَمّد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٠م.

٢٥. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني (نور الدين علي بن محمّد الأشموني، ت٩٢٥هـ)، تح: مُحَمّد بن الجميل، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٢٦. شرح التّسهيل، ابن مالك (أبو عبد الله مُحمّد جمال الدين، ٦٠٠- ٦٧٢هـ)، تح: عبد الرحمن السّيّد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥م.

٢٧. شرح التّلخيص للقزويني، البابرتي (أكمل الدين مُحَمّد بن مُحَمّد بن محمود بن أحمد، ت٧٨٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. مُحَمّد مصطفى رمضان صوفيه، ط١، المنشأة العامّة للنّشر والتّوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيريّة العربيّة اللّيبيّة الشّعبيّة الاشتراكيّة، ١٣٩٢هـ- ١٩٨٣م.

٢٨. شرح جمل الزجاجي؛ ابن عصفور (أبو الحسن علي مؤمن بن محمد بن علي الاشبيلي، ت ٦٦٩هـ)، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: فوّاز الشّعّار، إشراف: د. أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٩. شرح قطر النّدى وبلّ الصدى؛ ابن هشام الأنصاريّ (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٧، منشورات الفيروزآبادي، قم، ١٣٨٢هـ.

٣٠. شرح الكافية في النّحو، لابن الحاجب، (ت ٦٤٦هـ)، شرحه رضيّ الدين الاسترآبادي (مُحمّد بن الحسن، ت٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١. شرح اللمحة البدرية في علم قواعد اللغة العربية، ابن هشام الأنصاري (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق: د. هادي نهر، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، بغداد، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٣٢. شرح اللمع؛ جامع العلوم (نور الدين أبو الحسن ت٥٤٣هـ)، دراسة وتح: د. محمد خليل مراد الحربي، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٢م.

٣٣. شرح المفصّل للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ابن يعيش (أبو البقاء موفّق الدين بن عليّ، ت٦٤٣هـ)، عالم الكُتُب، بيروت، (د، ت).

٣٤. شرح المقدّمة المحسبة؛ ابن بابشاذ (طاهر بن أحمد، ت ٤٦٩هـ)، تح: خالد عبد الكريم، ط١، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٧م.
٣٥. شروح التلخيص، مجموعة من الشّروح على تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، ت ٧٣٩هـ، وهي: عروس الأفراح، بهاء الدّين السبكي، ومواهب الفتّاح؛ ابن يعقوب المغربي، والمختصر لسعد الدين التّفتازاني، وحاشية الدسوقي على شرح المختصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر، (د، ت).
٣٦. الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، ط١، دار القارئ للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٣٧. الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة الكاملة، الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (عليهما السّلام)، تحقيق وتنسيق: علي أنصاريان، ط١، دمشق، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٨. الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ابن حمزة العلويّ اليمنيّ (يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم، ت ٧٤٩هـ)، مراجعة وضبط وتدقيق: مُحَمّد عبد السلام شاهين؛ ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م
٣٩. علل النحو؛ ابن الورّاق (أبو الحسن محمد بن عبد الله، ت٣٨١هـ)، تح: محمود محمد نصّار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٤٠. علم المعاني، دراسة بلاغيّة ونقديّة لمسائل المعاني، تأليف: د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط٢، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٤١. الفوائد الضيائية في شرح كافية ابن الحاجب؛ الجامي (نور الدين عبد الرحمن، ت٨٩٨هـ)، دراسة وتحقيق: د. أسامة طه الرفاعي، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
٤٢. الكتاب، كتاب سيبويه، سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، كتبة الخانجي، القاهر، مصر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٤٣. الكشّاف عَن حقائق غوامض التنزيل وِفي وجوه التأويل؛ الزّمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ)؛ ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٤٤. كشف المشكل في النحو؛ تأليف: حيدرة اليمني (علي بن سليمان بن أسعد، ت٥٩٩هـ)، قرأه وعلّق عليه، د. يحيى مراد. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٤٥. اللباب في علل البناء والإعراب؛ العكبري (أبو البقاء محبّ الدين، ت ٦١٦هـ)، تح: غازي مختار طليمات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥م.

٤٦. لسان العرب (معجم)، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين مُحمّد بن مكرم، ت ٧١١هـ)، دار صادر بيروت – لبنان، (د، ت).

٤٧. اللمع في العربية؛ تأليف: أبي الفتح عثمان ابن جنّي ت٣٩٢هـ، تح: حامد المؤمن، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٨. مدخل إلى علم المنطق (المنطق التّقليديّ)، د. مهدي فضل الله، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنّشر، بيروت، ١٩٧٩م.

٤٩. المطالع السعيدة في شرح الفريدة في النحو والصرف والخطّ، السّيوطيّ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: نبهان ياسين حسين، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعه، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.

٥٠. المطوّل، شرح تلخيص المفتاح، التفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر، ت ٧٩٢هـ)، تح: عبد الحسين الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.

٥١. معاني النّحو، د. فاضل السّامرائيّ، ج:١، ج: ٢، وزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ، جامعة بغداد، بيت الحكمة، مطبعة التعليم العالي في الموصل، ١٩٨٦-١٩٨٧م.

٥٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، السّيوطيّ (أبو الفضل جلال الدّين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ)، ط١، ضبطه وصحّحه وكتب فهارسه: أحمد شمس الدّين، دار الكُتُب العلميّة بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٥٣. المغني في النّحو: منصور اليمني (تقي الدين أبو الخير منصور بن فلاح النحوي ت٦٨٠هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: د. عبد الرزّاق عبد الرحمن السعدي، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٩م.

٥٤. مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، ابن هشام الأنصاريّ (أبو مُحَمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف، ت ٧٦١هـ)، تحقيق وتعليق: د. مازن المبارك، د. مُحَمّد علي حمد الله، ط١، مؤسسة الصّادق، طهران.

٥٥. مفتاح العلوم، السّكاكيّ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، ت ٦٢٦هـ)، ط١، تح: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠هـ.

٥٦. مفردات ألفاظ القرآن؛ العلاّمة الرّاغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٥٧. المفصّل في صنعة الإعراب، الزّمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ)، قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م.

٥٨. النّحو الوافي، مع ربطه بالأساليب الرفيعة، والحياة اللغوية المتجددة، تأليف: عباس حسن، ط١، مكتبة المحمدي، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥٩. النكت في تفسير كتاب سيبويه، وتبيين الخفيِّ من لفظه وشرح أبياته وغريبه؛ الأعلم الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى ت٤٧٦هـ)، قرأه وضبط نصه: د. يحيى مراد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٥٢هـ-٢٠٠٥م.

٦٠. من بلاغة النظم العربيّ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني؛ تأليف: عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٦١. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، ت ٦٠٦هـ تح: د. محمد بركات حمدي، د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٥م.

٦٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السّيوطيّ (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ)، تح: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة (د، ت).

# الفهرس

رؤى في النظم السِّياقيَّة في الصَّحيفة السَّجَّاديَّة ..... ٧
في جدليَّة البنية القصريَّة فـي الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة ..... ٧
دراسة فِي التّركيبِ الدّلاليِّ لأسلوبِ القصرِ البلاغيِّ ..... ٧
المقدِّمة ..... ٧
في جدليَّة البنية القصريَّة فـي الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة ..... ٩
دراسة فِي التّركيبِ الدّلاليِّ لأسلوبِ القصرِ البلاغيِّ ..... ٩
المقدّمـة ..... ٩
توطئة : ..... ١١
الفقرة الأولى ..... ١٣
الجدل الفكريّ والقصر البلاغيّ ..... ٣١
الجدل في اللُّغة: ..... ٣١
مفهوم الجدل في الاصطلاح: ..... ٤١
مدى العلاقـة: ..... ٥١
دلالة القصر ..... ١٧
القصـر فـي اللغَة: ..... ٧١
القصـــر فـي الاصطـلاح: ..... ٠٢
ميدان البنية القصرية ..... ٢١
أركان القصر وعناصره ..... ٢٢

أقسام القصر ..... ٢٣
الفقرة الثّانية ..... ٣١
طرائق القصر ..... ٣١
الجملة، أسّ أساليب القصر ..... ٣١
طرق القصر، وأسبابه: ..... ٣٦
قائمة المصادر والمراجع ..... ٤٣
أسلوبيَّة القصر بالنّفي والاستثناء ..... ٥٣
دراسة تحليليّة في التّركيب الدّلاليّ لأساليب القصر ..... ٥٣
في الصَّحِيفَة السَّجَّادِيَّة ..... ٥٣
المقدّمة ..... ٥٣
النّفي السياقي: ..... ١٠٦
قائمة المصادر والمراجع ..... ١٠٩
أسلوبيَّة التَّكوين القصريّ بفاعليّة (إنـّما) ..... ١١٧
دراسة إبستيمولوجية في دلالة البنية القصريّة ..... ١١٧
فـي الصَّحيفة السَّجَّاديَّة ..... ١١٧
المقدّمة ..... ١١٧
قائمة المصادر والمراجع ..... ١٥٣
المُكوِّن القَصْريّ الآخَر ..... ١٥٩
ضَمير الفَصْل ..... ١٥٩
المُقدِّمة ..... ١٥٩
توطئة ..... ١٦٠
ضميرُ الفصل : ..... ١٦٦
قائمة المصادر والمراجع ..... ١٩٥